

فصل في شرح القرآن الكريم
 قام بطالب الزند محمد رشيد الهزاني
 با جزار لتصميمات هيثم اسار برايمسوا

وزارة التعليم العالي
 جامعة أم القرى
 مكتبة الشريعة
 رقم ١٤٤٩/١٢١٨

مجلس أمناء
 عضو المجلس
 ١٤٠٩/١٢/١٨
 مؤرخ بدار لود

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية

٤٥٦ - ٥٩٧ هـ
 ١٦٣ - ١٢٠٠ م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٣٩١



إعداد
 بن محمد رشيد الهزاني

إشراف
 الدكتور فوزي علي بن محمد الهزاني



مكة المكرمة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ زِدْنِي عِلْمًا

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في كتابه الكريم : { لئن شكرتم لأزيدنكم } .

فالحمد والشكر والثناء لله عز وجل الذي أعاننى ووفقنى الى اكمال هذا البحث .

ثم أتقدم بوافر الشكر وعظيم التقدير والامتنان الى أستاذى الفاضل الدكتور فواز على الدهاس على تفضله بالاشراف على هذه الرسالة وعلى ماقدمه من توجيهات علمية قيمة ، وجهود متواصلة كان لها أكبر الاثر فى اخراج هذا البحث بصورة واضحة ، فله منى الشكر والتقدير وجزاه الله تعالى خير الجزاء ووفقه لما يحبه ويرضاه .

كما أتوجه بشكرى الى ادارة جامعة أم القرى ممثلة فى مديرها معالى الدكتور راشد الراجح وسعادة الدكتور سعد بن حميد السبيعي وكيل الجامعة ، وعلى سعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية فضيلة الشيخ الدكتور سليمان التويجى فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

وأخيرا فأننى أتوجه بالشكر والتقدير للجنة المناقشة التى تففلت مشكورة بقبول الرسالة ومناقشتها ولكل من أسهم فى اخراج هذه الدراسة ... ولله الحمد من قبل ومن بعد .

الباحث

بندر محمد الهمزاني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والملاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ... فهذه الأطروحة التي أتقدم بها لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي تتناول دراسة موضوع "علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ٤٥٦-٥٩٧هـ" . فالموضوع كما هو واضح من عنوانه مختص بدراسة تاريخ منطقة معينة وهي مكة المكرمة ، وفترة زمنية تمتد حوالى قرن ونصف من الزمن .

فكما هو معروف أن بلاد الحجاز عامة ومكة المكرمة خاصة كانت ولا زالت وستظل تتمتع بأهمية عظيمة ، فمن تلك المنطقة انبثق نور الاسلام الى بقية أنحاء العالم ولذلك حرص المؤرخون الاوائل على تناول دراسة تاريخ بلاد الحجاز من شتى جوانبه وخاصة الفترة التي كانت فيها بلاد الحجاز مركزا للنشاط السياسى والاجتماعى والعلمى والثقافى على السواء وذلك منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى منتصف القرن الثانى الهجرى .

ولكن منذ أن انتقلت العاصمة الاسلامية الى دمشق فى عهد الخلافة الاموية ثم الى بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، بدأ

المؤرخون يولون تاريخ تلك المناطق جانبا كبيرا من الاهمية فلم تعد مؤلفاتهم تمدنا عن تاريخ مكة الا بالنزر اليسير مقتصرين على مايتعلق بتاريخ تلك المنطقة من الناحية الدينية كاقامة الحج للناس ، واصلاحات الخلفاء والامراء والسلطين التي قاموا بها فى الاماكن والمشاعر المقدسة ، اما الاحوال السياسية والاقتصادية والعلمية فنادرا ماتشير تلك المصادر اليها .

ثم ظهر فى القرن الثالث الهجرى مصدران هامان عن تاريخ مكة اذ تخصص كل من المؤرخين الازرقى المتوفى سنة (٢٥٠هـ) ، والفاكهى المتوفى سنة (٢٨٠هـ) ، فى دراسة تاريخ مكة فى تلك الفترة ، واصبح كتاباهما من المصادر المهمة للباحث فى تاريخ مكة طوال القرون الثلاثة الهجرية الاولى ، وتعد وفاة هذين المؤرخين بداية لدخول تاريخ مكة فى غياهب الاهمال والنسيان ، واستمر ذلك النسيان قرابة خمسة قرون ، بسبب ضياع الكثير من المؤلفات التى الفت خلال هذه الفترة .
ثم قبض الله لمكة مؤرخ من ابناءها فى القرن الثامن الهجرى هو تقى الدين الفاسى الذى عمل على تتبع تاريخ مكة منذ العهد الاسلامى الاولى حتى اوائل القرن التاسع الهجرى وذلك محاولة منه لاكمال تاريخ مكة وخاصة الفترة المجهولة

- (١) عبد الله عقيل عنقاوى : المؤرخ تقى الدين الفاسى
وكتابه شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، بحث
القى فى الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ
الجزيرة العربية ضمن مجموعة أبحاث مصادر تاريخ الجزيرة
العربية ، الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (٦٣/٢) .
(٢) انظر : شمس الدين السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم
التاريخ ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٣٢-١٣٣ .

الواقعة بين القرن الثالث والقرن الثامن الهجري فالف كتابيه "شفاء الغرام" ، و"العقد الثمين" ، وعلى الرغم من أن ذلك المؤرخ ومن جاء بعده من المؤرخين المكيين كابن فهد وابن ظهيرة قد تناولوا تاريخ مكة من جميع جوانبه إلا أن بعض المعلومات التي تتعلق بتاريخ تلك المنطقة قد أسقطت من مؤلفات هؤلاء المؤرخين وأثبتت في بعض مصادر التاريخ العام . وكان اختياري لموضوع "علاقات مكة الخارجية في عهد أسرة الهواشم" ناتجا عن قراءتي المستمرة في تاريخ تلك المنطقة فرأيت أن أكتب في هذا الموضوع نظرا لأهميته ولأن الحاجة ماسة وملحة لجمعه من أمهات الكتب ومن ثم وضعه تحت عنوان واحد .

وكانت المكانة السياسية المرموقة التي تمتعت بها مكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم أهم الدوافع التي جعلتني أكتب في هذا الموضوع وفي تلك الفترة المحددة بالذات لأن هذه الأسرة العلوية قد عاصرت عدة دول اسلامية كبرى كالدولة العباسية ببغداد ، والدولة الفاطمية بمصر ، والدولة الصليحية باليمن ، وكانتا الخلافتان العباسية والفاطمية متنافستين أشد التنافس حول السيادة والنفوذ والخطبة بمكة إذ كانت كل واحدة من هاتين الخلافتين مستعدة كل الاستعداد لانفاق أموالها وشرواتها في سبيل الحصول على وعد من أمير مكة بأن يقيم الخطبة لها على منابر مكة والمشاعر المقدسة وأصبح حلم كل من الخلافتين منمبا على أن تكون مكة تحت

(١) حول مزيد من هذه الدراسة انظر : الفاكي : أخبار مكة ، تحقيق د. فؤاد الدحاس ، ١٠٥٠٨٧٠١٣/١ .

نفوذها وسيادتها واشرافها ، وكان الطرف الثالث والمستفيد من هذا التنافس والنزاع أمراء مكة الهواشم الذين كان بيدهم كل شيء وباستطاعتهم اقامة الخطبة لاي خليفة يريدونه وكان ذلك التنافس والمراغ الدائرين الخلافتين على السيادة بمكة قد دفعنى الى البحث عن الاجابة على كثير من التساؤلات التى كانت تراودنى أثناء قراءتى فى المصادر المتفرقة فمن ضمن هذه التساؤلات :

* معرفة الدوافع وراء تنافس الخلافتين العباسية والفاطمية وحرص كل منهما على فرض سيادتها ونفوذها على مكة المكرمة ، وماهى الفائدة التى تعود عليهما من ذلك ؟
* وهل استطاع أمراء الهواشم أن يستغلوا ذلك التنافس لصالحهم ؟ وماهى اهم الامور والمكاسب التى حققوها من وراء هذا التنافس ؟

* وماهو موقف اهالى مكة المكرمة من هذا التنافس وماذا كان اثره على اوضاعهم الداخلية واحوالهم المعيشية ؟
* وماهى الاهداف الحقيقية التى يسعى اليها الامير على ابن محمد المصليحي من خلال استيلائه على مكة ؟ وهل كان يقصد من ذلك تثبيت السيادة الفاطمية على مكة وحرمان العباسيين من تلك السيادة ؟ ام انه كان يسعى لتحقيق اهدافه الخاصة التى ترمى الى ضم بلاد الحجاز كلها الى مملكته ؟

* وهل كان سقوط الخلافة الفاطمية بممر على يد الدولة الايوبية نهاية ذلك النزاع وتلك المنافسة ؟ وماهو موقف أمراء الهواشم من تلك الدولة الجديد التى ورثت حكم الدولة الفاطمية ؟ وهل كانت تلك الدولة الجديدة طرقا آخر فى

التنافس مع الخلافة العباسية على الخطبة بمكة ؟
فكانت هذه التساؤلات دافعا الى البحث عن الاجابة عليها
وعلى كثير من الامور والمسائل والاحداث التى لم توضحها
المصادر التى تناولت تاريخ مكة .
ومن اهم الاسباب التى دفعتنى ايضا الى اختيار هذا
الموضوع جدته وحداشته وذلك املا فى الوصول الى نتائج مرضية
تخدم البحث والباحثين المهتمين بتاريخ هذه المنطقة .
أما اهم المعاب التى واجهتنى أثناء اعداد هذا البحث
فهى ندرة المعلومات وتفرقها فى المصادر المكية ومصادر
التاريخ العام وكتب الجغرافيا وكتب الرحلات فكان لزاما أن
أطلع على تلك الكتب وأستخرج ماورد فيها من معلومات تتعلق
بموضوع البحث ، ومما لاشك فيه أن هذا الموضوع يستلزم الاطلاع
على جميع المصادر التى اهتمت بذكر تاريخ الدول والمدن
التى كانت على اتصال بامارة مكة المكرمة وذلك لكى نستشف
منها المعلومات التى لها علاقة بموضوع البحث .
وقد كنت أقوم بقراءة كتب بكاملها من بدايتها الى
نهايتها وأخرج منها بمعلومات نادرة جدا وأحيانا كنت أضطر
الى قراءة كتب لها أكثر من جزء ولأخرج منها بأية معلومة
لها صلة بموضوع البحث .
وقد مرت بى فترة من الزمن أيقنت فيها بعد قراءاتى فى
بعض المصادر أن المعلومات التى توفرت لدى لاتفى بحق بعض
النقاط والمباحث المرسومة فى خطة البحث ، ولكن تلك
المعاب التى واجهتنى لم تضعف من عزيمتى على مواصلة البحث
فحاولت تخطى كل المعاب وتمكنت بفضل من الله بعد اطلاعى على

عدد كثير من المصادر والمراجع العربية والرسائل العلمية والدوريات من جمع المادة العلمية المطلوبة ، وقمت بدراسة ومناقشة وتحليل تلك المعلومات ثم قمت بمياغتها فى موضوع متكامل ومتناسق وذلك حسب الشروط والقواعد المتبعة فى كتابة البحوث والرسائل العلمية والتي أرشدنى اليها أستاذى الفاضل ، واننى بذلك لأدعى الكمال ، فالكمال لله عز وجل .

أما من حيث تقسيم البحث فقد جرى تقسيمه الى أربعة فصول تسبقها مقدمة توضح أهمية الموضوع وسبب اختياره بالإضافة الى دراسة موجزة عن أهم المصادر المخطوطة والمطبوعة التى أفادت البحث ، إضافة الى تمهيد قدمت فيه دراسة موجزة عن الأسرة التى حكمت مكة قبيل أسرة الهواشم وعلاقتها بالدول الخارجية ، وهذه الأسرة هى أسرة الموسويين وكانت أهمية تلك الأسرة على الساحة المكية سببا فى حرصى على تناول تاريخ تلك الأسرة فاليها يرد السبب فى توطيد أقدام العلويين بامارة مكة المكرمة ، لأن جميع الثورات والحركات العلوية التى سبقت قيام دولتهم قد باءت بالفشل وقضى عليها من قبل الحكومة العباسية فجاءت تلك الأسرة العلوية الى مكة قادمة من المدينة واستطاعت بقوة ودهاء رجالها أن تؤسس لها اماره بمكة استمرت خمسة وتسعين عاما . وعلى الرغم من أن تلك الأسرة كانت حديثة عهد بالحكم الا انها قد استطاعت خلال فترة حكمها أن تنجح فى علاقاتها السياسية مع القوتين العظميين فى تلك الفترة وهما الخلافة العباسية ببغداد والخلافة الفاطمية بمصر .

ثم تناول الفصل الأول سقوط الدولة الموسوية وقيام دولة الهواشم والظروف السياسية التي مكنت هؤلاء الهواشم من الوصول الى دفة الحكم ، وموقفهم من القوى المعارضة لهم ، كما تناول الفصل الأول أيضا الحديث عن أمراء الهواشم الذين تولوا إمارة مكة وأهم الأحداث السياسية الداخلية في عهد كل واحد منهم . كما استعرض ذلك الفصل الصراع الميرير الذي دار بين أمراء الهواشم والذي كان سببا في تدهور الأوضاع الداخلية بمكة كما كان سببا في طمع القوى الخارجية في حكمهم وشجعهم على القضاء على تلك الأسرة .

أما الفصل الثاني من البحث فقد كان مخصصا للحديث عن علاقات أمراء الهواشم الخارجية فكتبت مبحثا مستقلا عن علاقتهم بالدولة المليحية التي كانت تحكم اليمن في تلك الفترة فقد كان المليحيون هم دعاة الفاطميين في بلاد اليمن والحجاز ، لذلك كانوا حريصين على توطيد أقدام الفاطميين في مكة المكرمة وهذا مادفعهم الى الالتمال بإمارة الهواشم وخاصة في عهد مؤسسهم الأمير على بن محمد المليحي .

كما أفردت مبحثا آخر عن علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية ، وكنت قد وضعت في خطة البحث مبحثا لعلاقة الهواشم بالخلافة العباسية وآخر عن علاقة الهواشم بالخلافة الفاطمية ، ولكن بعد المامى بجوانب البحث ، وبعد أن اتفحت أمامى السمة المميزة لعلاقة الهواشم بتلك الخلافتين وهى التذبذب بين الخلافتين وآية ذلك أننا نلاحظ خلال البحث أنه في السنة الواحدة يتذبذب أمير مكة في ولائه حيث يخطب في بداية السنة للفاطميين وفي نهايتها للعباسيين

وقد تستمر الخطبة أحيانا للفاطميين فترة طويلة وتستمر أيضا للعباسيين فترة أطول ، وهذا التذبذب يتطلب منا أن نتلمس أسبابه ودوافعه وكان طبيعيا أن نورد تلك الأسباب في كلا المبحثين فكان لابد من دراستهما معا إذ تترتب وتتوقف علاقة أحدهما على الأخرى حيث أن دراستهما متلازمتين . لذلك فقد فُلت أن أضمهما تحت عنوان واحد وهو علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية .

أما الفصل الثالث فيشتمل على دراسة لأحوال مكة المكرمة وعلاقاتها الخارجية بعد نهاية النفوذ الفاطمي في بلاد الحجاز ونظرا إلى أن الدولة الأيوبية هي التي ورثت حكم الدولة الفاطمية بمصر وبلاد الحجاز فقد أوضحت في هذا الفصل للقارئ موقف أمراء الهواشم من تلك الدولة الجديدة التي وقفت مع أمراء الهواشم موقف الحزم والشدة والقوة واستطاعت أن توطد الأمن والاستقرار في ربوع مكة المكرمة ، كما تناول ذلك الفصل الحديث عن موقف أمراء الهواشم من تأمين طرق الحج وحماية حجاج بيت الله الحرام من اعتداءات الأعراب ، وتناول أيضا سقوط إمارة الهواشم والأسباب التي أدت إلى سقوط إمارتهم . ثم تتبعنا أهم الخطوات التي سار عليها الأمير قتاده الحسني تلك الخطوات التي مكنته من الاستيلاء على مكة وبينت أهم العوامل التي شجعت على القدوم إليها ، والمحاولات التي قام بها بعض أمراء الهواشم بغية إعادة ملكهم وإمارتهم على مكة .

أما الفصل الرابع فقد حصص للحديث عن أثر العلاقات الخارجية على النواحي العامة بمكة .

فالمبحث الأول من ذلك الفصل كان الحديث فيه عن أثر العلاقات الخارجية على الحياة الاقتصادية داخل مكة المكرمة ويتضح للقارئ من خلال دراسته لذلك المبحث أنه كان للعلاقات الخارجية أثر كبير في تحسن وازدهار الأوضاع الاقتصادية بمكة في بعض الفترات ، كما كان لها أثر أيضا على تدهور تلك الأوضاع في بعض الفترات الأخرى ، وتحسن تلك الأوضاع في الفترة التي توافظ فيها الدول الكبرى على إرسال المعونات والنفقات والهدايا والعقدات الى أهالي مكة وأمرائها وتحسن أيضا في الفترة التي تسمح فيها تلك الدول لتجارها بالذهاب الى مكة كما أن الحالة الاقتصادية بمكة تسوء في الفترات التي تكون علاقة أمراء الهواشم بالدول الكبرى سيئة ومضطربة لأن تلك الدول تسارع بقطع جميع المعونات المالية والعائدات السنوية عن مكة كما أنها قد تمدر قراراتها القاضية بمنع السفر الى مكة لأي غرض كان سواء كان تجاريا أو دينيا .

وكان أمراء الهواشم قد فرضوا رسوما على البضائع القادمة الى مكة وفرضوا مكسا على الحجاج القادمين اليها وتشددوا في جمع تلك الرسوم والمكوس التي أثقلت عاتق هؤلاء التجار والحجاج الوافدين الى مكة ، وقد أفردت مبحثا خاصا لدراسة تلك الرسوم والمكوس وكيفية جبايتها من قبل أمراء الهواشم وأثرها على الناحية الاقتصادية بمكة المكرمة .

كما تطرق الفصل الرابع أيضا الى دراسة أثر العلاقات

الخارجية على الحياة الاجتماعية حيث تم استعراض طبقات المجتمع المكي في عهد الهواشم وأهم العادات والتقاليد والأعياد المعروفة لدى أهالي مكة وأهم الأعياد والعادات والاحتفالات التي كانت وليدة احتكاك مكة بالدول الخارجية .

كما أن ذلك الفصل قد ألقى الضوء على أثر العلاقات الخارجية على الحياة العلمية بمكة المكرمة ، ذلك أنه كان للمكانة الدينية التي اشتهرت بها مكة المكرمة أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية بها حيث أنه يفد إليها آلاف المسلمين كل عام لأداء فريضة الحج والعمرة ومن بين هؤلاء المسلمين الكثير من العلماء وطلاب العلم الذين كانوا يعقدون الحلقات العلمية ويلفون الخطب والمحاضرات الدينية والعلمية داخل المسجد الحرام فيأخذ عنهم العلماء الموجودون بمكة ويتلقون منهم كثيرا من العلوم والمعارف . كما أنه اشتهر بمكة كثير من العلماء الكبار الأمر الذي دفع كثيرا من طلاب العلم والمعرفة إلى القدوم إلى مكة وذلك ليتلقوا العلم على أيدي هؤلاء العلماء المكيين ، ومما أدى إلى ازدهار الحركة الثقافية بمكة أيضا وجود المؤسسات التعليمية بها تلك التي شارك أمراء وسلاطين الدول الإسلامية التي كانت على علاقة بأمراء الهواشم في انشائها .

وقد استعرضت في ذلك الفصل أيضا أهم الأساليب التي اتبعت في التعليم بمكة كذلك الرحلات والإجازات العلمية وكيفية الحصول عليها . كما تم توضيح الدور الكبير الذي لعبه المجاورون والقادمون إلى مكة في الحركة العلمية ، ثم تطرق الفصل أيضا إلى ذكر أهم المكتبات والأربطة الموجودة

بمكة ودورها العلمى ، وتطرق أيضا الى الحديث عن مشاهير العلماء والقضاة والمجاورين الذين برعوا فى شتى العلوم والمعارف ، وذكرت اهم مؤلفاتهم كما شمل ذلك الفصل دراسة عن دور المرأة بمكة فى الحركة العلمية واهم العلوم والمعارف التى كانت المرأة بمكة تهتم بها وتحرس على الاقبال عليها ، واهم العالمات المشهورات بمكة وخاصة اللاتى كان لهن محاورات ومراسلات علمية مع علماء الدول الاسلامية فى تلك الفترة .

أما الخاتمة فقد استعرضت فيها بصورة موجزة اهم النتائج التى توصل اليها البحث ، وقد ألمقت بهذه الاطروحة جملة من الجداول والملاحق التى لها علاقة بالموضوع فكان الجدول الاول والثانى خاصا بأسماء أمراء الموسويين والهواشم الذين حكموا مكة وفترة اماره كل منهم بالتاريخين الهجرى والميلادى ، أما الجدول الثالث والرابع فقد احتويا على أسماء الخلفاء العباسيين والفاطميين الذين عاصروا أمراء الموسويين والهواشم والذين كان لهم اتصال بهؤلاء الأمراء . أما الملحق الاول فكان خاصا بشجرة الاشراف بمكة المكرمة

كما ألحق بالسابق خريطتين موضح على احدها منطقة مكة فى عهد الهواشم واهم المناطق التابعة لامارة الهواشم ، وموقع مدينة حلى بن يعقوب وهى المنطقة التى كانت محل نزاع بين اماره مكة ومملكة اليمن فى عهد الاشراف ، أما الاخرى فقد وضح عليها اهم المواقع والمناطق التى كان يتم فيها



جباية الضرائب والمكوس من التجار والحجاج القادمين الى مكة في عهد العواشم . كما أن في تلك الملاحق رسماً لموقع مدينة المربعة التي بناها الأمير هاشم بن فليته خارج مكة . وفي نهاية البحث قائمة بأسماء المصادر المخطوطة والمطبوعة وقائمة بالمراجع الحديثة بالإضافة الى الدوريات والرسائل العلمية التي أفادت البحث .

وفي ختام هذه المقدمة الخاصة من مهيّط الوحي والمكان الذي شع فيه نور الاسلام أسأل الله العلي القدير أن أكون قد أسهمت وقدمت خدمة ولو متواضعة للدارسين والباحثين في تاريخ مكة المكرمة ، كما أرجو أن أكون قد وفقت في ايفاء الموضوع حقه ، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

أهم مصادر البحث

لقد اعتمدت في اعداد هذه الاطروحة على عدد كثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، والمراجع العربية ، والدوريات والابحاث العلمية ، والمصادر الاساسية التي افادت البحث ، يأتي في مقدمتها المصادر المكية والمدنية فمنها :

كتابا "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"
و"العقد الثمين في تاريخ البلد الامين"

وكلاهما لمؤرخ مكة أبى الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المعروف بـتقى الدين الفاسى ، ولد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م بمكة المكرمة ، ونشأ بها وبالمدينة المنورة وتلقى العلم على أيدي علمائها ، ثم أخذ يتولى المناصب العلمية بمكة المكرمة حتى أصبح شيخ الحرم ، وقد عني بالتأليف والاشتغال بالعلم والتدريس ، ثم توفى رحمه الله سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م .^(١)

أما كتابه العقد الثمين الذى طبع فى ثمانية أجزاء فهو عبارة عن تراجم لأعيان مكة من السرواة والعلماء والفقهاء والخطباء والائمة والأمراء وغيرهم وذلك على مدى ثمانية قرون . وقد رتب هذه التراجم حسب حروف المعجم ماعدا

(١) تقى الدين الفاسى :العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين تحقيق محمد الطيب الفقى ، القاهرة ١٣٧٨/١٣٨٨هـ ، ج ١ ، ص (هـ) .

المحمدين والاحمدين فانه ... قدمهم على غيرهم من الاسماء وذلك نظرا لشرف هذين الاسمين وتبركا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه لم يغفل تراجم النساء فقد أفرد بابا خصمه لتراجم النساء العالمات المشهورات بمكة المكرمة فكتابه هذا يعتبر من المصادر الهامة والاساسية للباحث في تاريخ مكة السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى لانه كان حريصا على تحرى المصدق والحقيقة أثناء نقل المعلومات من المصادر ، كما أنه كان يقف بنفسه على القبور والأحجار والرخام والأخشاب وغيرها وينقل مادون عليها من معلومات .^(١)

وهذا الكتاب من الكتب التى أفادت البحث كثيرا خاصة فيما يتعلق بأمراء الهواشم وعلاقتهم بالدول الخارجية ، والأحداث الداخلية بمكة فى عهدهم ، كما أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات وفيرة عن الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية بمكة المكرمة فى عهد الهواشم .

أما كتابه الآخر "شفاء الغرام" فلا يقل أهمية عن كتابه السابق ، إذ اشتمل على معلومات قيمة عن النواحي الدينية والثقافية والعمرانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة المكرمة منذ عصر ما قبل الاسلام حتى أوائل القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى .^(٢)

ولقد أفاد هذا الكتاب البحث فى تحديد مدة حكم أشرف

(١) تقى الدين الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، مقدمة المؤلف ، ص ١٣ .
(٢) عبد الله عقيل عنقاوى : المؤرخ تقى الدين الفاسى وكتابه شفاء الغرام ، ٦٤/٢ .

مكة الذين تولوا الامارة ، كما أفاد البحث في ذكر الحوادث الداخلية بمكة خاصة في فترة مواسم الحج ، والاتصالات التي حرت بين أمراء الحج وأمراء الهواشم * وموضوع الخطبة على منابر مكة وفي المشاعر المقدسة * لقد كان المؤلف حريصا على ذكر من دعى له بمكة من الخلفاء والملوك وذلك مما يفيد في دراسة موضوع علاقات مكة الخارجية في عهد الهواشم ، وقد تضمن هذا الكتاب معلومات ذات فائدة كبيرة عن الحياة العلمية بمكة اذ حصر أهم الأربطة والمدارس الموجودة بها ودورها العلمي ، ويقدم أيضا معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية بمكة والازمات التي حلت بها ودور الخلفاء والسلاطين في تخفيف هذه الازمات عن أهالي مكة المكرمة .

كتاب اتحاد الوري بأخبار أم القرى :

للنجم عمر بن قهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م .
وقد نشأ مؤلف هذا الكتاب بمكة المكرمة وتلقى العلم على أيدي علمائها ثم قام برحلات علمية في سبيل طلب العلم الى مصر والشام وفلسطين ، وله ممنوعات عديدة من بينها هذا الكتاب الذي يعد من أهم المصادر للدارس في تاريخ مكة المكرمة .

وقد قسم هذا الكتاب أربعة أجزاء الثلاثة الاولى حققها

(١) ناصر بن سعد الرشيد : بنو قهد مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن قهد اتحاد الوري بأخبار أم القرى ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ٧٠-٦٩/٢ .

الأستاذ فهم شلتوت ونشرها مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، أما الجزء الرابع فقد حققه الدكتور عبد الكريم الباز وكان موضوع رسالته لدرجة الدكتوراه .

ولقد قام المؤرخ ابن فهد بجمع وترتيب المعلومات السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية والاجتماعية ، التي أوردها مؤرخ مكة الفاسى مبعثرة فى كتابيه شفاء الغرام والعقد الثمين ، فرتبها ترتيبا زمنيا مبتدئا بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر المؤرخ ابن فهد فى مقدمة كتابه هذا أنه أضاف بعض المعلومات التي لم يوردها الفاسى فى مؤلفاته .^(١)

ومما لاشك فيه أن هذا الكتاب يفيد الباحث فى تاريخ مكة كثيرا لأنه يقدم صورة واضحة عن مكة المكرمة وأعمالها من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية ، وتزداد أهمية هذا الكتاب للحقبة التاريخية التى تقع بين سنتى ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م ، وسنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م لأن المؤلف هو المؤرخ الوحيد الذى تصدى لكتابة تاريخ مكة فى تلك الفترة .^(٢)

ولقد أفاد البحث من هذا الكتاب فى دراسة علاقة العواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية وموقفهم من الدولة الايوبية كما أفاد أيضا فى دراسة أمراء العواشم وكيفية وصولهم الى الامارة والخلافت الدائرة بينهم ، والاحداث الداخلية بمكة فى عهدهم .

(١) عمر بن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهم شلتوت ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ٦-٥/١ .
(٢) المصدر نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ١٨ .

كتاب غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام :

للمؤرخ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي
المتوفى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م .

لقد نشأ هذا المؤلف بمكة المكرمة وتلقى العلم على
أيدي علمائها ثم رحل الى مصر والشام وفلسطين بغية طلب
العلم فلم يترك عالما الا وأخذ عنه العلم ، له مؤلفات^(١)
عديدة منها كتاب بلوغ القرى بذيي اتحاف الوري ، وكتاب^(٢)
تاريخ مكة على السنين ابتداءه من سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م ، وكتاب
غاية المرام يقدم تراجم لأمرء مكة منذ زمن الرسول صلى
الله عليه وسلم حتى العهد الذي عاشه المؤلف ، وكان ترتيبه
لتلك التراجم على حسب الأولوية في تولي الامارة ، وقد اشتمل^(٣)
كتابه على معلومات قيمة عن أمرء الهواشم والاحداث
الداخلية في عهدهم وعلاقتهم بكل من العباسيين والفاطميين
والايوبيين .

وقد أفاد البحث أيضا في ذكر الخلاف و لنزاع الدائر
بين أمرء الهواشم وما ترتب على ذلك من تدخل القوى
الخارجية واضطراب أحوال الأمن بمكة المكرمة .

(١) ناصر الرشيد : بنو فهد مؤرخو مكة ، ص ٧٤-٧٥ .
(٢) عز الدين بن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد
الحرام ، تحقيق فهد شلتوت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ج ١
مقدمه المحقق ص ١٢-١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، مقدمة المؤلف ص ٤ .

كتاب الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

للمؤرخ جمال الدين محمد بن جابر الله بن محمد نور
الدين بن أبي بكر المعروف بابن ظهيرة المتوفى سنة
٩٨٦هـ/١٥٧٨م .

ويحتوى هذا الكتاب على معلومات مفصلة عن الكعبة
المشرفة وبيان فضلها وشرفها وما يتعلق ببنائها وكسوتها ،
كما يحتوى على معلومات عن مكة المكرمة وحكم المجاورة بها
والتجديدات التى أجراها الخلفاء والسلاطين بالمسجد الحرام
ثم أفرد مؤلف هذا الكتاب بابا خمسه لأمرء مكة منذ عهد
النبي صلى الله عليه وسلم الى عهده ، وقد استعرض فى هذا
الباب أهم الاحداث السياسية بمكة فى عهد هؤلاء الامراء وبهذا
الباب معلومات قيمة عن أمرء الهواشم والاحداث الداخلية فى
عهدهم وعلاقتهم بالدولتين العباسية والفاطمية .
ومن الكتب المكية المخطوطة التى اعتمدت عليها أيضا
مخطوطة :

(١)
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام
والمدينة الشريفة والقبر الشريف :

تأليف المؤرخ أبو البقاء محمد بن أحمد بن الفياض
المكي الحنفى المتوفى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م .

(١) صورة ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى
رقم ١٧٠ .

وتشتمل هذه المخطوطة على معلومات هامة عن تاريخ مكة ومايتعلق بالكعبة المشرفة وكسوتها وفنائل مكة والكعبة ، ووصف المسجد الحرام وعماراته من قبل الخلفاء والسلاطين والأمراء ، وأهم المساجد والسبل والبرك والبساتين الموجودة بمكة المكرمة .

كما انها اشتملت على معلومات عن المدينة المنورة وتاريخها وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها وعن قبره عليه السلام وقبر صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وقد أفادت هذه المخطوطة البحث فى بعض المعلومات المتعلقة بالاملاحات التى قام بها الخلفاء العباسيون بمكة خاصة فى المسجد الحرام والمشاعر المقدسة .

(١)

مخطوطة الأرج المسكى فى التاريخ المكى :

للمؤرخ عبد القادر الطبرى المتوفى سنة ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م وقد اشتملت هذه المخطوطة على مقدمتين وثمانية أبواب فى فوائد علم التاريخ ، وفى فضل الحرم وحدوده ، وفنائل مكة والكعبة ومن اعتنى بتجديد وتعمير البيت من الخلفاء والملوك والسلاطين ، وأرباب الوظائف الدينية ، وولاة وأمراء مكة فى الجاهلية والاسلام مرتبين على حروف المعجم ، كما أنه أفرد بابا خاصا عن آل قتادة الذين اغتصبوا الحكم من الهواشم . ولقد استقيت من هذه المخطوطة بعض المعلومات التى تتعلق بأمراء الهواشم ونظم الادارة والحكم والمناصب الدينية فى عهدهم .

(١)
مخطوطة اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن :

لمحمد بن على بن فضل بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن
مكرم بن المحب محمد الطبرى المتوفى سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م .
وقد اشتملت هذه المخطوطة على دراسة لأمرء مكة منذ
عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م .
وقد أفادت هذه المخطوطة البحث وأمدته بمعلومات هامة
عن أمرء الهواشم وعلاقتهم بالدول الخارجية ، وأهم الأحداث
الداخلية فى عهدهم ، كما أمدته أيضا بمعلومات مفصلة عن
أسباب سقوط إمارة الهواشم على يد قتادة الحسنى .
وتعد هذه المخطوطة مصدرا مهما للباحث فى الحياة
العلمية بمكة وخاصة فى القرنين التاسع والعاشر الهجرى ،
لأن المؤلف استعرض حياة العلماء والمدارس التى بنيت بمكة
فى تلك الفترة .

ومن المصادر التى أفادت البحث :

كتاب التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة :

لشمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م .
ويقدم هذا الكتاب تراجم للشخصيات المدنية التى قدمت
وعاشت فى المدينة . وخلال استعراض المؤلف لتراجم أعيانها
ترجم لأمرء مكة الموسويين والهواشم وآل قتادة ، وأشار الى
الأحداث الداخلية التى وقعت فى مكة فى عهد بعض هذه
الشخصيات المترجم لها .

(١) صورة ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى
رقم ١٠ .

ومما يلاحظ على السخاوى فى ترجمته لأمرء مكة أنه
اختصر هذه التراجم من مؤرخ مكة تقي الدين الفاسى فى كتاب
العقد الثمين حيث نقل هذه التراجم منه مختصرة وأشار الى
ذلك بقوله : " ذكره الفاسى بأطول " .
وقد رتب المؤلف تراجمه حسب حروف المعجم وذلك تسهيلا
للقارئ .^(١)

واستقيت من هذا الكتاب العديد من المعلومات التى
تتعلق بالحياة العلمية بمكة فى عهد العواشم .
أما مصادر التاريخ الإسلامى العام فقد أفادت البحث
كثيرا ، فمن هذه المصادر :

كتاب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم :

لابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى المتوفى سنة
٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .

وقد رتب المؤلف كتابه حسب السنين ، حيث كان يذكر أهم
الأحداث التى وقعت فى السنة ، ثم يترجم لأهم المتوفين فيها
من الأميان ، وقد ظهر اهتمامه بالتراجم أكثر من اهتمامه
بذكر الحوادث السياسية ، ومما يلاحظ عليه أيضا أنه اهتم
بتاريخ الدولة العباسية والسلجوقية بينما صرف اهتمامه

(١) شمس الدين السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة
الشريفة ، تحقيق اسعد طرابزونى ، القاهرة
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ ، ١ / ١٩ .

(١)
عن الدولة الفاطمية بمصر . ولقد أفاد البحث منه في كثير
من الجوانب حيث ان أجزاءه الثامن والتاسع والعاشر تتضمن
معلومات ذات قيمة علمية كبيرة في دراسة علاقة الهواشم
بالخلافة العباسية .

كتاب الكامل في التاريخ :

لابى الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى الملقب
بعز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م .
وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب جميع الأحداث
التاريخية الواقعة في العالم الاسلامى مرتبة حسب السنين ،
واعتمد في جمع مادته على أدق المصادر وأوثقها ،
ومن هنا جاءت أهميته كمصدر من المصادر الأساسية لهذا البحث
وقد احتوت أجزاءه الثامن والتاسع على معلومات قيمة عن
إمارة الهواشم وعلاقتها بالخلافتين العباسية والفاطمية ،
وموقفها من الدولة الأيوبية ، كما احتوت على معلومات عن
أمراء الحج العراقى الذين قدموا الى مكة المكرمة في عهد
الهواشم وأهم الأحداث التى واحموها بمكة ، كما تناولت
الكوارث والازمات الاقتصادية التى أصيبت بها مكة ودور
الخلفاء العباسيين في تخفيف تلك الازمات عن أهالى مكة .

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر :

لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى سنة
٨٠٨هـ/١٤٠٦م .

(١) محمد سالم العوفى : العلاقات السياسية بين الدولة
الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، ط ١ ،
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ١٥ .

وقد أفاد الجزء الرابع من هذا الكتاب ، البحث بكثير من المعلومات خاصة فيما يتعلق بنسب أمراء مكة الموسويين والعواشم وعلاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية ، وأهم الأحداث الداخلية بمكة في عهد هؤلاء الأمراء .
ومن الكتب التي أفادت البحث في دراسة علاقة العواشم بالخلافة الفاطمية :

كتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية :

لنجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكيم المتوفى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م .

ومؤلف هذا الكتاب هو أحد علماء وفقهاء وشعراء بلاد اليمن ويحكى في كتابه هذا قصة حياته أثناء إقامته في اليمن ورحيله إلى مكة المكرمة في عهد الأمير قاسم بن هاشم الذي أرسله سفيراً وممثلاً عنه إلى الخلافة الفاطمية كما يشرح قصة سفارته الثانية من مكة إلى مصر ومن ثم إقامته الدائمة في البلاد المصرية . ويشتمل الكتاب أيضاً على كثير من القوائد التي قالها المؤلف في بعض الخلفاء والوزراء الفاطميين والأيوبيين ، لذلك فإن هذا الكتاب يعتبر من المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها لأن المؤلف عاصر الأحداث وأفاد البحث كثيراً وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الأمير قاسم بن هاشم بالخلافة الفاطمية .

وأفاد البحث أيضاً من كتاب آخر لنجم الدين عمارة هو :

كتاب تاريخ المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد
وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها :

لنجم الدين عمارة بن أبى الحسن الحكمى المتوفى سنة
٥٦٩هـ / ١١٧٣م .

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التى أرخت لبلاد
اليمن . فقد اشتمل الكتاب على أخبار صنعاء وزبيد ، وأهم
الدويلات التى قامت فى بلاد اليمن ، كما انه اشتمل على
تراجم لعلماء وأدباء وشعراء بلاد اليمن فى الفترة التى
عاصرها المؤلف ، وقد أفاد هذا الكتاب البحث فى كثير من
المعلومات التى تتعلق بعلاقة مكة باليمن فى عهد الدولة
المليحية .

كتاب اعطاء الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء :

لتقى الدين أحمد بن على المقرئ المتوفى سنة
٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

وقد أفاد هذا الكتاب البحث فى ذكر اهتمام خلفاء
الدولة الفاطمية ببلاد الحجاز والتنافس بين الخلافتين
العباسية والفاطمية على الخطبة بمكة المكرمة ، كما أفاد
أيضا بذكر موقف الهواشم من الخلافة الفاطمية وأهم النفقات
والاعطيات التى كانت ترد من القاهرة الى مكة زمن الفاطميين
ومن المصادر التى أفادتنى فى دراسة علاقة الهواشم
بالدولة المليحية فى اليمن :

كتاب غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى :

ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن على المتوفى
سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م .

رتب المؤلف فى كتابه الحوادث ترتيبا زمنيا حسب تسلسل
السنوات الهجرية ، فذكر ولاية اليمن فى عهد بنى أمية ، وبنى
العباس ، وأهم الدويلات التى انفصلت عن الدولة العباسية
والتي قامت فى بلاد اليمن ، وهكذا جاء كتاب غاية الأمانى
سجلا حافلا لتاريخ اليمن حتى سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م .^(١)

وقد أفاد هذا الكتاب البحث فى العديد من المعلومات
وخاصة فيما يتعلق بعلاقة أمراء الهواشم بالدولة الصليحية
وبالأخص فى عهد الأمير على الصليحي ودوره فى تثبيت الهواشم
فى إمارة مكة وتوسعاته فى البلاد الحجازية .

ويعتبر كتاب عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب :

للنسابة جمال الدين أحمد بن على الحسنى المعروف بابن
عزبه المتوفى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م من أهم المصادر الهامة
لدراسة تاريخ أشراف مكة من بنى الحسن ، وبهذا الكتاب
معلومات قيمة عن نسب هؤلاء الأشراف لم ترد فى سواه من الكتب
الأخرى .

ومن الكتب المهمة التى رجعت إليها كتاب :

(١) يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الأمانى فى أخبار
القطر اليمانى تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٣٨٨هـ/
١٩٦٨م ، ٩٠٨،٧/١ .

الدرر القرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة :

لعبد القادر بن محمد الجزيري المتوفى سنة
٩٧٧هـ/١٥٦٩م .

وقد ذكر المؤلف في كتابه أسماء أمراء الحج الذين
قدموا الى مكة منذ عهد الرسالة المحمدية الى سنة
٩٧٢هـ/١٥٦٤م ، وقد أمد هذا الكتاب البحث بكثير من
المعلومات الهامة عن أمراء الحج ودورهم في العلاقات
العباسية المكية ، كما أنه أفاد البحث أيضا في دراسة
الأحداث الداخلية بمكة في عهد الهواشم ، وموقف أمراء
الهواشم من هجمات الأعراب وعبيد مكة على حجاج بيت الله
الحرام .

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف بتاريخ المستبصر :

لجمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب المعروف بابن
المجاور المتوفى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م .^(١)
وقد أفدت من هذا الكتاب في دراسة الحياة الاجتماعية
والاقتصادية بمكة زمن الهواشم ، كما أفدت منه ببعض
المعلومات المتعلقة بأمراء مكة ، تلك المعلومات التي لم
تجد عند غيره من المؤرخين . لقد أفاد البحث في قمة بناء

(١) بشير إبراهيم بشير : ابن المجاور ، دراسة تفويمية
لكتابه تاريخ المستبصر ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية
الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ٤١/٢ .
(٢) وعمما تضمنه هذا الكتاب وأهم الملاحظات على أسلوب
المؤلف انظر المرجع السابق ص ٤٣-٥٠ .

الامير هاشم بن قليته مدينته المعروفة بمربعة الامير ، وقد
رسم المؤلف رسماً وضع فيه موقع تلك المدينة بالنسبة لمكة
المكرمة .

وكان لكتب الرحالة جانب كبير من الأهمية في هذا البحث
وتعتبر من أهم المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها لأن هؤلاء
الرحالة يعتبرون شاهد عيان لكثير من الأحداث التي وقعت
بمكة المكرمة .

ومن أهم هذه الكتب :

سفر نامة :

تأليف الرحالة ناصر خسرو .

وتعد هذه الرحلة من أقدم الرحلات وقد ولد ناصر خسرو
سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م ، وبدأ رحلته التي دامت سبع سنوات من
سنة ٤٣٧ - ٤٤٤هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٢م من مدينة مرو بخراسان حتى
وصل إلى بلاد الشام وفلسطين ومصر وقدم إلى مكة ومكث بها
مجاورا من غرة رجب سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م إلى العشرين من ذي
الحجة في العام نفسه وكان قدومه إليها في عهد الإمارة
الموسوية وخاصة أيام الأمير شكر بن أبي الفتوح .

وقد أفادت هذه الرحلة البحث في كثير من المعلومات
القيمة وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الموسويين بالخلافة
الفاطمية ومقدار الأعطيات والنفقات التي كان يرسلها
الخلفاء الفاطميون إلى مكة .

وتعتبر رحلة ابن جبير :

المتوفى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، والمسماه :

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسعار :

من أهم المصادر الأساسية لدراسة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمكة في القرن السادس الهجري ، وقد قدم ابن جبير إلى مكة في عهد الأمير مكتر بن عيسى (٥٧١ - ٥٩٧هـ / ١١٧٥ - ١٢٠٠م) وقت أن كانت إمارة مكة تحت إشراف ونفوذ الدولة الأيوبية وقد أفادت تلك الرحلة البحث في كثير من الحوالب خاصة فيما يتعلق بموقف الأمير مكتر بن عيسى من الدولتين الأيوبية والعباسية ، وأهم الأحداث الداخلية بمكة في تلك الفترة ، كما أفادت البحث فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية وأهم العادات الدينية في مكة المكرمة .

رحلة ابن بطوطة :

المسماه تحفة النظار في غرائب الأممار وعجائب الأسفار للرحالة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م .

قدم هذا الرحالة إلى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج في سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م وكان دخوله إليها في عهد الأميرين أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة أبناء الأمير أبي نمر (١) ابن علي بن قتادة الحسني ، وعلى الرغم من أن هذه الرحلة كانت متأخرة عن فترة البحث إلا أنها قد أفادت كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية بمكة المكرمة .

(١) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٦٩ .

تمهيد

أوضاع مكة الداخلية
وعلاقاتها الخارجية
قبيل عهد الواشم

لقد شهدت مكة المكرمة ثورات علوية عديدة ، تزعمها بعض العلويين الطامحين الذين كانوا يطالبون بالخلافة ، والذين كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم أصحاب حق مفهوم يجب استرداده من أبناء عمومتهم العباسيين الذين سلبوا منهم تلك الخلافة .^(١) وأصبحت مكة والمدينة موطنا لثوراتهم ضد الخلافة العباسية التي أخذت على عاتقها محاربة تلك الثورات العلوية والقضاء عليها وعلى زعمائها ومدبريها . ولكن تلك الانتصارات العباسية قد أعطت للعلويين الاصرار والعزيمة على مواصلة تحركاتهم ، وتحقيق أهدافهم ، إذ أخذوا يتحينون الفرص المواتية لهم لتحقيق مآربهم في الاستيلاء على بلاد الحجاز واعلان الخلافة لانفسهم . ففي الوقت الذي شغل فيه العباسيون بالفتن والانقسامات والثورات الداخلية التي أثارها الاتراك ضدهم وذلك في نهاية القرن الثالث الهجري^(٢) (التاسع الميلادي) شار أحد العلويين الطامحين الى النفوذ والسلطان من بني سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهذا الشائر هو محمد بن سليمان بن داود^(٣)

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط ٣ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ١٧٤٠٧٥ ، ١٧٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ؛ سليمان عبد الغنى مالكي بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٣ .
- (٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٣ / ٥ ؛ تقى الدين محمد بن أحمد بن علي القاسي : شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ / ٢ .
- (٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ؛ ريتشارد مورتليل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٣ .
- (٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧١م ، ٩٩ / ٤ ؛ أبي العباس أحمد القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، ٢٦٧ / ٤ ؛ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ط ٣ ، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ص ١٠ .

(١)
 الملقب بالزیدی وذلك نسبة الى مذهبه الذي كان يعتنقه ،
 فاعلن خروجه واستقلاله عن طاعة الخليفة العباسي المقتدر
 بالله ، وخطب لنفسه بالامامة أمام جموع غفيرة من الحجاج^(٢)
 الذين قدموا لاداء فريضة الحج ، وذلك في عام ٣٠١هـ / ٩١٣م
 وقال في خطبته : "الحمد لله الذي أعاد الحق الى نظامه ،
 وأبرز زهر الايمان من أكمامه ، وكمل دعوة خير الرسل
 بأسباطه لأبني أعمامه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين
 وكف عنهم ببركته اساءة المعتدين ، وجعلها كلمة باقية في
 عقبه الى يوم الدين " .^(٣)

ثم انشد قصيدة تضمنت التهديد والوعيد للعباسيين ،
 ويبدو انه قد أراد أن يجمع حوله مجموعة كبيرة من المؤيدين
 والمناصرين له ، وحاول أن يستنهضهمم بتلك القصيدة
 لمحاربة العباسيين وقال في قصيدته هذه :

لاطلبين بسيفي	من كان للحق ديناً
واسطون بقوم	بغوا وجاروا علينا
يهدون كل بلاء	من العراق الينا ^(٤)

وعلى الرغم من عزم واصرار ذلك الشائر على محاربة
 العباسيين ، وذلك مايشهف من تلك القصيدة ، الا أن المصادر

(١) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العمامي : سمط
 النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة

١٩٢/٤ .
 (٢) عمر بن مهدي : اتحاف الوري بأخبار أم القرى ، ط ١ ،
 القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ٣٦٢/٢ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها ؛
 أحمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية
 (٣٠١ - ٤٨٧هـ) ، ط ١ ، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٢٣ .

(٤) ابن مهدي : المصدر نفسه ، ٣٦٢/٢ ؛ أحمد زيني دحلان :
أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول صلى
 الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي ، بيروت ،
 ص ٢٧ .

التي بين أيدينا قد أهملت وتجاهلت الحديث عن مصير تلك الحركة العلوية الجديدة .

ولعل سكوت المصادر عن مصير تلك الثورة يوحي بعدم نجاحها أو لعلها كانت قصيرة لاتستحق عناية المؤرخين بها ،^(١) وقد يفهم من الاشارات التي وردت في بعض المصادر انه لم تنجح تلك الحركة العلوية ، ولم تستمر الا فترة قصيرة من الزمن قد لاتتجاوز العامين ، ومما قد يؤكد ذلك أن امارة مكة المكرمة قد عادت مرة أخرى الى النفوذ العباسي ، وأخذ يفد اليها الامراء المعينون من قبل الخلافة العباسية فقد كان الامير عج بن حاج ، وهو من موالى الاتراك المقربين في لبلاط العباسي أميرا على مكة قبيل وفاته سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ، فلما توفي عين أخوه بدلا منه ، وقد ذكر ابن الاثير أن الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي أمير مكة والموسم قد توفي سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م وعين ابنه عمر مكانه ، كما أن نصرا الحاجب قد حج الى مكة سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م وأمر بعزل وتنحية نزار بن محمد عن امارة الحرمين وتعيين ابن ملاحظ بدلا منه ، وقد ذكر ابن كثير أيضا أن أحمد بن عبيد الله الخطيب الحمصي وريث الخليفة العباسي المقتدر قد أصدر في عام ٣١٣هـ/٩٢٥م أوامره الى أمير مكة علي بن عيسى بأن يكون مشرفا على ديار مصر وبلاد الشام . كما أن بعض المصادر قد ذكرت أن امراء

-
- (١) أحمد الساعى : تاريخ مكة ، ط ٦ ، مكة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
١/١٦٨ : الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٢٤ .
(٢) عريب بن سعد القرطبي : ملّة تاريخ الطبري ، بيروت ، ص ٧١ : الفاسي : شفاء الغرام ، ٢/٣٠٣ .
(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٦/١٦٥ .
(٤) عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
(٥) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ١١/١٥٣ .

الحج العراقي أخذوا يتتابعون على مكة طيلة تلك الفترة دون انقطاع أو توقف يذكر . فكل ذلك يؤكد عدم نجاح محمد بن سليمان في ثورته التي قام بها بمكة والتي لم تستمر طويلا .^(١)
 إلا أن إمارة مكة المكرمة قد خرجت عن طاعة ونفوذ العباسيين مرة أخرى وذلك في الوقت الذي دخل فيه القرامطة مكة واستولوا عليها سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م . ولكن العباسيين استطاعوا بعد فترة وجيزة أن يعيدوا نفوذهم وسيادتهم على مكة المكرمة إذ أقيمت الخطبة على منابرها للخليفة العباسي القاهر وذلك في اليوم السابع من ذي الحجة لعام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م .^(٢)

ثم أقيمت الخطبة بعد ذلك للخليفة العباسي الراضي بالله وذلك في عام ٣٢٧هـ / ٩٣٨م . وبعد وفاته خطب بمكة لأخيه الخليفة العباسي المتقي لله سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م .^(٣)
 ولكي يضمن العباسيون بقاء نفوذهم وسيادتهم على مكة المكرمة فقد أسندوا إمارتها إلى والي الأخشيدي محمد بن طنج القائم بولاية مصر والشام في سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، وأخذ

-
- (١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٥٠/٦ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٥ .
 (٢) لقد ذكر محمد سرور خلاف ذلك حيث قال أن السليمانيين لم يستطيعوا حماية الحجاج من هجمات القرامطة المتكررة على مكة ، فهو بذلك يبرهن على أن حركة محمد بن سليمان قد نجحت واستمرت حتى استولى القرامطة على مكة سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م .
 أنظر : محمد سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ١٠ ، الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٢٥ .
 (٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٠/٤ .
 (٤) ابن فهد : أتحاف الوري ، ٣٨٢/٢ - ٣٨٣ .
 (٥) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ٦٨/٤ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ١٣ .
 (٦) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والمصححة نفسها ؛ العماسي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٤/٤ .
 (٧) العماسي : شعاع الخرام ، ٣٠٥/٢ .

الآخشيديون يعيّنون عليها أمراء من قبلهم ومن هؤلاء الأمراء الذين حفظت لنا المصادر أسماءهم الأمير أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي الذي كان أميراً عليها سنة (١) ٣٣٨هـ / ٩٤٩م ، وأصبح اسم الآخشيديين يذكر في الخطبة مع اسم الخليفة العباسي لا ينافسهم على ذلك أي منافس حتى ظهر البويهيون على مسرح الأحداث السياسية وخاصة بعد استيلائهم على مدينة بغداد في عام ٣٣٤هـ / ٩٤٥م فبدءوا منذ تلك الفترة في منافسة الآخشيديين على الخطبة بمكة فتذكر المصادر أن الخطبة بمكة في ذلك العام قد أقيمت للخليفة العباسي المطيع لله ولمعز الدولة بن بويه . (٣)

وأصبحت مكة المكرمة بعد ذلك مسرحاً للنزاع القائم بين البويهيين والآخشيديين وذلك مما أدى إلى قيام عدة معارك بينهما حيث كان أمير الحج الممري يحرم على أن تقام الخطبة للآخشيديين ، بينما حرص أمير الحج المراقى على ذكر اسم البويهيين بجانب اسم العباسيين . وقد انتهى ذلك النزاع بتلك الاتفاقية التي أبرمت بين الطرفين سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م على أن تكون الخطبة بمكة خاصة للخليفة العباسي وحده . (٥)

أن السيادة الآخشيديّة على مكة قد عادت من جديد وذلك في عهد كافور الآخشيدي الذي أصبحت الخطبة تقام له على منابر مكة (٦)

-
- (١) الفاسي : المصدر السابق ، ٣٠٦/٢ : الريلى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٣٣ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣١٦/٦ .
 (٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ٣٩٢/٢ .
 (٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٠/٤ .
 (٥) ابن فهد : المصدر السابق ، ٤٠٠/٢ .
 (٦) حكم كافور ولاية مصر من سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م إلى سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٧م .

(١) وبلاد الحجاز ، واستمرت تلك السيادة على مكة حتى نهاية
(٢)
النفوذ الاخشيدى على مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م .

-
- (١) الفاسى : شفاء الغرم ، ٢/ ٣٥٠ - ٣٥١ ؛ مسورتيل :
الاحوال السياسية بمكة ، ص ١٤ .
(٢) جمال الدين محمد جار الله بن ظهيرة : الجامع اللطيف
فى فمل مكة وأهلها وبلد البيت الشريف ، ط ٢ ،
القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م ، ص ٣٠٥ .

امارة الموسويين على مكة المكرمة :

لقد دخلت مكة المكرمة مرحلة جديدة فى علاقاتها الخارجية ان برزت امارة علوية جديدة فى اواخر العهد الاخشيدى ، وهذه الامارة هى امتداد بلاشك للمحاولات والثورات العلوية السابقة التى ظهرت بمكة المكرمة ، وقد عرفت هذه الامارة باسم امارة الموسويين أو بنى موسى .^(١)

ولقد عرفوا بذلك نسبة الى جدهم موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، كما أنهم عرفوا أيضا باسم الجعافرة وذلك نسبة الى أول من تولى امارة مكة منهم وهو جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .^(٢)

ولقد استطاع هذا الأمير أن يؤسس له امارة بمكة المكرمة وذلك فى عام ٣٥٨هـ / ٩٦٨م وهى الفترة التى أعقبت

(١) جمال الدين أحمد بن على الحسينى المعروف بابن عتبة : عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب ، مجموعة الرسائل الكمالية (٨) فى الأنساب ، القاهرة ، ص ٢٢٥ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٢٨ .

(٢) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسى : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ٥ ، القاهرة ، ٤٧/١ ؛ ابن عتبة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ابن عتبة : المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ ؛ مورثيل : الاحوال السياسية بمكة ، ص ١٦ .

وقد اختلف المؤرخون حول اسم جد جعفر هذا فذكر بعضهم كابن حزم الاندلسى فى كتابه جمهرة أنساب العرب ٤٧/١ ، والفاسى : المعتمد الثمين ٤٢٩/٣ ، وابن ظهيرة فى كتابه الجامع اللطيف ص ٣٠٥ ، أن اسمه الحسن. ولكن المقريزى فى كتابه اتعاظ الحنفاء ٢٢٥/١ ، وابن عتبة فى كتابه عمدة الطالب ص ٢٢٢ ، وزامباور فى كتابه معجم الأنساب والاسرات الحاكمة ص ٣٠ ، وأيوب مبرى باشا فى كتابه مرآة جزيرة العرب ١١٢/١ . ذكروا أن اسمه الحسين وليس الحسن .

(١)
 وفاة كافور لاخشيدى ولعله أدرك قوة كافور الاخشيدي فلم
 يجرؤ على اعلان قيام امارته فى تلك الفترة السابقة لوفاته
 وانما فضل الستريث حتى سنحت له الفرصة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م
 وذلك حينما استطاع القائد الفاطمى جوهى المقللى أن يدخل
 مصر ويعلن قيام الخلافة الفاطمية بها فانتهز الامير جعفر
 هذه الفرصة وقدم من المدينة مسرعا واستولى على مكة
 المكرمة فى ذلك العام ، هذا وكان للفتنة الكبيرة التى
 حدثت بين بنى الحسن وبنى جعفر بالمدينة ، وما أعقبها من
 قلاقل واضطرابات ، أثر كبير فى عزمه على مغادرة المدينة
 والتوجه الى مكة للاستيلاء عليها . والغريب فى الامر أن هذه
 الحركة العلوية الجديدة قد جاءت متزامنة مع الوقت الذى
 دخل فيه الفاطميون مصر واستولوا عليها وكان جعفر بن محمد
 قد أراد أن يستغل هذه الظروف المتمثلة فى تدهور الأوضاع
 الداخلية بمصر فى أواخر العهد الاخشيدي ومانتج عن ذلك من
 سقوط الدولة الاخشيدي واستيلاء الفاطميين على مصر فبادر
 فور دخوله الى مكة باقامة الخطة للخليفة الفاطمى المعز
 لدين الله فمئذ تلك الفترة دخلت علاقات مكة الخارجية مرحلة

- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٠٦/٢ .
 (٢) ابن حزم : المصدر السابق ، ٦٩/١ ؛ ابن خلدون :
العبر ١٠١/٤ ؛ تقى الدين أحمد بن على المقرئى :
اتعاضد الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ،
 تحقيق جمال الدين الشيبلى ، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ،
 ١٠١/١ ؛ أيوب مبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، تقديم
 وترجمة أحمد فؤاد متولى وآخر ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٣هـ
 / ١٩٨٣م ، ٨٧/١ - ٨٨ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام
 ص ٢٨ .
 (٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٦٩/٤ .
 (٤) تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى : العقد الثمين
فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد حامد فقى ،
 القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ، ١٨٦/١ ؛ المقرئى : المصدر
 السابق نفسه والصفحة نفسها .

جديدة حيث كان ذلك اذانا ببدء حلقة طويلة من الصراع والتنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة والخطبة بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة وذلك طوال عهد امارة الموسويين ومن تلاهم من الحكومات العلوية الاخرى .
ولكن السؤال الذى قد يتبادر الى الذهن هو ما السبب الذى جعل ذلك الامير العلوى يعلن ولاءه وتبعيته للخلافة الفاطمية فور استيلائه على الامارة ؟

يمكن القول بأن شمة عوامل قد جعلت الامير جعفر بن محمد يبادر باقامة الخطبة للفاطميين وهى : خوفه من الخلافة العباسية التى أخذت على عاتقها محاربة أى ثورة علوية والعمل دون نجاحها وتوسعها فتراد أن يضع بجانبه قوة يمكن الاعتماد عليها فى حالة تعرضه لآى هجوم خارجى قد يقع على بلاده ، كما أنه قد أدرك أن العباسيين لا يمكن أن يعترفوا به وبباركوا له استقلاله بأى حال من الأحوال لذلك اتجهت أنظاره الى الفاطميين الذين كانوا لا يهمهم الا أن تقام الخطبة باسمهم فى الحرمين الشريفين وذلك ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الاسلامى ويضعفوا من شأن الخلافة العباسية .

هذا بالإضافة الى أن ذلك الامير الموسوى قد أدرك أن انضمامه الى الخلافة الفاطمية سيحقق لمكة وأهلها مكاسب سياسية واقتصادية ، وقد صدقت توقعاته فما أن علم الخليفة

-
- (١) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٤١ .
(٢) محمد لبیب البیتونى : الرحلة الحجازية ، ط ٣ ، ص ٧٣ .
(٣) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ١٤ .
(٤) الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

المعز لدين الله بحسن ولاء أمير مكة تجاهه حتى بادر بإرسال سجل له يقضى بتقليده مكة والمناطق التابعة لها ، كما قام بإرسال مبعوث من قبله وكلفه بتفريق عشرين حملاً من الأموال على أمراء مكة وأهلها ، وهناك عامل آخر ربما يكون سبباً في ميل الأمير جعفر بن محمد للفاطميين وهو ذلك الموقف ، الذى بدر من الخليفة الفاطمى المعز أثناء إقامته بالمغرب إذ أكد للحسنيين حسن نواياه تجاههم وعزمه على الوقوف بجانبهم حيث قد بلغه خبر الحرب التى وقعت بين بنى الحسن وبنى جعفر بن أبى طالب بالمدينة سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م فممم المعز على انتهاء ذلك النزاع القائم بين الطرفين بالحسنى واللين فأرسل اليهم وفداً للتباحث مع رؤسائهم فى أسباب ذلك النزاع والعمل على حله بشتى الوسائل الممكنة وقد وُفِّقَ ذلك الوعد فى إزالة هذا الخلاف فأصلح بينهما وتكفل المعز بدفع دية قتلى الطرفين من ماله الخاص ، فسر بنو الحسن بذلك الصلح وأخذوا يكتنون للخليفة الفاطمى المعز كل محبة وولاء وامتنان ولكن سرعان ما اختلت تلك العلاقة الفاطمية المكية وذلك سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م حينما استنطاع أمير الحج العراقى أبو أحمد الحسين بن موسى الحسينى ومعه الحسين بن أحمد

- (١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ١٠١/١ ؛ الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
 (٢) ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ، ٦٩/١ ؛ العمامى : سمط النجوم العوالي ، ١٩٥/٤ ؛ يوسف ابن أحمد : المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، ٢٢١/١ .
 (٣) المقرئى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ العمامى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

القرمطي أن يقيما الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المطيع لله وللقرامطة الهجريين الذين كانوا قد ساءت علاقتهم بالفاطميين في تلك الفترة ومالوا الى جانب العباسيين . ولكن الخليفة الفاطمي المعز لم يقف مكتوف الأيدي أمام تلك التحركات العباسية فقد جهز قوة عسكرية كبيرة وأمر حلفاءه بنفسى الحسين حكام المدينة بمراقبة ومساندة تلك القوة المتجهة الى مكة المكرمة وذلك لاعادة السيادة الفاطمية عليها من جديد ولكن هذه الحملة العسكرية قد منيت بالفشل اذ استطاع القرامطة الذين ساندوا أمير مكة أن يلحقوا بالقوات الفاطمية هزيمة قاسية وذلك ما أجبرهم على الهروب الى المدينة ومنها الى القاهرة . هذا وقد استمرت الخطبة بمكة تقام للخليفة العباسي المطيع لله حتى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م عندئذ لجأ المعز الى سياسة حكيمة أدرك نجاحها خلفاؤه من بعده فساروا عليها وهي الاحالة دون وصول أمير الحج العراقي وأتباعه الى مكة وذلك بتحريض القبائل القاطنة على طريق الحج العراقي على الاعتداء على الحجاج العراقيين ومنعهم من التوجه الى مكة المكرمة وذلك لكي لا يتمكن أميرهم من اقامة الخطبة بها للخليفة العباسي وهكذا تحقق للخليفة الفاطمي المعز ما كان يريده وينشده حيث أقيمت

-
- (١) عماد الدين اسماعيل أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، ١١١/٢ ، الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٦/١ ، الزيلعي : مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ٤٣ .
- (٢) العماسي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٥/٤ .
- (٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٥٢/٢ .
- (٤) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤١٠/٢ ؛ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الانصاري الجزيري : السدر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط ١ ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ ، ٥٢٤/١ ، الزيلعي : المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ .

له الخطبة على منابر الحرمين الشريفين فأحص بعد ذلك بقوة نفوذه على مكة وبدأ بالتدخل فى شئونها الداخلية ورأى أن تلك الرابطة السياسية التى تربط بينه وبين أمراء مكة وأهلها لابد أن تعزز وتقوى وذلك لا يتم إلا بوجود رابطة دينية وروحية تجمع بينهما فشرع يعمل على نشر المذهب الاسماعيلى فى مكة المكرمة ، فأصدر أوامره بزيادة عبارة "حى على خير العمل" فى الأذان بمكة المكرمة .^(٣)

وقد نجحت تلك السياسة واستمر الدعاء له على منابر الحرمين الشريفين حتى وفاته سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ، ثم تولى الخلافة من بعده ابنه العزيز بالله ، وقد تولى فى ذلك العام أيضا أمير مكة جعفر بن محمد فتولى إمارة مكة بعده ابنه عيسى الذى يبدو أنه كان مخالفا لسياسة والده فى تبعيته للقاطميين فقد أمر فور توليه الإمارة بأن تقطع الخطبة عن القاطميين ، ولم توضع لنا المصادر التى بين أيدينا أسباب ذلك التحول فى العلاقات ولكن ربما يكون ذلك بسبب انخفاض الذيل الأمر الذى أدى الى توقف المعونات المصرية عن مكة ولكن الخليفة القاطمى الجديد ساء ذلك الخبر وعزم على إعادة سيادته على مكة بالقوة فبادر بإرسال قوة عظيمة يتزعمها القائد باديس بن زيرى المنهاجى ويبدو أن أمير مكة قد منعه من الدخول مما اضطره الى فرض

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ، ٥٨/٧ .
 (٢) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تفرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ١٤١/٤ - ٢١٤ .
 (٣) أحمد السباعى : تاريخ مكة ، ١٩٢/١ ، الزيلعى : المرجع السابق نفسه ، ص ٤٤ .
 (٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٨٠/١١ .
 (٥) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٠٧/٢ .
 (٦) ابن تفرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ١١٠/٤ ؛ مالكى : بلاد الحجاز ، ص ٣١-٣٢ .

حمار عليها مدة لم تحدد لها المصادر، فظهر أثر ذلك الحمار على الأوضاع الداخلية بمكة حيث انعدمت المؤن بها وعلت الاسعار في أسواقها فسارع أهالي مكة الى الاستنجد بأميرهم عيسى وطلبوا منه تحقيق مطالب الفاطميين واقامة الخطبة للخليفة العزيز بالله فحينما رأى أمير مكة رغبة قومه وأدرك أن الأمور تجري لغير صالحه سمح باقامة الخطبة للخليفة الفاطمي وحده على منابر مكة فأحس العزيز بعد ذلك بقوة موقفه فبدأ بالتدخل في شئون مكة الداخلية حيث قام بتعيين على بن النعمان بن محمد بن منمور بن حيون قاضيا على الحرمين وذلك سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م ، واستمرت الخطبة بعد ذلك من نصيب الخليفة الفاطمي وحده حتى سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م . ففي موسم حج ذلك العام أقيمت الخطبة بمكة للخليفة العباسي الطائع لله ولعبد الدولة بن بويه الذي استطاع أن يجبر أمير مكة على أن يقيم الخطبة له وللخليفة العباسي على منابر مكة ، وكانت هذه آخر خطبة تقام للعباسيين بمكة في عهد الامارة الموسوية والسبب في ذلك ربما يكون راجعا الى انتظام الحكومة المصرية في ارسال النفقات والاعطيات الى أمراء مكة الذين بدأوا يخلعون ، بل

- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤١٣/٢ ؛ الجزيري : الدرر القرائد ، ٥٢٨/١ .
- (٢) شمس الدين السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ٢٦٦/٣ ، ٢٦٧ .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ٩٠/٧ - ٩٣ .
- (٤) الجزيري : المصدر السابق ، ٥٢٩/١ ؛ العمامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٥/٤ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٤٥ .
- (٥) ابن دقماق : الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، ص ١٥٠ ؛ ابن فهد : المصدر السابق ، ٤١٦/٢ ، مورتيل : الاحوال السياسية بمكة ، ص ١٧ .

ويظهرون ولاءهم التام والمطلق للخلفاء الفاطميين وتجلى ذلك فى رفض ولى عهد أمير مكة الأمير أبى الفتوح الحسن بن جعفر الذى عظم أمره فى عهد أخيه عيسى ، ذلك العرض الذى قدمه له الخليفة العباسى القادر بالله سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م والذى تمثل فى ضمان إمارة مكة له ولاسوته من بعده لقاء إقامة الخطبة للعباسيين . ولم يقابل أبو الفتوح ذلك العرض بالرفض فقط بل أنه أرسل الى الخليفة الفاطمى العزيز بالله يطلعه على تلك العروض والاغراءات العباسية فتأكد العزيز بذلك من حسن نوايا أمراء مكة تجاهه واستمر فى مواصلة ارسال النفقات والأموال اليهم كل عام ، وذلك مما قوى الترابط والعلاقات بينهما حتى ان أمير مكة عيسى بن جعفر قام بنفسه بزيارة الى مصر وذلك لمقابلة الخليفة الفاطمى والتباحث معه فى مستقبل العلاقات المكية الفاطمية وذلك فى محرم سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ولم يكن استقبال الخليفة الفاطمى العزيز لأمير مكة استقبالا عاديا وانما استقبله أحسن استقبال وأكرمه وأحسن اليه وعندما أراد العودة الى مكة فى جمادى الآخرة من العام نفسه أرسل معه الجوائز والخلع والأموال فسر أمير مكة بذلك الاكرام وعاد الى بلاده وقد أكن له كل محبة وولاء وإخلاص . فأدرك الفاطميون بعد ذلك حسن نوايا أمراء الموسويين تجاههم فقاموا بمكافأتهم على ذلك الولاء اذ أرسلت كميات كبيرة من المواد الغذائية كالقمح

(١) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٤٢١/٢ .

(٢) الجزيرى : المصدر السابق نفسه ، ٥٣٠/١ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ٢٥٢/١ : ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المقرئى : المصدر السابق نفسه ، ٢٨١/١ .

والشعير وسائر الحبوب الى اهالى مكة ، وأرسل أيضا محراب
 مذهب أمر بوضعه داخل الحرم المكى الشريف ولعل الفاطميين^(١)
 كانوا يهدفون من ارسال ذلك المنبر الى أن يظهروا لكافة
 المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن الفاطميين هم وحدهم الذين
 يقومون بخدمة الحرمين الشريفين أو لعلمهم كانوا يهدفون من
 ذلك أيضا الى تثبيت السيادة الفاطمية بمكة وضمن إقامة
 الخطبة لهم بالحرم المكى على ذلك المنبر .

كما رمدت الخلافة الفاطمية بعد ذلك مبالغ طائلة خصمت
 للإنفاق على أمراء مكة واهلها وقد بلغت هذه الاموال مائة
 ألف دينار وأخذت تزداد عاما بعد عام حتى بلغت ثلاثمائة ألف
 دينار وذلك فى عام ٣٨٢هـ / ٩٩٣م .^(٢)

واستمرت العلاقات الودية بين الطرفين حتى توفى الامير
 عيسى بن جعفر سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م فخلفه فى اماره مكة أخوه
 الحسن بن جعفر الملقب بابى الفتوح ذلك الذى كان يحتمل^(٣)
 بالقوة والشجاعة ، ولقد مكنته تلك الصفة من توسيع رقعة
 امارته حتى وصلت المدينة المنورة شمالا ، وحدود اليمن
 جنوبا .^(٤)

(١) المقرئى : المصدر السابق ، ٢٤٦/١ .
 (٢) المصدر نفسه ، ٢٥٢/١ ؛ مورثيل : الأحوال السياسية ، ص ١٨
 (٣) أبو العباس أحمد القلقشندي : مآثر الانباة فى معالم
 الخلافة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ٣٢٦/١ ؛ ابن فهد :
 اتحاف الوري ، ٤٢٣/٣ .
 (٤) أبو عبيد الله البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك
 والمسالك ، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، ط ١ ،
 الكويت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٤٩ .

وقد سار أبو الفتوح في بداية عهده على نهج سياسة أخيه عيسى في علاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية فقد رفض جميع المحاولات العباسية التي تدور حول إقامة الخطبة لهم على منابر مكة، واستمر مواليا للفاطميين ومخلصا لهم فقد أمر بأن تقام الخطبة على منابر مكة والمشاعر المقدسة لل خليفة الفاطمي الجديد الحاكم بأمر الله الذي حرص هو الآخر على مواصلة ارسال النفقات المقررة لامراء مكة وأهلها. هذا وقد ساءت العلاقات المكية الفاطمية سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م وذلك بسبب خروج أبي الفتوح عن طاعة الفاطميين وعلان نفسه خليفة على لمسلمين ولم يكن قرار أبي الفتوح هذا الابتزازي وغراء من الوزير أبي القاسم حسين بن علي المغربي الذي كان ناقما على الخليفة الحاكم وذلك بسبب قتله أباه وإخاه وأعمامه وأراد قتله هو الآخر ولكنه تمكن من الفرار الى بنى الجراح في الرملة بفلسطين ، وكان آل الجراح يشجعون

- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٢٤/٢ ؛ الجزيري : السدر العرائد ، ٥٣٠/١ - ٥٣١ .
- (٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
- (٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ٢٤٠، ٢٠، ١٥٠، ٨/٢ .
- (٤) لقد اختلف المؤرخون في تاريخ اعلان أبي الفتوح للخلافة فذكر القلقشندي في كتابه مآثر الانباة ٣٢٦/١ ، والمبداغ في كتابه تحميل المرام ص ٢١٦ - ٢١٧ ، وابن خلدون في كتابه العبر ١٠١/٤ - ١٠٢ أن ذلك الاعلان كان سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م . بينما انفرد ابن الاثير في كتابه الكامل ١٥٧/٧ برواية ذكر فيها أن ذلك الحدث قد تم سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، ولكن أكثرية المؤرخين كابن كثير في كتابه البداية والنهاية ٣٤٤/١١ ، وابن عنبه في كتابه عمدة الطالب ص ٢٣٣ ، والجزيري في كتابه الدرر ٥٣٦/١ ، والمقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا ٨٧/٢ - ٩٥ والرشيد في كتابه حسن المفا والابتهاج ص ١١٢ ، وابن فهد في كتابه اتحاف الوري ٤٣٦/٢ جميع هؤلاء قد ذكروا وأجمعوا على أن أبي الفتوح قد أعلن الخلافة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ١٠١/٤ - ١٠٢ .

الخائرين على الخلافة الفاطمية ويؤيدونهم وذلك بسبب سوء
علاقتهم بالفاطميين في تلك الفترة لانهم كانوا يطمعون في
تكوين حكومة مستقلة لهم، فحينما رأى الوزير رغبتهم
في تحقيق ذلك اشار عليهم باستدعاء أمير مكة أبى الفتوح
ومبايعته بالخلافة ليستطيعوا تحقيق جميع أهدافهم التي
يرمون اليها فوافقه حسان بن مفرج بن دغفل الطائى ، زعيم
آل الجراح ، على ذلك الرأى وكلفه بالمسير الى مكة لتحريض
أبى الفتوح على اعلان الخلافة وتقديم كافة الاغراءات له
للخروج من الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فاسافر أبو
القاسم الى مكة وعرض الامر على أبى الفتوح الذى لم يبد أى
اعتراض على ذلك الرأى وخاصة بعد مشاورته لكبار الحسنيين
الذين شجعوه على تنفيذ هذه الفكرة لانهم هم وجميع أهالى
مكة المكرمة كانوا ساخطين كل السخط على الحكومة الفاطمية
وذلك بسبب تلك الاوامر الفاطمية التى أصدرها الحاكم واتى
تتضمن اجبار أبى الفتوح على التوجه الى المدينة المنورة
لفيش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر وعمر
رضى الله عنهما وارسالهما الى مصر . كما أمره أيضا بقراءة
السجل لذى أرسله له والذى انقص فيه بعض أصحاب رسول الله

(١) أمينة بيطار : موقف أمراء العرب بالشام والعراق من
الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجرى ، ط ١ ،
بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٨٣ - ٨٥ .

(٢) العماسى : سمط النجوم العوالى ، ١٩٦/٤ ؛ الزيلعى :
مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٢ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٦/٢ .

(٤) جمال السدين على بن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ،
ضمن مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية
بالقاهرة ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٥) أمينة بيطار : المرجع السابق نفسه ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٦) الجزيرى : الدرر الغرائد ، ٥٣٢/١ - ٥٣٣ .

لقد جاءت هذه الاوامر الفاطمية مفعلة زوال الأمر ابى الفتوح الذى استغل هذه الاوامر
وتنام بإزالة بن الحسين عن الحكم بمدينة عن الإمارة ، ولكن ابى الفتوح لم ينفذ أوامر الحاكم بنفش
قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب الرياح الشديدة التى اجتاحت المدينة فى تلك الفترة
فصار ابى الفتوح الى مكة بمكره ، وعاد بنو الحسين إلى إمارة المدينة من جديد . انظر
ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٦/٢ ، ص ٤٤٧ .

صلى الله عليه وسلم ، وجرح بعض أزواجه عليه أفضل الصلاة
 وأزكى التسليم ، كما أنه قد أجبر أهالى مكة على القيام له
 عند ذكر اسمه والسجود له . وبدهى أن تشير هذه الاوامر
 مشاعر وقلوب جميع المسلمين لذلك فلاغربة اذن ان يعلن أبو
 الفتوح وكبار الحسنيين وجميع أهالى الحرمين خروجهم عن
 طاعة الدولة الفاطمية .^(١)
^(٢)

ولم تبق بعد ذلك أمام أبى الفتوح أى مشكلة تحول بينه
 وبين تنفيذ مخططه الجديد سوى قلة الامكانات المادية التى
 تكفل له نجاحه فاقترح عليه الوزير أبو القاسم أخذ مافى
 الكعبة من ذهب وفضة وتحويلها الى دراهم ودنانير كما جراه
 أيضا على الاستيلاء على تركة أحد تجار جدة ويدعى المطوعى
 وهو الذى عهد لأبى الفتوح قبيل وفاته بالمحافظة على تركته
 وتسليمها لورثته من بعده . وبعدما رأى أمير مكة أبو
 الفتوح أن كل الامور تجرى لصالحه أعلن نفسه خليفة وتلقب
 بالراشد بالله ، وسار الى الرملة ومعه الوزير أبو القاسم
 فحين وصوله اليها استقبله جميع آل الجراح أحسن استقبال
 وبايعوه بالخلافة وخطب له على منابر كثير من مساحد بلاد
^(٣)
^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ،
 ص ٦٩ - ٧٠ .
 (٢) ابن الاثير : الكامل ، ٢٣١/٧ ، ابن تغرى بردى :
 النجوم الزاهرة ، ٢٤١/٤ .
 (٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠١/٤ - ١٠٢ ، القلقشندى :
 صبح الاعشى ، ٢٦٩/٤ ، ابن فهد : اتحاف السورى ،
 ٤٣٧/٢ - ٤٣٨ .
 (٤) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٢٣ .
 (٥) ابن فهد : اتحاف السورى ، ٤٣٧/٢ .
 (٦) ابن الاثير : المعجم المأثور ، ١٥٧/٧ .

(١)
الشام .

وحينما سمع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهذه
الآخبار السيئة أدرك خطورة الموقف وعزم على حل تلك المشكلة
قبل تفاقمها وأيقن أنه لا يمكن حلها إلا بالسياسة واستخدام
المكر والحيل وذلك لقوة شوكة آل الجراح الذين ناصروا
أبى الفتوح في حركته ، فركز الحاكم على كسر جناحى أبى
الفتوح والقضاء على الأسس التى يعتمد عليها ويعتبرها ممددا
لقوته وهى قوة نفوذه بمكة وتأييد أهلها وعرب الحجاز له ،
بالإضافة إلى اعتماده على قوة آل الجراح ونفوذهم القوى ،
فأمر الحاكم بفرض حصار اقتصادى على مكة ومنع إرسال
المعونات إليها حتى يتخلى المكيون عن أبى الفتوح ويسلبوا
ولاءهم عنه فأصدر سجلا فى شعبان سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١م يقضى بمنع
السفر إلى مكة لأى غرض كان سواء أكان تجاريا أم دينيا .
أضف إلى ذلك قراره بعزل أبى الفتوح من إمارة مكة وتعيين
أبى الطيب داود بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبى الفاتك المسمى
عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بدلا منه . ولم يكتف
الحاكم بذلك بل أرسل إلى أمير مكة الجديد أموالا كثيرة وأمره
بأن يقوم بتوزيعها على القبائل ليصرفهم عن طاعة أبى الفتوح

-
- (١) الجزيري : السدر القرائد ، ٥٣٧/١ : المالكي :
بلاد الحجاز ، ص ٣٣ .
(٢) العمامي : سمط النجوم ، ١٩٦/٤ - ١٩٧ : الزيلعي :
مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٤ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٣٧/٢ - ٤٣٨ .
(٤) القلقشندي : مبج الأعشى ، ٢٦٩/٤ .
(٥) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ٩٠/٢ .
(٦) القاسي : شفاء الغرام ، ٣٠٩/٢ : العمامي : المصدر
السابق ، ١٩٧/٤ .

ويدعوهم الى اسدخول فى طاعته ، ونجح أبو الطيب فى تحقيق
 مطالب الحاكم فقد استطاع أن يصرف القبائل عن طاعة أبي
 الفتوح وبذلك ضعف شأن أبي الفتوح ومما زاد فى اضعافه أيضا
 ذلك الخطاب الذى بعثه الحاكم الى زعيم آل الجراح يطلب فيه
 التخلي عن أبي الفتوح ويغريه بالأموال والخلع الكثيرة اذا
 حقق له ما يريد فتغيرت نياتهم على أبي الفتوح الذى أيقن
 بخطورة الموقف وأدرك أن تخليهم عنه سيجعله فى موقف حرج
 قد يسبب له أسوأ العواقب فأراد انقاذ الامر قبل فوات الاوان
 فذهب الى الوزير أبي القاسم وأخبره بالامر وقال له : "أنت
 أوقعتنى وأغويتنى وأخرجتنى الى هؤلاء القوم الغدارين ،
 وأخرجتنى من بلدى ونعمتى وامرتى ، وجعلتنى فى أيدي هؤلاء
 ينفقون سوقهم بى عند الحاكم ويبيعوننى بيعا بالدراهم ،
 فيجب عليك أن تخلمنى كما أوقعتنى ، وتسهل سبيلى بالعودة
 الى الحجاز " ، فلم يجد أى مساعدة من الوزير أبي القاسم
 فذهب الى مفرج الطائى والد حسان واستنجد به وطلب منه
 مساعدته فى ايماله الى مكة ، والتوسط له عند الحاكم
 ليعيده لامارة مكة من جديد فكتب مفرج الى الحاكم يخبره
 بندم أبي الفتوح على ما فعله وبعده بعدم تكرار ذلك منه ،
 وهذا ماأسر الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله كثيرا وفرح

- (١) ابن الاثير : الكامل ، ١٥٧/٧ ، حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الدولة الفاطمية ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ م ،
 ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
 (٢) ابن الاثير : الممدر السابق والمفحة نفسها : الزيلعى :
مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٦ .
 (٣) ابن فهد : غاية المرام ، ٤٨٥/١ - ٤٨٦ .
 (٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٣٩/٢ - ٤٤٠ .
 (٥) الجزيرى : الدور الفرائد ، ٥٣٧/١ - ٥٣٨ .
 (٦) الفاسى : شعاء الغرام ، ٣٠٨/٢ .

بنجاح خطته فاستجاب لمطالب مفرج الطائي حيث عفا عن أبي
الفتوح وسمح له بعودته الى اماره مكة من جديد بشرط عدم
الخروج عن طاعة الفاطميين مرة أخرى والحرص على اقامة
الخطبة لهم على مناسبر مكة ، فأمر مفرج بعض رجاله بأن
يقوموا بإيصال أبي الفتوح الى مكة ، وبوصوله اليها هرب
بنو أبي الطيب عنها ، وتولى أبو الفتوح امارتها من جديد
وفور توليه الامارة أعلن ولاءه التام والمطلق للخليفة
الفاطمي الحاكم بأمر الله كما أمر بنقش اسمه على العملة
المتداولة بمكة المكرمة .^(١)

ومما هو جدير بالذكر أن علاقة أبي الفتوح بالخلافة
الفاطمية قد تحسنت كثيرا وبات ولاؤه واخلاصه للفاطميين
واضحا وخاصة بعد عودته من بلاد الشام فربما يكون قد أدرك
أن الخلافة الفاطمية هي وحدها القوة المسيطرة على العالم
الاسلامي في تلك العترة ومما قد يؤكد ذلك أنه حينما خذله
بنو الجراح لم تتطلع أنظاره الى الدولة العباسية لتخلصه
من تلك الازمة التي وقع فيها بل انه توسل بزعيم آل الجراح
ليملح بينه وبين الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله .

واستمر أبو الفتوح بعد ذلك محالما للفاطميين فلم يفكر
لحظة واحدة في الخروج عن طاعتهم ، بل أخذ يخطب للخليفة
الفاطمي الحاكم ثم لابنه الظاهر ثم للمستنصر حتى توفي

-
- (١) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٢٩ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٧٤/٤ .
(٣) العمامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٧/٤ .
(٤) المقرئ : اتعاض الحنقلا ، ٩٥/٢ ، عطية القوصي :
تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط
الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ١١٢ - ١١٣ .
(٥) القوصي : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م وبلغت مدة امارته على مكة المكرمة
 ستا وأربعين سنة كان خلالها مواليا للفاطميين ومخلما
 لهم الا في فترات قليلة وذلك وقت اعلانه للخلافة سنة ٤٠١هـ /
 ١٠١٠م .

ثم تولى امارة مكة من بعده ابنه تاج المعالي محمد
 شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر وقد تميز هذا الأمير
 الجديد عن غيره من الامراء الموسويين بتأييده للفاطميين
 وولائه واخلاصه لهم منذ توليه الامارة حتى وفاته فلم يلاحظ
 طوال عهده أى اتصال جرى بينه وبين العباسيين ببغداد
 والدليل على سوء علاقته بهم انقطاع ركب الحج العراقي من
 القدوم الى مكة طوال عهده وكان الأمير شكر بن أبي الفتوح من
 العلويين المتعصبين لعداوة العباسيين ويظهر ذلك من قميدة
 بعثها الى أبناء عمومته بنى الحسين حكام المدينة
 يحثهم فيها على موالاة الفاطميين والاخلاص لهم حيث يبدو أنهم
 كانوا قد خلعوا طاعة الفاطميين في تلك الفترة واقاموا
 الخطبة على منابر المسجد النبوي الشريف للخليفة العباسي
 القائم لذلك فقد كذب اليهم الأمير شكر هذه القميدة :
 (٥)

-
- (١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط ١ ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٥٩هـ ، ١٦/٨ ؛ القلقشندي : معجم الأعشى ، ٢٦٩/٤ ، يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الأمان في أخبار قطر اليماني ، ٢٤٥/١ .
- (٢) القلقشندي : مآثر الإنافة ، ٣٤٥/١ - ٣٤٦ .
- (٣) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٣ .
- (٤) القاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٠/٢ - ٣٦١ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠١/١ .
- (٥) ابن فضل الله العمري : مسالك الألبار ، مخطوط المكتبة السليمانية رقم ٣٤٣٦ استنبول ، ١٢/٢٤ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٩ .

بنى عمنا الادنيين قوموا تأملوا
غرائب ماياتى به البقى فى الاهل
نسيتم دماء بالمدينة اهدرت
وماكان فى فخ من الاسر والقتل
فميلوا لهم لادر لله دركم
وعاظوهم كأس المودة والوصل
وخلوا بنى بنت النبى بجانب
ولاتقمروا حتى تروا فرقة الشمل
وتأخذكم أيدي الشتات وتخرجوا
من احرم الشامى والحرم القبلى
وأما أنا مادام للسيف قائم
فلاأشترى عز العشيرة بالذل
فلاأرتقى الاذرى كل منبر
ولاأرتقى الا الذى يرتقى مثلى
أهدد للابناء مايرتضونه
واتبع آباءى الذين مضوا قبلى
ويبدو أن الامير شكر بن أبى العتوح لم يجد أذنا صاغية
من حكام المدينة لتحقيق رغبته فى موالاتهم للفاطميين
واسخطبة لهم فقد أخذوا يدينون بالولاء لبنى العباس هذا
بالإضافة الى أنهم قد قاموا بتأييد ومناصرة الفرقة الخارجة
على سياسة شكر فى موالاته للفاطميين لأن أهالى مكة المكرمة
فى تلك الفترة قد انقسموا الى فرقتين احدهما تؤيد الامير
شكر فى موالاته وعلاقته بالفاطميين ، والفرقة الاخرى تعارض
ذلك وتطالب باقامة الخطبة للعباسيين على منابر

(١) مكة وهذه الفرقة كانت تساندها وتشجعها حكومة بنى الحسين بالمدينة المنورة ، لذلك فقد أصبح الأمير شكر بن أبى الفتوح فى موقف لا يحسد عليه وخاصة أنه فى ظل تلك الظروف المتردية صدر محضر من ديوان الخليفة العباسى القائم بأمر الله سنة ٢٤٤ هـ وهذا المحضر فيه قدح فى أنساب الفاطميين حيث يذكر أنهم ديمانية خارجون عن الاسلام . فزاد ذلك المحضر من اضعاف موقف الأمير شكر بن أبى الفتوح واتباعه بمكة المكرمة ، ولكنه مع ذلك عقد العزم على الاستمرار فى موالاته للفاطميين والاخلاص لهم ، ولقد قدر له الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ذلك الموقف فقام بإرسال المعونات والصلوات اليه وذلك تشجيعا له فقد بلغ ما كان يرسله الى مكة ثلاثة آلاف دينار شهريا عدا الخيول والخلع التى كان يرسلها الى مكة مرتين فى العام (٤) الواحد .

ويبدو أن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله كان له دور كبير فى حل تلك الازمة السياسية التى عانى منها أمير مكة فى تلك الفترة فربما أنه قام بإمداد الأمير شكر بكل ما يحتاجه من لوازم الحرب حتى تغلب على الحسينيين حكام المدينة واتباعهم وبالتالي تمكن من الاستيلاء على المدينة والجمع بين الحرمين الشريفين وذلك فى (٥)

- (١) العمري : مسالك الألبان ، ١٢/٢٤ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٩ .
- (٢) الديمانية : أصحاب ديمان وهم طائفة من طوائف المجوس أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ٥٣/٥ .
- (٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩ .
- (٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٠م ، ص ١١٢ .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ ، شمس الدين السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، ٢٦٦/٣ - ٢٦٧

عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م بدليل قول ناصر خسرو وهو من معاصري تلك الفترة انه قد دخل جدة فى ذلك العام وهى تابعة لامير مكة شكر الذى هو أمير المدينة أيضاً . ونتيجة لولاء الامير شكر بن أبى الفتوح للدولة الفاطمية فاننا نرى كيف يمم أهالى مكة وجوهم صوب الاراضى المصرية حينما حلت بهم الازمة الاقتصادية وانتشر لقحط والغلاء فى بلادهم فهلك أناس كثيرون وذلك سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م . فهذا يدل دلالة واضحة على عمق الروابط المكية الفاطمية فى تلك الفترة الامر الذى انعكس بصورة ايجابية على موقف أهالى مكة من الفاطميين الذين نظروا الى الخليفة الفاطمى نظرة تقدير واحترام وتأييد ، وخاصة بعد ماأمر بأكرامهم وتوفير جميع متطلباتهم ، فاستطاع الخليفة الفاطمى المستنصر بالله أن يستغل تلك الفرصة فى جذب ولأء أهالى مكة للخلافة الفاطمية وهذا ماكان ييشده أمير مكة أيضاً فاستقرت بذلك الامور للامير شكر بن أبى الفتوح الذى استمر موالياً ومخلصاً للفاطميين حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م وكانت وفاته ايداناً بنهاية امارة أسرة الموسويين على مكة لأن الامير شكر لم ينجب أولاداً يخلفونه فى امارة مكة المكرمة .

- (١) خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٠ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ١١٠ - ١١١ .
- (٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٤٣٠/٢ .
- (٤) خسرو : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٣ .
- (٥) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ١٨١/٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ، ١٧١/١ .
- (٦) ابن فهد : غايية المسرام ، ٤٩٧/١ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة . ص ٢٣ .

الفصل الأول

قيام أسرة الهواشم بمكة المكرمة

- (أ) بداية نفوذ الهواشم بمكة المكرمة .
- (ب) أمراء الهواشم وسياستهم الداخلية .
- (ج) التنظيمات الادارية بمكة فى عهد الهواشم .
- (د) الصراع بين أمراء الهواشم وأثر ذلك فى التدخل الخارجى .

(أ) بداية نفوذ الهاشم بمكة المكرمة

لقد كانت وفاة أمير مكة شكر بن أبي الفتوح سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ايدانا بنهاية الامارة الموسوية على مكة تلك الامارة التي استمرت خمسة وتسعين عاما فقد انقضت هذه الاسرة بوفاة الأمير شكر حيث لم يكن هناك وريث يتولى امارة مكة من بعده . فاضطربت الاحوال الداخلية بها وظلت الامارة شائرة بدون أمير فترة من الزمن وذلك مما شجع بعض الطامحين على الاستيلاء عليها فقد تمكن أحد اتباع الأمير شكر وهو عبد له يدعى طراد بن أحمد، من الاستيلاء على امارة مكة مستغلا تلك الظروف المتدهورة بها والتمثلة في انقسام الاشراف وتفرق كلمتهم ، ولكن الأمور بمكة لم تتحسن في عهد ذلك الأمير بل ازدادت حدة الفوضى والاضطرابات فيها وذلك بسبب تلك المعارك والمنازعات التي دارت بين عبد شكر واتباعه من جهة وبين بنى أبي الطيب الاشراف واتباعهم من جهة أخرى فقد عارض هؤلاء امارة طراد حيث اعتبروه معتمدا لتلك الامارة التي يرون أنها حق لهم وحدهم ، لذلك فقد ظهر عزمهم الواضح والاكيد على استرداد حكم بنى عمومته على مكة من جديد فوقفوا جميعا في وجه ذلك العهد حتى استطاعوا التغلب عليه وعلى اتباعه فقاموا باقماشه وابعاده عن امارة مكة فتولى احدهم

- (١) الفاسي : شفاء الخرام ، ٣٠٩/٢ - ٣١٠ : العمامي : سمط النجوم الموالي ، ١٩٨/٤ .
- (٢) محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المصباح : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ، مخطوط ، مصور بمركز البحث العلمي في جامعة أم القرى ، رقم ٢١٧ ص ٢١٦ - ٢١٧ .
- (٣) ابن خلدون : المبر ، ١٠٢/٤ : مورثيل : الاحوال السياسية بمكة ، ص ٢٣ .
- (٤) السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠١/١ .
- (٥) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٠ .
- (٦) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٠٠/١ : الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٣ .

الامارة ويدعى حمزة بن وهاس بن ابي الطيب داود بن عبد الرحمن بن قاسم بن ابي الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن ابي طالب الحنفي، وقد عرفت هذه الاسرة باسم بنى ابي الطيب، نسبة الى جدهم ابي الطيب داود بن عبد الرحمن الذي عينه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله اميرا على مكة في الوقت الذي أعلن فيه ابو الفتوح خروجه عن طاعة الفاطميين سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م، كما أن بعض المؤرخين قد أطلق عليهم اسم السليمانيين وذلك نسبة الى داود بن سليمان ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (٤).

وقد استبشر أهالي مكة خيرا حينما تولت هذه الاسرة اماره مكة فقد كانوا يأملون أن تنقضي تلك الاضطرابات والقلق التي أعقبت وفاة الأمير شكر ويعود الأمن والاستقرار الى بلادهم في ظل حكم تلك الاسرة الجديدة. ولكن الأمور جاءت بعكس ما كان يتوقعه أهالي مكة المكرمة حيث زادت بها حدة الفوضى والاضطرابات بسبب سوء السياسة التي

- (١) ابن عذبة : عمدة الطالب ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٣ .
 (٢) المباح : تحميل المرام ، ص ٢١٧ .
 (٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣٤٤/١١ ؛ الشيخ أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى اماره الحاج ، تحقيق ليلي عبد اللطيف أحمد ، القاهرة ١٩٨٠م ١١٢/٢ ؛ مساعد بن منصور بن سرور : جداول أمراء مكة وحكامها منذ فطحت الى الوقت الحاضر ، ط ١ ، مكة ١٣٨٨م ١٨ .
 (٤) ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ ؛ أبو العباس أحمد القلقشندي : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ١٣٨ .

(١) انتهجها حكام تلك الاسرة الذين اتصفوا بالجور والظلم ، فلم يهتموا بمصلحة البلد المقدس وأهله بقدر ماكانوا يحرصون على جمع الاموال والثروات بالطرق غير المشروعة سواء كان ذلك عن طريق الرسوم والضرائب التى فرضوها على الحجاج والتجار القادمين الى مكة (٢) والتى أثقلت عاتقهم ، أو عن طريق التعدي على خزائن وموارد الكعبة المشرفة ونهب ما فيها من اموال وثروات وخلع ما كان عليها من كموة وميازيب . هذا بالإضافة الى انهم جعلوا مكة فى عزلة سياسية عن بقية الدول الاسلامية الاخرى اذ أن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر أى اتصال تم بين تلك الاسرة وبين الدولتين العباسية والفاطمية ولكن المؤكد هو أن تلك الاسرة قد قطعت الخطبة عن الفاطميين وهذا مما دفع الخلافة الفاطمية الى التحرك لاقضاء تلك الاسرة عن الامارة (٣) واعادة سيادتها على مكة المكرمة من جديد ، ومما شجع الفاطميين على تحركهم الى مكة ادراكهم استياء أهالى مكة من ذلك الظلم الذى عانوه من أمراء تلك الاسرة كما أدركوا أن أهالى مكة المكرمة سيقومون بمناصرة وتأييد أى تحرك فاطمى طالما أنه سيخلصهم من نفوذ تلك الاسرة ويعيد اليهم الأمن والرخاء والاستقرار الذى فقدوه .

-
- (١) ابن فهد : اتحاف البوري ، ٤٦٨/٢ .
 (٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ، ٢٥٤/١ .
 (٣) ابن الاثير : الكامل ، ٩٦/٨ ، يوسف بن أحمد : المحمل والمعج ، ٨٥/١ - ٨٦ .
 (٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ .
 ولكن السباعى فى كتابه تاريخ مكة ٢٠٢/١ قد ذكر بان تلك الاسرة قد أقامت الخطبة للعباسيين ، إلا أنه لم يشر الى مصدره فى ذلك . وهذا يجعلنا لانستطيع أن نجزم به طالما أنه لم يوجد أى مصدر يؤكد ذلك الخبر .

دور الأمير المصليحي في إعادة النفوذ

الفاطمي على مكة المكرمة وقيام أسرة العواشم .

لقد رأى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م) ضرورة التحرك لمجابهة أمراء بنى أبى الطيب والعمل على إعادة سيادة الخلافة الفاطمية على مكة وإقامة الخطبة باسمه على منابر المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، فكان طبيعياً أن يسند الخليفة الفاطمي تلك المهمة إلى داعية الفاطميين في بلاد اليمن الأمير على بن محمد المصليحي الذي تلقى الأوامر من الحكومة الفاطمية سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م بسرعة التوجه إلى مكة المكرمة لإقرار الأمور بها وإعادة (٢) السيادة الفاطمية عليها ، والحقيقة أن الأمير المصليحي قد سر كثيراً بتلك المهمة التي أسندت إليه لأنها جاءت محققة لأماله وتطلعاته وأحلامه المنمبة على توسيع رقعة إمارته حتى

(١) على بن محمد المصليحي هو مؤسس الدولة المصليحية التي قامت في اليمن ، فكان أبوه قاضياً باليمن وكان شافعي المذهب مطاعاً في قومه وعشيرته فقد كان يتردد عليه أحد الدعاة الفاطميين ويدعى عامر بن عبد الله الرواحي فوجد عنده ابنه على هذا والذي كان على مذهب والده فأعجبه بعد أن رأى به علامات الذكاء والنباهة وأيقن أنه يمكن الاعتماد عليه في نشر المذهب الشيعي فأطلعه على كتب ذلك المذهب فعكف على دراستها بعد موت الرواحي ثم أخذ يحج بالناس دليلاً لهم مدة خمس عشرة عاماً حتى كثر أتباعه ومؤيديه فلم تحل سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م حتى ملك بلاد اليمن كلها وأصبحت صنعاء عاصمة لملكه .
أنظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، ٣/ ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ١/ ٢٤٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ٨/ ٢٣٢ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٧٩ .

(١) تشمل أكبر جزء من الأراضي اليمنية والحجازية وذلك لكي
 يتسنى له الاقتراب من مقر الخلافة الفاطمية في مصر . بحيث
 (٢) يصبح في وسعه الاتصال بها عن طريق البر بالإضافة الى البحر
 لذلك كله سارع الامير المليحي في تنفيذ الاوامر
 الفاطمية فاعد جيشا كبيرا غادر به بلاد اليمن متوجها الى
 مكة ولم تذكر لنا المصادر التي بين ايدينا اى مقاومة تذكر
 من جانب بنى ابي الطيب امراء مكة الذين ادركوا
 عدم استطاعتهم مجابهة القوات اليمنية لذلك فقد فعلوا
 (٤) الحرب من مكة خوفا على انفسهم ونجاة بارواحهم . فدخل
 المليحي وقواته مكة المكرمة في السادس من ذى الحجة لعام
 ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م وفور دخوله اليها بادر باقامة الخطبة على
 (٥) منابرها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وبذلك عادت اماره
 (٦)

- (١) أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي
 مخرمه : تاريخ شجر عدن ، ليدن ١٩٣٦م ، ١٦٠/٢ - ١٦١ ؛
 الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٤ - ٦٥ .
 (٢) محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، ط ٢
 ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ١٠٢/١ - ١٥٤ .
 (٣) كان للامير المليحي محاولات سابقة للاستيلاء على مكة
 وذلك في عهد الامير شكر بن ابي الفتوح الذي وقف بكل
 حزم وقوة أمام التحركات المليحية حيث أرسل له عدة
 قصائد ورسائل تتضمن التهديد والوعيد له اذا حاول
 الاقتراب من مكة وقد جاء في مطلعها :
 لتفليق الجماجم والرؤوس واقحامى خميسا في خميس
 وبعد ذلك أرسل اليه المليحي أيضا قصائد فيها تهديد
 ووعيد له وقد تضمنت هذه القصائد العزيمة والاصرار على
 محاربته فور موافقة الخليفة الفاطمي المستنصر له
 ولكن المستنصر قد خذل تلك العزيمة وحبط معنويات
 المليحي فلم يسمح له بذلك ، وأصدر سجلا يمنعه فيه من
 التعرض لامير مكة ويحثه على مساعدته والاهتمام بشئون
 الحرم المكي الشريف . انظر : عبد المنعم ماجد :
 السجلات المستنصرية ، القاهرة ، سجل رقم ١٢ ، ص ٥٥-٥٦ ،
 الزيلعي : المرجع السابق ، ص ٦٤ ، المالكي : بلاد
 الحجاز ، ص ٣٥ .
 (٤) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٦٩/٢ .
 (٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩٠/١٢ ، الفاسي :
 شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ .
 (٦) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ .

مكة من جديد تحت نفوذ وسيادة الخلافة الفاطمية، والحقيقة أن خبر دخول الأمير المليحي إلى مكة لم يسعد الخلافة الفاطمية وحدها وإنما سعد به أيضا أهالي مكة المكرمة وذلك بسبب حسن معاملته لهم وحرصه الشديد على استتباب الأمن والاستقرار في ذلك البلد المقدس حيث قام بمحاربة المفسدين والمجرمين وتتبع الأعراب الذين كانوا يقومون بغارات على حجاج بيت الله فقام بمعاقتهم والتمدى لهم فأمن حجاج بيت الله الحرام أمنا لم يعهدوه من قبل ، كما نعم بهذا الأمن أيضا جموع التجار القادمين إلى مكة حيث أصبحوا يمارسون أعمالهم التجارية داخل أسواق مكة وطرقاتها وهم آمنون ، وأموالهم محفوظة ورحالهم محروسة . إضافة إلى توفير الأمن فقد اهتم المليحي أيضا بالنهوض بالحركة الاقتصادية داخل مكة المكرمة فقد قام بجلب الأقوات والأرزاق إليها من بلاد اليمن حيث يبدو أنه قد شجع القبائل اليمنية التي تعمل في المجال الزراعي على تمديد منتجاتهم الزراعية إلى مكة لبيعها هناك، وبدهى أن يظهر أثر ذلك في انتعاش الأحوال الاقتصادية بمكة حيث يذكر الفاسي أن جميع أنواع السلع قد رخصت بها طوال ذلك الفترة . هذا وقد ظهر اهتمام الأمير المليحي أيضا بأمور الحرم المكي الشريف إذ أنه أعاد جميع أموال وحلى الكعبة التي أخذها بنو أبي الطيب قبيل هروبهم من مكة فقد ابتاعها

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩٦/٨ ؛ ابن سعد : المصدر السابق ، ٤٦٨/٢ .
 (٢) الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ، ٥٤٨/١ .
 (٣) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ٢٥٤/١ .
 (٤) الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٧/١ .

منهم وأعادها الى مكانها فى الكعبة المشرفة كما كانت عليه
من قبل . كما أنه قام أيضا بكسوة الكعبة بالحرير الأبيض^(١)
الذى كان شعار الفاطميين فى تلك الفترة .^(٢)

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ ؛ يوسف أحمد :
المحمل والحج ، ٨٥/١ - ٨٦ .
(٢) المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء
والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥م ،
ص ٦٦ .

وحيثما استتبت الأمور بمكة للمليحي لم يبق أمامه سوى اتخاذ التدابير اللازمة للعمل على تثبيت السيادة الفاطمية على مكة المكرمة ، وقد رأى أن ذلك لا يتم الا فى البحث عن حكومة شرعية جديدة تدين بالولاء للفاطميين وتحرس على توفير الأمن والعدل فى البلاد . وكانت هناك عدة عوامل قد أجبرت الأمير الصليحي على مغادرة مكة والاسراع فى تعيين أمير عليها يكون تحت إشرافه وتوجيهاته ، فمن هذه العوامل خوفه من زوال ملكه فى بلاد اليمن على يد الثائر الذى أخذ يجمع حوله القبائل ويبنى الحمون وذلك بغية الاستيلاء على بلاد اليمن فأصبح هذا الثائر مصدر قلق للمليحي الذى أراد أن يتدارك الأمر قبل فوات الأوان ، هذا بالإضافة الى أنه علم أن إشراف مكة قد أخذوا يعدون العدة لمواجهته فقد طلبوا منه الخروج من بلادهم وتعيين أحدهم أميراً على مكة المكرمة ، فلم يمانع الصليحي فى تنفيذ ذلك الطلب وخاصة حينما علم بذلك المرض الذى انتشر وتفشى بين قواته وأدى الى موت عدد كبير منهم ، فقام الصليحي بتعيين محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن

- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٧٢/٥ .
- (٢) عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية سجل رقم ٤ ، ص ٣٩ وهذا الثائر ربما يكون أحد أبناء نجاح زعيم دولة بنى نجاح الذى قضى عليها الصليحي عند تكوينه لمملكته .
- (٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٣٩/٦ - ٢٤٠ ، دحلان : امراء البلد الحرام ، ص ٣٠ .
- (٤) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٤٤٠/١ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(١) ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أميراً على مكة المكرمة ثم غادر بعد ذلك مكة متوجهاً إلى بلاد اليمن في العاشر من المحرم لعام ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م وقيل في ربيع الأول من العام نفسه . وكان المليحي قبيل مغادرته مكة قد قام بإمداد الأمير محمد بن جعفر بجميع ما يحتاجه من مؤن ومال وسلاح كما أنه قد زوده بحامية عسكرية مجهزة بالسلاح وذلك ليتغلب بها على جميع معارضيه وأعدائه . (٤)

ولكن السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن هو ماهي الأسباب التي جعلت الأمير المليحي يقوم بتعيين الأمير محمد بن جعفر أميراً على مكة دون غيره من الأشراف ؟ وإذا كان الجواب على ذلك السؤال قد أهملته المصادر التي بين أيدينا فإن هناك بعض الإشارات المريحة التي توحى بأن الدافع لاختيار محمد بن جعفر أميراً على مكة هو مدى ما تمتع به ذلك الأمير من صفات أهله لتولي الإمارة فقد اشتهر عند أشراف مكة وأهالي الحجاز بالشجاعة والاقدام ، كما أنه كان رئيساً وزعيماً لقومه الذين رشحوه لرئاستهم . فهذه الصفات وهذه المكانة التي كان يتمتع بها الأمير محمد بن جعفر عند أشراف مكة وعرب الحجاز هي التي جعلت المليحي يقوم بتعيينه أميراً

-
- (١) القاسي : المصدر السابق نفسه ، ٤٤٤/١ ؛ ابن ظهيرة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
 (٢) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٠١/١ .
 (٣) القاسي : شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ .
 (٤) ابن فهد : اتحاف السوري ، ٤٦٩/٢ ؛ العفيللي : تاريخ المخلاف السليماني ، ١٥٥/١ - ١٥٦ .
 (٥) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٩/٤ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٦ .
 (٦) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ، ٢٧٠/٤ .

على مكة المكرمة كما أن المليحي قد أراد أن يفع حدا لتلك المنازعات والحروب التي كانت قائمة بين أسرتين من أسر الإشراف وهما الموسويون أنبساط وأقارب الأمير شكر بن أبي الفتوح والسليمانيون أو بنو أبي الطيب الذين كانت لهم الإمارة في تلك الفترة ، ولقد أدرك أن إمارة مكة لو عين لها أمير من إحدى هاتين الأسرتين فإن ذلك قد يساعد على اتساع نطاق الحرب القائمة بينهما لذلك رأى أن الطريقة المثلى في إنهاء ذلك النزاع هي تعيين أمير عليها من أسرة جديدة غير هاتين الأسرتين المتنازعتين . كما أن المليحي كان يحرم كل الحرص على أن تكون إمارة مكة من نصيب الأمير الذي يظهر إخلاصه وولاءه للفاطميين ، ويبدو أنه قد رأى في ابن جعفر ذلك الشعور ، ولعل الأمير ابن جعفر قد عرف رغبة المليحي هذه فأظهر موالاته للفاطميين . لذلك كله فقد وقع اختيار المليحي على الأمير محمد بن جعفر وهو من أسرة جديدة من الإشراف يسمون بالهواشم ، وإن كانت بعض المراجع تسميهم بنى فليته وذلك نسبة إلى أحد أمرائهم ويدعى فليته بن القاسم وهو الذي تولى إمارة مكة سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م .
و لهواشم ينتسبون إلى أبي هاشم محمد بن الحسين بن

- (١) ابن عذبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٥ : المباح :
تحميل المرام ، ص ٢١٧ : الزيلعي : المرجع السابق نفسه
والصفحة نفسها .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ : القلقشندي : مآثر الإناسة
٣٤٦/١ - ٣٤٧ .
(٣) أيوب صبرى باشا : مرآة جريرة العرب ، ٩١/١ : محمد بن منصور بن هاشم بن سرور : قبائل الطائف وأشراف الحجاز ط ١ ، الطائف ، ١٤٠١هـ ، ص ٦١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣١٤/٨ : زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، القاهرة ١٩٥١م ، ٣٠/١ - ٣١ .

محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن
بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . هذا وقد
اختلف المؤرخون حول اسم والد أبي هاشم محمد ، فابن حزم ،
وابن خلدون ، والقلقشندي ، والعصامي ، ذكروا أن اسمه
الحسن بن محمد بن موسى .^(١)

أما النسابة ابن عذبة ، والفاسي ، وابن ظهيرة وغيرهم
من المؤرخين فقد خالفوا ذلك وذكروا أن اسمه الحسين بن
محمد بن موسى وليس الحسن بن محمد .^(٢)

بل إن المؤرخ تقي الدين الفاسي قد أكد على أن ابن
خلدون قد أخطأ في تسميته بالحسن ويصححه بالحسين وذلك هو
القول الأرجح .^(٣)

وبذلك يلتقي الهواشم والموسويون أمراء مكة السابقون
في جدهم الحسين بن محمد . وقد ذكرت بعض المصادر أن
الهواشم كانوا قبيل أمارتهم على مكة يسكنون بمنطقة ينبع^(٤)

- (١) ابن عذبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥ ؛ ابن
ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
 - (٢) أنظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤٧/١ ؛ ابن
خلدون : العبر ، ١١٣/٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ،
٢٧٠/٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٩/٤ .
 - (٣) ابن عذبة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛
الفاسي : العقد الثمين ، ١٧١/١ - ١٧٢ ؛ ابن ظهيرة :
المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ؛ ابن قهد : غاية المرام ،
٥٠٩/١ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣١ ؛ السباعي
تاريخ مكة ، ١٩٢/١ ؛ مساعد بن منصور : جداول
أمراء مكة ، ص ١٩ .
 - (٤) الفاسي : المصدر السابق ، ١٤٤/١ .
 - (٥) مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٥ .
 - (٦) ابن عذبة : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .
 - (٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .
- ينبع : قرية كبيرة تقع غرب المدينة المنورة بميل نحو
الشمال ، وتبعد عنها بمسافة تقدر بـ ١٥٠ كيلو متر ،
وسميت بذلك الاسم لكثرة ينابيعها وعيونها ، ويوجد بها
حصن لبنى الحسن وماء وزرع ونخيل . =

(١)
بينما ذكرت المصادر الاخرى انهم كانوا يسكنون ببطن مر أحد
المناطق التابعة لإمارة مكة المكرمة في تلك الفترة وهو
القول الأرجح .

- = أنظر : عبد الله بن عبد العزيز البكري : معجم
ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، بيروت ، ١٤٠٢/٢ ،
شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان
بيروت ١٣٩٩هـ - / ١٩٧٩ م ، ٤٥٠/٥ ، اسماعيل الحامدي :
الرحلة الحامدية (مجلة العرب ج ٥ - ٦ ص ١٣ / ذي
القعدة - ذي الحجة ١٣٩٨هـ) ص ٣٥٢ ، حمد الجاسر :
بلاد ينبع ، الرياض ، ص ١٠ .
(١) المباح : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ .
بطن مر : ويسمى مر الظهران وهو من أكبر الاودية بمكة
بينه وبين مكة خمسة أميال وسمى بذلك الاسم بمرارة
مياهه ، وأكثر سكانه من الاشراف من بني الحسن ، ويعرف
اليوم بوادي قاطمة ومركزه الجموم ومر هي القرية
والظهران الوادي .
أنظر : عزام بن الاصبع السلمي : كتاب أسماء جبال تهامة
وسكانها ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة
١٣٧٣هـ ، ص ٢٨ ، الحموي : المصدر السابق نفسه ،
١٠٤/٥ ، عاتق بن غيث البلادي : معالم مكة التاريخية
والاثريّة ، ط ٢ ، مكة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٥٨ - ٢٦١ .

الصراع بين الهواشم وبنى أبى الطيب على الامارة .

سبق أن ذكرنا أن المليحي قد قام قبيل مغادرته مكة المكرمة بتعيين الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم ليكون نائباً عنه فى امارة مكة ، وقد وافق على ذلك التعيين بقية الاشراف الموجودين بمكة المكرمة فى تلك الفترة ، ولكن تلك الموافقة لم تكن عن اقتناع من بعض الاشراف وخاصة بنى أبى الطيب الذين اعتبروا أن تلك الموافقة ماهى الا وقتية تنتهى بخروج الصيحي من مكة كما أنهم قد اعتبروا تلك الموافقة فرسة لهم لاعادة ملكهم الذى كان المليحي قد سلبه منهم فقد كانوا يدركون أن محاربتهم للأمير محمد بن جعفر وحده أسهل بكثير من محاربتهم للمليحي . ومما يؤكد ذلك أنه بمجرد مغادرة المليحي للأرافى المكية شار هؤلاء الاشراف الذين يتزعمهم حمزة بن وهاس السليمانى وأعلنوا خروجهم عن طاعة الأمير محمد بن جعفر وعدم تأييدهم له ، وأخذوا يخططون للإطاحة به وإبعاده عن الامارة إذ جهزوا قوة كبيرة تفوق قوة الأمير محمد بن جعفر عددا وعدة ، وانضمت لهم مجموعة كبيرة من قبائل حرب ، وعلى الرغم من أن الأمير محمد بن جعفر قد أدرك أنه لا طاقة له بهم الا أنه قد دخل معهم فى مناوشات عديدة وذلك فى محاولة منه للانتصار عليهم . وعلى الرغم من أن تلك المناوشات قد باءت بالفشل الا أنه قد تجلى خلالها

- (١) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٣٩/٦ - ٢٤٠ .
- (٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ .
- (٣) ابن قهد : اتحاف الوري ، ٤٦٩/٢ .
- (٤) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٤ .
- (٥) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٢ .

(١) مدى ما كان يتمتع به الأمير محمد بن جعفر من قوة وشجاعة .
 بعد ذلك فشل الأمير محمد بن جعفر مغادرة مكة فاتحه
 الى ينبع وذلك ليرتب أموره وليستنهض عشيرته وأقاربه حتى
 يلقوا معه في حربه مع بنى أبي الطيب ، ولكن بعض المصادر
 ذكرت أن ابن جعفر قد اتجه الى بلاد اليمن ، ويبدو أن صحت
 هذه الرواية أن سبب اتجاهه الى بلاد اليمن هو الاستنجاد
 بالأمير المليحي والتباحث معه في أنجح السبل للقضاء على
 معارضيه وأعدائه . ثم عاد ابن جعفر الى الأراضى المكية وهو
 عازم على محاربة بنى سليمان وإعادة إمارته على مكة من
 جديد فقام بمحاربتهم على مرحلتين ، أولا محاربتهم اقتصاديا
 حيث فرض حصارا شديدا على مكة المكرمة ، وثانيا محاربتهم
 عسكريا حيث قام بتقسيم قواته ورجاله الى عدة فرق وكلفهم
 بقطع الطريق عن مكة المكرمة والحيلولة دون وصول القوافل
 التجارية المحملة بالموثمين والغلال اليها . ومما زاد الأمر
 سوءا أن الأمير المليحي قد أصدر في تلك الفترة - أي في عام
 ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م . قرارا يقضى بعدم الذهاب الى مكة للحج ،
 ويبدو أن ذلك المنع اجراء متفق عليه مسبقا بين ابن جعفر
 والأمير المليحي لعلهما أن مكة المكرمة تعتمد على قبائل

-
- (١) الفاسي : العقد الشمين ، ٤٤٠/١ .
 (٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٤٧٠ .
 (٣) محيي الدين علي عبد القادر بن يحيى بن مجير الدين
 الطبري الحسيني : الأثر المسمى في التاريخ المكي ،
 مخطوط مصور بجامعة أم القرى رقم ٣٤ ، ص ٩٣ .
 (٤) الفاسي : المصدر السابق والمقحة ؛
 ابن فهد : غاية المرام ، ٥١٠/١ .
 (٥) ابن فهد : اتحاد الوري ، ٤٦٩/٢ - ٤٧٠ .

(١) السرو اليمنية في جلب الاقوات اليها كل عام . فتوقف بذلك وصول المواد الغذائية والغلال الى مكة وذلك مما أدى الى تدهور الاوضاع الاقتصادية بها كما أدى الى غلاء أسعار جميع السلع الموجودة بها . فنعف بذلك موقف بنى أبى الطيب وانهارت قوتهم وأصبحوا لقمة سائغة في فم الأمير محمد بن جعفر الذى قدم الى مكة واستطاع بما أوتى من قوة أن ينتصر عليهم ويقصمهم عن امارة مكة وذلك مما أجبرهم على مغادرتها حيث اتجهوا الى بلاد اليمن واستطاعوا فيما بعد أن يكونوا لهم ملكا هناك وذلك برئاسة الأمير أبى غانم يحيى بن حمزة بن وهاس ، ودانت بذلك امارة مكة كلها للأمير محمد بن جعفر وحده وذلك مما شجعه على أن يقوم باتخاذ التدابير اللازمة للعمل على التخلص من تبعيته للأمير الصليحي حيث بدأت تطلعاته تظهر نحو الاستقلال بامارته وتكوين ملك خاص به

(١) قبائل السرو : سموا بذلك الاسم نسبة الى البلاد التي يسكنون فيها وهي جبال حمينة باليمن تعرف بالسراة ، وهم مجموعة من القبائل كنجيلة وغامد وزهران وغيرهم . وقد اشتهرت بلادهم بخصوبة التربة والزراعة فكانوا ينقلون معهم الى مكة أثناء الحج جميع أنواع المواد الغذائية كالحبوب والفواكه والخضروات والسمن والعسل والزبيب الخ .

أنظر : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١١٠ ؛ محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ١٦٠ ؛ صفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق : مرآة الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع تحقيق على محمد الجاوي ، ط١ ، حلب ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ٧١١/٢ .

- (٢) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها .
 (٣) القاسي : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ .
 (٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٢/٤ .
 (٥) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ٣١٦/١ ؛ زامبارو : معجم الانساب ١٧٨/١ .

ولابنائنه من بعده فى منطقة الحجاز . لقد أعلن استقلاله وخروجه عن طاعة الصليحيين ولم يكتف بذلك بل انه أخذ يعمل على توسيع رقعة امارته حتى تشمل أكبر جزء من الأراضى الحجازية حيث قام بالاستيلاء على المدينة بعد أن أجلى عنها حكامها بنو مهنى ، وهم من بنى الحسين بن على بن أبى طالب فاستطاع بذلك أن يجمع بين اماره ، الحرميين الشريفين ، وأصبح صاحب السيادة على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز .^(١)

كما أنه قام أيضا فى عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م بمهاجمة منطقة حلى بن يعقوب وهى إحدى المناطق التابعة للأمير الصليحي فقام بالاستيلاء عليها بعد أن طرد نائب الأمير الصليحي الموجود بها ، وذلك مما أظهر استياء وغضب الأمير على الصليحي الذى استأذن الخليفة العاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) فى أن يسمح له بمحاربة أمير مكة محمد بن جعفر والقضاء عليه ولكن المستنصر بالله رفض ذلك ، فأخذ

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ، سرور : النفوذ العاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢١ ، ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى ص ١٥٦-١٥٧ .

(٢) حلى بن يعقوب : وهى مدينة تقع على ساحل البحر الأحمر وتبعد عن القنفذة التابعة لامارة مكة (٦٠) كيلو مترا سميت بذلك الاسم نسبة الى ابن يعقوب مؤسس الأسرة الحاكمة بتلك المدينة وتعرف اليوم باسم حلى قديم ، وقد هاجر أكثر سكانها اليوم الى القنفذة وسكنوا بها أنظر : ابن عبد الحق : مراد الاطلاع ، ٢٠/١ ، عاتق البلاى : بين مكة واليمن ، ط ١ ، مكة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ١٧٦٥٥٠ أحمد الزيلعى : المواقع الإسلامية المندثرة فى وادى حلى (حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية السابعة ، الرسالة ٣٩ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ، ص ١٦-٢٠ ، انظر ملحق رقم ٦ .

(٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٤٠ ، الزيلعى : مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ٦٧-٦٨ . ولمزيد من المعلومات حول استيلاء ابن جعفر على تلك المنطقة وموقف الصليحي من ذلك الاستيلاء ، انظر ق ٢٤ ، ص ١٢٤-١٢٥ .

المليحي ينتظر الوقت الذي تسمح فيه الخلافة الفاطمية له بنزو مكة وقد حان له ذلك حينما قام الأمير محمد بن جعفر بقطع الخطبة عن الفاطميين وأقامها للعباسيين وذلك سنة (١) ٤٥٨هـ/١٠٦٥م عندئذ غضب الخليفة المستنصر وأمر المليحي بأن يتوجه الى مكة لمحاربة الأمير محمد بن جعفر وإعادة السيادة الفاطمية عليها من جديد وذلك فى عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، فسار المليحي من اليمن متوجها الى مكة فى ذلك العام ولكنه قتل فى الطريق ، فحينما علم الأمير محمد بن جعفر بمقتله استراح باله من ذلك الخطر الذى كاد أن يقضى على امارته فأيقن أن الوقت قد حان له والظروف قد تهيأت له لكى يحقق طموحاته وأحلامه التى تتركز فى تكوين حكومة مستقلة له ولابنائه من بعده فأخذ يرتب أموره ويوطد دعائم امارته ويعمل على الدخول فى علاقات سياسية مع القوى الكبرى المحيطة به والمتمثلة فى الدولة العباسية والفاطمية وذلك ليكسب امارته التى عمل على تكوينها له ولابنائه من بعده الصفة الشرعية .

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ، القلقشندي : صبح الاعشى ٢٧٠/٤ .

(٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزيد ، تحقيق محمد على الاكوع ، ط٢ ، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الامانى ، ٢٥٦/١-٢٥٧ . ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى ص ١٢٥-١٢٨ .

(ب) أمراء الهواشم وسياستهم الداخلية

مؤسس اماره الهواشم الامير محمد بن جعفر بن أبى هاشم .

يعتبر الامير محمد بن جعفر بن أبى هاشم (١٥٦ - ٤٨٧هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٤م) المؤسس الحقيقى لامارة الهواشم تلك الامارة التى استمرت حوالى قرن ونصف من الزمن ، حيث توارث هذه الامارة عدد من أبناء الهواشم الذين خلفوا محمد بن جعفر على اماره مكة المكرمة .
(١)
وسبق ان ذكرنا ان ابن جعفر قد استطاع الوصول الى دفة الحكم بمعاونة ومساعدة الامير على المليحي الذى عينه نائبا عنه بمكة ثم استطاع ابن جعفر بفضل قوته وشجاعته ان يعلن قيام امارته المستقلة بمكة المكرمة تلك التى امتدت فى عهده الى المدينة المنورة شمالا وإلى منطقة حلى بن يعقوب على حدود اليمن جنوبا ، واقتصرت على مكة فى عهد من تلاه من أمراء الهواشم . وقد كانت اماره الهواشم تعتمد كل الاعتماد فى مواردها المالية على الاعطيات والنفقات التى كانت ترد اليها من الخلافتين العباسية والفاطمية ومن سلاطين وأمراء وتجار البلدان الاسلامية الاخرى ، هذا وقد كان أمراء الهواشم يعيّنون نائبا عنهم يقوم بجمع تلك الاموال والنفقات من خلفاء وملوك وسلاطين الدول الاسلامية ، وقد تولى جعفر بن

- (١) انظر ص ٦٠ من هذا الفصل .
على السنجاري : مناثم الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، مخطوط بجامعة أم القرى رقم ٤٥١ ، ٢٦٧/١ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ، ص ٤٠ .
ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٤٠ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ط١ ، حيدر آباد الدكن ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ، ٥١٣/٨ ؛ سرور : النفوذ الفاطمي فى جزيرة العرب ، ص ٢٢ .

(١) يحيى التميمي المعروف بابن الحكاك القيام بتلك المهمة في عهد الأمير محمد بن جعفر إلا أنه مما يؤخذ على ابن جعفر أنه لم يوظف هذه الأموال التي كانت ترد إليه في تنظيم الأمور الإدارية والاقتصادية بمكة المكرمة . وقد عرف الأمير محمد بن جعفر بشدة البأس والقوة مع كل من حاول أن يشير الفتن والعلاقل في بلاده ، فحينما حدثت الفتنة بين أهل السنة والشيعة سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م قبض الأمير محمد بن جعفر على زعماء هذه الفتنة ومدبريها واستخدم معهم أقصى أساليب الشدة والقوة وذلك لخاديتهم وردمهم حيث قبض على هياج بن عبيد الحطيني وبعض أصحابه الذين اشتركوا معه في هذه الفتنة وفربهم ضربا شديدا أدى إلى موت أكثرهم . هذا وقد انتقدت المصادر التاريخية الأمير محمد بن جعفر ، حيث ذكر المؤرخ ابن الأثير أنه لم يقم بأي أعمال خيرية تذكر ولا يوجد شيء يمدح به .

- (١) جعفر بن يحيى التميمي : من أهالي مكة المكرمة وقد ولد سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م وكان أدبيا شقة اشتهر بالصدق ووصف بالحفظ والمعرفة والاتقان ورحل إلى كثير من البلدان الإسلامية وذلك لطلب العلم والمعرفة ، وقد توفي سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م .
- انظر : الفاسي : العقد الثمين ، ٤٣٣/٣ : ابن الجوزي المنتظم ، ٦٤/٩ .
- (٢) سرور : المرجع السابق ، ص ٢٢ .
- (٣) الأسنوي : طبقات الشافعية ، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ٤٢٧/١ - ٤٢٨ .
- (٤) السنجاري : المصدر السابق ، ٢٦٧/١ .
- (٥) هياج الحطيني : وهو من مجاوري مكة المكرمة وأحد علمائها وفقهائها ومن ساهم في حركتها العلمية حيث شارك في إعطاء الدروس للطلاب وكان قد اشتهر بالزهد والورع والتقوى . انظر :
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٤٢/٣ - ٣٤٣ : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٠٩/٥ .
- (٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ٣٦٢/٨ .
- (٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٣/٨ .

وقد دلل على نقده لابن جعفر بقمة اعتدائه على الحجاج الشاميين سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م وذلك حينما سلط رجاله وعبيده على نهب هؤلاء الحجاج وسلب مامعهم من أموال .^(١)

كما أن المؤرخ ابن تغرى بردى قد وصفه بأنه كان ظالما جبارا فاتككا سفاكا للدماء كما وصفه بالتلون والتأرجح فى علاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية .^(٢)

وحيثما يوصف بالتلون والتأرجح فى علاقته بالخلافتين يمكننا أن نقول ان ذلك الأسلوب الذى انتهجه الأمير محمد بن جعفر إنما هو أسلوب انتهجه أكثر أمراء العواشم ، فابن جعفر أراد بذلك الأسلوب أن يخرج إمارة مكة من تلك العزلة السياسية التى عاشتها قبيل امرته عليها وذلك ابان حكم بنى أبى الطيب الذين قطعوا علاقهم بجميع القوى الخارجية لأن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر أى اتصال تم بين أمراء بنى أبى الطيب وبين الخلافتين العباسية والفاطمية ، كما ان الأمير محمد بن جعفر اضطر لذلك التصرف لكى يحقق مصالحه وممالح بلاده الاقتصادية ، وقد استطاع بتلك السياسة أن يحقق كثيرا من أحلامه التى كان يصبو اليها حيث

(١) ابن الأثير : الممدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٨٦/٢ .
لمعرفة أسباب ذلك الاعتداء وقصته انظر الفصل الثانى ص ١٦٩ ، والفصل الثالث ص ٢٣٤-٢٣٥ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤٠/٥ .
(٣) انظر الفصل الثانى من هذا البحث فى مواقع متعددة .

استطاع الوصول الى دفة الحكم بمعاونة الفاطميين كما استطاع الاستيلاء على امارة المدينة المنورة وذلك بمساعدة العباسيين . كما انه كان له الفضل الاكبر في انتشار بلاده من تلك الازمة الاقتصادية التي حلت بها على اثر الشدة العظمى التي عانت منها بلاد مصر ابان حكم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ان توقفت المعونات الفاطمية في عهده عن مكة وذلك مما جعل الامير محمد بن جعفر يعلن ولاءه للخلافة العباسية وازاء ذلك الموقف بدأت الاعطيات والنفقات ترد الى مكة من حكومة بغداد ، وهذا ماكان يسعى اليه الامير محمد بن جعفر ويتطلع اليه . فلعل ذلك كان الدافع لهذا التلون الذي ذكره ابن تغري بردي وذلك بسبب ضعف موارد بلاده الاقتصادية وحاجتها للمساعدات والمعونات الخارجية .

-
- (١) انظر الفصل الثاني ١٥٦-١٥٧ .
 (٢) المقريزي : اتعاض الحنفاء ، ٢٩٦/٢-٢٩٧ ، ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٢٠٣ .
 (٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ، الرشيدى : حسن المفا والابتهاج ، ص ١١٤ .
 (٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩٩/١٢ .
 (٥) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٧ .

الأمير قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم وأمارته على مكة
(٤٨٧ - ٥١٧ هـ / ١٠٩٤ - ١١٢٣ م) :

استمر محمد بن جعفر أميرا على مكة المكرمة حتى
وفاته سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م وكان عمره آنذاك قد تجاوز السبعين
عاما وقد أنجب من الأبناء ثلاثة هم شميلة ، وفضل ، وقاسم .
وكان ابنه شميلة من رجال العلم والفكر بمكة المكرمة
وممن برع في علم الحديث بهاء وكان يقوم برحلات علمية عديدة
إلى كثير من البلدان الإسلامية وذلك لتلقى العلم بها ، فهو
بذلك لم يتطلع أو يطمع في تولي الإمارة بعد وفاة والده .
أما ابنه الآخر فضل فلم تذكر لنا المصادر عنه أي شيء يذكر
ويبدو أنه لم يكن له دور بارز في التاريخ يستحق الذكر ،
أما ابنه القاسم فقد بادر فور وفاة والده إلى تولي إمارة
مكة إذ أعلن نفسه أميرا عليها . فمن المحتمل أن يكون
الأمير محمد بن جعفر قد أوصى له بالإمارة قبيل وفاته .

- (١) القلقشندي : مآثر الإنافة ، ٢/٢١ : ابن ظهيرة :
الحامع اللطيف ، ص ٣٠٧ .
- (٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٢/٢٠٥ .
- (٣) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٦ .
- (٤) ابن عنبه : المصدر نفسه والمفحة نفسها : القاسم :
العقد الثمين ، ١٧/٥ - ١٨ .
- (٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٢/٤٨٧ .

أحداث مكة الداخلية في عهد الأمير قاسم بن محمد .

سبق أن ذكرنا أن الأمير محمد بن جعفر قد استطاع أن يوطد الأمور وينشر الأمن والعدل والهدوء بمكة المكرمة وذلك بفعل قوته وشده التي اتخذها مع كل من حاول الاخلال بأمن البلاد إلا أن ذلك الأمن والاستقرار قد زال بولاية قاسم على مكة حيث اضطربت الأمور بها طوال امارته عليها وذلك بسبب عجزه عن اقرار الأمن والعمل على اصلاح شؤون امارته . ولاشك (١) أن ذلك العجز قد شجع الكثير من قبائل بلاد الحجاز على الاعتداء على حجاج بيت الله واشاعة السلب والنهب في أرجاء البلاد ، وذلك مما أدى الى اشاعة الرعب والخوف في قلوب كثير من الحجاج الذين توقف قدومهم الى مكة في تلك الفترة . وكانت اماره مكة قد خرجت عن طوع الأمير قاسم بن محمد عدة شهور وذلك في بدايه امارته عليها حيث هاجمه أحد القواد العباسيين ويدعى اصهبذ بن سارتيكين ، ودخل مكة (٢) بقوة كبيرة تفوق قوة الأمير قاسم الذي لم يستطع مواجهته ففعل الهرب منها حتى يتمكن من تكوين قوة كبيرة يستطيع بها الوقوف أمام تلك القوة العباسية . وبعد فترة قصيرة استطاع الأمير قاسم أن يجمع حوله عددا كبيرا من المؤيدين له والمعارضين للتدخل الخارجي في بلادهم حيث انضمت له أعداد كبيرة من القبائل المجاورة لمكة المكرمة (٣)

- (١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ : سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢٣ .
 (٢) العاسي : شقاء الغرام ، ٣٦٤-٣٦٥/٢ : السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٧/١ : المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٦٤ .
 (٣) العاسي : العقد الثمين ، ٣١٩/٣ : ريتشارد مورتيل : الاحوال السياسية ، ص ٢٧ .
 (٤) جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن في العصر الايوبي ، ط ١ ، جدة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٦ .

فأعلنت مساندتها ووقوفها بكامل رجالها وعتادها مع الأمير قاسم بن محمد الذي أدرك أن الوقت قد حان لمواجهة تلك القوة ، فسار متوجها إلى مكة في شوال سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م (١) وكان القائد أصبهذ يراقب جميع تحركات الأمير قاسم فقد نصب له قوة كبيرة برؤاسته في منطقة عسفان ، ولكن الأمير قاسم استطاع أن يهاجم معسكر القائد أصبهذ وهم في غفلة من أمرهم فدارت بين الطرفين معركة قوية كان النصر فيها للأمير قاسم بن محمد وأتباعه الذين واصلوا مسيرهم بعد ذلك إلى مكة وقاموا بطرد جميع بفايا وأتباع أصبهذ الذي هرب من مكة خوفا على نفسه ، واتجه إلى الشام ومنها إلى بغداد فدانت إمارة مكة بعد ذلك للأمير قاسم بن محمد وعاد نفوذ الهواشم إليها من جديد .

ولعلنا نتساءل عن أسباب تلك الحملة العباسية على مكة المكرمة ولماذا جاءت متزامنة مع بداية عهد ذلك الأمير ؟ وقد أهملت المصادر القاء الضوء على ذلك التساؤل إلا أنه يمكن القول بأن الخليفة العباسي المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ / ١٠٩٤-١١١٨م) قد ساءه تغير ولاء الأمير قاسم للدولة العباسية وإقامته الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمي المستعلي (٤٨٧-٤٩٥هـ) (٢) (١٠٩٤-١١٠١م) فأراد أن يعيد السيادة العباسية على مكة من

-
- (١) الفاسي : العهد الثمين ، ٢٨/٧ .
 (٢) عسكان : بضم أوله واسكان ثانيه ، وهي قرية تقع على بعد ثمانين كيلا ، شمال مكة على طريق المدينة المنورة وقد سميت بذلك الاسم لتعسف السيل فيها . انظر : الحموي : معجم البلدان ، ١٢٢/٤-١٢٣ ؛ عاتق بن غيث البلادي : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ١٨٨ .
 (٣) ابن قهد : اتحاف الوري ، ٤٨٧/٢ .
 (٤) الجزيري : الدرر القرائد ، ٥٥٤/١ .
 (٥) السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٦/١ .

(١) جديد . كما أنه يبدو أن الخليفة العباسي المستظهر قد أراد أن يضع حداً لتلك الممارسات الاجرامية التي يقوم بها الاعراب ضد الحجاج العراقيين وذلك على مرأى من الامر قاسم الذي لم يحرك ساكناً ولم يوقف أمام تلك الاعتداءات ولم يوفر الأمن والاطمئنان لحجاج القادمين من بلاد العراق . وهكذا انتهت تلك المحنة التي عانى منها الأمير قاسم والتي كاد بسببها أن يفقد نفوذه ونفوذ آيائه على مكة المكرمة .

ولكن الأوضاع بمكة لم تهدأ بعد ذلك بسبب تسامح الأمير قاسم بن محمد وتساهله وتشجيعه لتلك الاعتداءات والغارات التي يقوم بها الاعراب ضد الحجاج القادمين الى مكة المكرمة مما أدى الى اضطراب الأمن في ربوع تلك البلاد طوال امارته عليها . كما أدى الى استياء وعضد أهل مكة المكرمة على هذا الأمير مما جعلهم يتطلعون الى القضاء عليه والتخلص من حكمه . ولاشك أن ذلك الشعور قد شجع بعض الطامعين في السلطة على التحرك لتحقيق أحلامه وطموحاته حيث قام رجل علوي من فقهاء النظامية ببغداد ، لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا

- (١) انظر ف ٢ ، ص ١٧١-١٧٢ .
 (٢) ابن قعد : اتحاد الوري ، ٤٨٨/٢ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ص ٦٤
 (٣) الرشدي : حسن الصفاء والابتهاج ، ص ١١٥ .
 (٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ .
 (٥) السنجاري : مناقب الكرم ، مخطوط ، ٢٧٠/١ .
 والنظامية المقصود بها هي المدرسة النظامية ببغداد وسميت بذلك نسبة الى الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان ملكشاه السلجوقي الذي بندها في بغداد سنة ٤٥٧هـ ، وقام باجراء المصمات المالية عليها ، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة وقد درس في تلك المدرسة عدد كثير من علماء المسلمين انظر : ابن الاثير : الكامل ، ١٠٥/٨-١٠٦ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ٤٢٥/٤ .

بذكر اسمه ، بثورة على أمير مكة القاسم بن محمد سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م ، وكان هذا العلوى قد قدم الى مكة المكرمة قبل ثورته واخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فانضم اليه عدد كثير من اهالى مكة المكرمة الذين وجدوا فيه الامل لانقاذهم من تلك الفوضى والاضطرابات التى يعيشون فيها فى عهد الامير قاسم ويبدو أن أهل مكة قد شجعوه وأيدوه على ثورته التى يخطط للقيام بها ، فقوى أمره وعزم على اقضاء الامير قاسم بن محمد عن الامارة ، واقامة الخطبة لنفسه على منابر المسجد الحرام . ولكن الامير قاسم قد تنبه لخطر تلك الثورة فأراد القضاء على زعيمها قبل أن يستفحل أمره فتحقق له ما أراد حيث استطاع أن يخمد هذه الثورة ويقضى عليها فقبض على زعيمها وأبعده عن مكة .

(٢)

فتوجه بعد ذلك الى البحرين فتخلص الامير قاسم من تلك الثورة واستمر فى اماره مكة حتى وفاته فى صفر سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م .

(٣)

- (١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ٣٠٥/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٨/١٢ ؛ ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٩٧/٢ .
- (٢) سنجاري : منافع الكرم ، ٢٧٠/١ .
- البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة و عمان قيل هى قمبة حجر وقيل حجر قمبة البحرين وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ، ويدخل تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وجميع قراها كالقطيف وجر ودارين والسابور وبينونه والغابة . انظر الحموى : معجم البلدان ، ٣٤٧/١ - ٣٤٨ ، محمد بن عبد الله بن بليهد : صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ٢٢٨/١ .
- (٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ٣١٤/٨ ؛ ابن فهد : المصدر السابق ، ٤٩٩-٤٩٨/٢ .

(١)
وقيل سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م . وقد أنجب أربعة أبناء هم
(٢)
فليته ، ومحمد ، ويحيى ، وعيسى .

(١) الفاسي : العقد الشمين ، ١٧٢/١ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ ، العمامي : سمط النجوم العوالي ٢٠٤/٤ .
(٢) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٦ .

الأمير فليته بن القاسم بن محمد بن جعفروامارته على مكة المكرمة (٥١٧ - ٥٢٧هـ/١١٢٣ - ١١٣٢م) .

(١) تولى الأمير فليته اماره مكة بعد وفاة والده مباشرة ،
وهناك بعض المصادر تطلق عليه اسم أبو فليته بدلا من
فليته ، ولكن هذه المصادر وغيرها لم تتوسع في ذكر الاحداث
الداخلية بمكة المكرمة في عهد ذلك الأمير قريبا يعود ذلك
الى الهدوء والامن والاستقرار الذى شهدته المنطقة فى عهده
وذلك بفعل سياسته الحكيمة وحسن تصريفه للأمور ، فقد اشتهر
ذلك الأمير بعدله وتسامحه وحسن معاملته للناس حيث كرّس معظم
وقته وكل جهده فى توفير الأمن ورفع الظلم عن الناس ذلك
الظلم الذى وجده أهل مكة والوافدون اليها فى عهد والده
القاسم ، ومما أثلج صدور أهل مكة والحجاج والتجار
القادمين اليها ذلك الفرار الذى أصدره الأمير فليته
بانحاء واسقاط جميع المكوس المفروضة على الحجاج والتجار
القادمين الى مكة ، تلك المكوس التى كان قد فرضها آباؤه
وأجداده من قبل . وهكذا استطاع هذا الأمير خلال مدة امارته
على مكة التى لم تتجاوز عشر سنوات أن ينشر العدل ويوطد
(٢)

-
- (١) الجزيري : الدرر البفرائد المنظمة ، ٥٥٨/١ ، المباح :
تحميل المرام ، مخطوط ، ص ٢١٨ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٣١٤/٨ ، أبو الفداء
المختصر فى أخبار البشر ، ٨/٣ ، دحلان : أمراء البلد
الحرام ، ص ٣٣ .
(٣) الرشيدى : حسن الصفا والابتعا ، ص ١١٥ .
(٤) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها : ابن
فهد : اتحاف الوري ، ٤٩٩/٢ .
(٥) الفاسى : لعقد الشميين ، ٢٠/٧ ، لمزيد من الايضاح عن
المكوس انظر ف ٤ ، ص ٤٧٣ .
(٦) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٤/٤ .

الامن والاستقرار فى ربوع مكة المكرمة^(١) والمشاعر المقدسة ولم يكن نجاح ذلك الامير قد برز فى الساحة الداخلية فقط وانما ظهر نجاحه أيضا فى سياسته الخارجية حيث تخلص من سياسة التذبذب والتأرجح فى العلاقات بين الخلافتين العباسية والفاطمية التى انتهجها آباؤه وأبناؤه من بعده ، وأدى ذلك الى صلاح الامور بمكة المكرمة طوال عهده .^(٢)

واستمر الامير فليته أميرا على مكة حتى وفاته فى يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان لعام ٥٢٧هـ / ١١٣٢م .^(٣)

(١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ .
(٢) نظر ف ٢ ، ص ١٨٠ .
(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ٨/٣ : الفاسى المصدر السابق ، ٢٠/٧ .

الأمير هاشم بن فليته وسياسته الداخلية

(٥٢٧ - ٥٤٩ هـ / ١١٣٢ - ١١٥٤ م) .

تولى الأمير هاشم بن فليته إمارة مكة المكرمة بعد وفاة والده مباشرة الذي يبدو أنه تجاهل أو غفل عن قضية ترشيح أو تعيين أحد أبنائه في إمارة مكة من بعده . وقد ترتب على ذلك ظهور الخلاف والشقاق بين الأخوة وهو أول خلاف ونزاع يتم بين أبناء أسرة الهواشم لأن عبد الله ويحيى أخوي هاشم عارضاً فكرة تولي أخيهما هاشم إمارة مكة فقاما بمحاولات عديدة للإطاحة به ولكنهما لم يتمكنوا من ذلك .^(٢)

أما عن سياسة الأمير هاشم الداخلية فإنه يمكن القول بأنه قد خالف سياسة والده إذ فرض الضرائب والمكوس على الحجاج والتجار القادمين إلى مكة والتي كان أبطلها والده من قبل وقام بعمل ترتيبات جديدة من أجل تحميلها عن طريق بناء الحصون على جميع مداخل مكة لمراقبة القوافل التجارية القادمة إلى مكة والزامها بدفع جميع الرسوم المقررة عليها .^(٣)

والملاحظ في عهد ذلك الأمير اهتمامه الكبير

-
- (١) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٤/٤ .
(٢) ابن عثبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٦ ؛ الصباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ ؛
القاسي : العقد الثمين ، ٣٦٢/٧ ؛ ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٠٣/٢ .
لمزيد من التفاصيل انظر ص ١٠٧ وما بعدها من هذا الفصل .
(٣) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف باسم تاريخ المستبصر ، صححه أوسكر لوفغرين ، ليدن ١٩٥١ م ، ص ٤١ .

بتشييد وبناء الحصون العسكرية وتجهيزها بكامل الاستعدادات العسكرية . فتذكر المصادر أنه قام ببناء حمن بمنطقة (١) حذاء على أرض مرتفعه بها ، وبنى به ثلاثة عشر برجاً وذلك لمراقبة جميع الاتجاهات المحيطة بالحمن ، وقام أيضا بحفر بئر لسقاية الحامية العسكرية الموجودة بذلك الحمن . ويبدو أن الأمير هاشم قد قام ببناء تلك الحصون والابراج العسكرية لحماية بلاده من أى اعتداء قد يقع عليها سواء كان من اخوته وعمومته المنافسين له أو من أى قوة خارجية أخرى . كما أن الأمير هاشم قد قام بخطوة جديدة وعريضة لم يسبقه اليها أى أمير من أمراء الهواشم ، فقد بنى له مدينة خارج مكة المكرمة فيما بين درب الشنيه والمسفلة جنوباً وقد سميت هذه

- (١) حذاء : وهى قرية تقع على طريق مكة جدة القديم وتبعد عن مكة ٢٩ كيلاً، وهى فيما بين منطقة الحديبية (الشمسى) ومنطقة بحره كانت فى السابق منطقة زراعية ولكنها تأثرت كثيراً بانقطاع العين التى تمر بها فاعدمت بها الزراعة ، يوجد بها اليوم عدة أحياء يسكنها الموال ، والعمايده الحضارم ، وبعض من الحروب الذين قدموا اليها فى الأزمنة المتأخرة ، وفى حذاء اليوم عدد من المدارس والمساجد والأسواق وتعرف اليوم بنفس الاسم . انظر :
- الحموى : معجم البلدان ، ٢/٢٢٩ ؛ ابن عبد الحق : مرامد الاطلاع ، ١/٢٨٤ ؛ البلاذى : معجم معالم الحجاز ، ط ١ ، مكة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ٢/٢٤١ .
- (٢) الحموى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة ، ص ٤١-٤٢ .
- (٣) المباح : تحصيل المرام ، ص ٢١٨ .
- (٤) درب الشنيه : المقصود بها ثنية كدى وهى الثنية التى بأسفل مكة من جهة منطقة أجياد وقد فتح بها حالياً طريق يؤدى الى المشاعر المقدسة وجبل ثور وقد أنشئ على جوانبها حى الهجرة ويوجد بها الآن مواقف سيارات لحجاج البر . انظر : عبد العزيز صقر الغلصدي وآخرين : مكة المكرمة فى شذرات الذهب ، مكة ١٤٠٥هـ ، ص ١٣٤ .
- (٥) المسفلة : حى من أحياء جنوب مكة وهى مشتقة من السفلى وهو الانحدار عن المسجد الحرام وتقع حالياً على الطريق المؤدى الى الليث ويمب فيها سيل وادى ابراهيم . انظر البلاذى : معجم معالم الحجاز ، ١٥٤/٦ .

(١)

المدينة باسم مربعة الأمير .

ثم قام الأمير هاشم بتعمير تلك المدينة حيث بنى بها بيوتاً عديدة جعلها مقراً لجنده وخدمه الذين أمر بدفئهم من مكة واسكانهم بهذه المدينة الجديدة .^(٢)

والحقيقة ان تلك الخطوة التى خطاها الأمير هاشم تدل دلالة واضحة على حسن سياسته وبعد نظره لانه قد استطاع بفكرته هذه ان يوفر الامن لبلاده وان يخلص مكة وأهلها من حوادث النهب والسلب التى عادة مايقوم بها هؤلاء الجنود والعبيد على أهل مكة والوافدين اليها، وقد أدى ذلك الى انعدام الامن والاستقرار بمكة حتى أصبح الحجاج لياثمنون على أموالهم وأنفسهم. فعزم الأمير هاشم على تنفيذ تلك الفكرة الجديدة، وابعاد هؤلاء المفسدين عن أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام ، وقد تحقق له ما أراد حيث استطاع

(١) ابن المجاور : المصدر السابق، ص ٩ . انظر الملحق رقم ٤.

ربما يكون قد سميت بذلك الاسم نسبة الى بنائها الذى يبدو أنه كان مربع الشكل أو نسبة الى المكان الموجودة به حيث ذكر الزبيدي فى كتابه تاج العروس بأن مربع هو جبل قرب مكة ، قال الأشج بن مرة أخو أبى خراش :

عليك بنو معاوية بن صخر
كمسا ذكر البلى بآن مربع : ريع جنوب مكة بين ضيم
وملكان يجاوره جبلا يسمى الاشيب وأهله دعد من هذيل .
انظر :

محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، بيروت ، ٣٣٨-٣٣٩ : البلى : معالم مكة التاريخية ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن المجاور : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢ .

(٤) الرشيدى : حسن الصف والابتهاج ، ص ١١٦ .

أن يوفر الأمن والاستقرار في بلاده .
وقد وصف ابن المجاور حالة مكة بعد انتقال الجند الى
مربعة الأمير بقوله : "وبنى الأمير مدينة ظاهر مكة مابين
درب الثنية والمسفلة تسمى مربعة الأمير فكان يسكن بها
جنده وخدمه وحشمه وبقي البلد عامرا" (١)
واستمر الأمير هاشم بن فليته بعد ذلك في إمارة مكة
حتى وفاته في ذي الحجة سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م . (٢)

(١) ابن المجاور : الممدر السابق ، ص ٩ .
(٢) نجم الدين ابن محمد عمارة بن أبي الحسن الحكيم
اليمني : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ،
صححه هرتويغ درنبرغ ، باريس ١٨٩٧م ، ص ٣٢ ؛ الفاسي :
العقد الثمين ، ٣٢/٧ .

الامير قاسم بن هاشم بن فليته وامارته على مكة
(٥٤٩ - ٥٥٦ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م) .

بعد وفاة الامير هاشم بن فليته تولى ابنه قاسم اماره مكة المكرمة . غير ان اهالى مكة المكرمة لم يستبشروا بخبر تعيينه فى اماره مكة وذلك بسبب سوء سيرته معهم ولما عرف عنه من قسوة وشدة مع رعاياه . وبدلا من حرصه على توفير الامن والاستقرار فى بلاده نراه يعمل على نشر الفوضى والاضطرابات بين السكان ، ومما يؤكد ذلك ان المصادر قد ذكرت ان الامير قاسم قام فى عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م بمهاجمة اعيان مكة والتجار والمجاورين بها وسلب مامعهم من أموال بالقوة والشدة ، ولكن مما لاشك فيه ان هذه التصرفات وتلك السياسة التى انتهجها الامير قاسم قد شجعت الكثير من اللصوص وقطاع الطرق على ان يقوموا باعمالهم الاجرامية ضد الامنيين من السكان وحجاج بيت الله الحرام ، وذلك مما أدى الى اضطراب الامور بمكة المكرمة ، ومما زاد الوضع سوءا فى عهد هذا الامير تلك الخلافات والمنازعات الدائرة بينه وبين عمه عيسى بن فليته والتى دارت رحاها على ارض مكة المكرمة ، والتى انتهت بمقتل الامير قاسم سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م وتولية عمه عيسى بن فليته اماره مكة .

- (١) الفاسى : العقد الشمين ، ١٧٢/١ .
- (٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٨ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢٠٩/١ .
- (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٢٣/٢ .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ٧٧/٩ ؛ الرشيدى : حسن الصف والابتهاج ، ص ١١٧ .
- (٥) ابن فهد : غاية المسرام ، ٥٢٥/١ ؛ السنجارى : مناجح الكرم ، ٢٧٢/١ .
- (٦) وللمزيد من المعلومات حول تلك الخلافات انظر ص ١٠٨ ومابعدها فى هذا المبحث .
- (٧) أبو العداء : المختصر فى أخبار البشر ، ٣٩/٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ ؛ العمامى : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٤/٤ .

الأمير عيسى بن فليته ومارته على مكة المكرمة

(٥٥٦ - ٥٥٧ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٤ م) .

تولى الأمير عيسى بن فليته إمارة مكة المكرمة فور مقتل ابن أخيه قاسم بن هاشم سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م ، وكان الأمير عيسى يطمع في إمارة مكة منذ وفاة أخيه هاشم بن فليته إلا أن ولاية قاسم قد أحبطت معنوياته وتطلعاته ولكنه مع ذلك صمم على الدخول مع قاسم في مناوشات بغية الاستيلاء على مكة واقصائه عن أمارتها واستطاع بعد ذلك أن يحقق ما كان يرجوه ويتمناه إذ تولى إمارة مكة المكرمة .

وقد أشادت المصادر التي بين أيدينا بحسن سيرة الأمير عيسى ووصفته بأنه كان كريم النفس ، واسع الصدر كثير الحلم والعطف ، كما اشتهر بحبه لمجالسة أهل الخير والعلماء والأدباء والشعراء والاجتماع بهم وذلك مما يؤدي بالطبع إلى تشجيع العلماء والأدباء على القدوم إلى مكة طالما أنهم يجدون الاحترام والتقدير من الأمير عيسى .

وتزامنت إمارة الأمير عيسى لمكة المكرمة مع الأيام الأخيرة للعصر الفاطمي وقيام الدولة الأيوبية التي كانت السبب في إسقاط الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م .

- (١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٧٧/٩ ، الفاسي : العقد الثمين ، ٣٦-٣٥/٧ .
- (٢) القلقشندي : مبع الأعشى ، ٢٧١/٤ .
- (٣) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٠/١ .
- (٤) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٨٦/٤ ، الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٥٦/١ .
- (٥) القلقشندي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

فكان لزاما على الأمير عيسى أن يفتح صفحة جديدة فى تاريخ علاقات مكة الخارجية منذ تلك الفترة فدخل فى علاقات مع تلك الدولة الجديدة التى حكمت بلاد مصر .^(١)

ولم تكن الأمور الداخلية بمكة هادئة ومستقرة فى عهد الأمير عيسى ، ولعل ذلك راجع الى تسامحه وضعف شخصيته مما جعل جنده وعبيده يستغلون ذلك التسامح ليثيروا الاضطرابات بمكة ويقوموا بالتعرض لحجاج بيت الله الحرام ، وذلك مما أدى الى وقوع كثير من الحروب والمناوشات بين حجاج بيت الله وبين هؤلاء الجنود فى مكة والمشاعر المقدسة ، وأدى ذلك بدوره الى فقدان الأمن والاستقرار بمكة المكرمة طوال عهد الأمير عيسى الذى لم يكن له أى دور واضح فى تهدئة الأمور والقضاء على هذه الفتنة .^(٢)

كما أنه فى عهد ذلك الأمير شهدت مكة المكرمة أزمة اقتصادية حادة وذلك سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م وقد عانى منها أهل مكة والحجاج القادمون اليها كثيرا اذ غلت أسعار السلع فى أسواق مكة وخاصة المواد الغذائية التى تعذر وجودها وأشرف كثير من الناس على الهلاك حتى اضطروا الى أكل الدم والجلود والعظام، وقد أدت هذه المجاعة الى موت عدد غير قليل من الناصر ، فلم يكن للأمير عيسى حول ولا قوة ازاء تلك الازمة الا^(٣) بالاستئجار بكل من الخليفة العباسى المستضى بالله^(٤)

-
- (١) انظر الفصل الثالث ، ص ٢١٠-٢١٢ .
 (٢) الفسى : شفاء الغرام ، ٢/ ٣٦٥-٣٦٦ .
 (٣) انظر الفصل الثالث ، ص ٢٠٨ .
 (٤) الفسى : العقد الثمين ، ١/ ٢٠٩ .
 (٥) الجزيرى : الدرر الغرائد ، ١/ ٥٧٠ .
 (٦) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٢/ ٥٣٤ .

والسلطان صلاح الدين الايوسى اللذين لم يتوانيا لحظة واحدة
فى ارسال المعونات والمدقات الى أهالى مكة المكرمة .^(١)
واستمر الأمير عيسى بن فليته أميراً على مكة حتى وفاته
فى اليوم الثانى من شعبان لعام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م . وكان قبيل^(٢)
وفاته قد أوصى بامارة مكة من بعده لابنه داود وكتب عهدا^(٣)
بذلك ، وتعتبر هذه الخطوة جديدة فى تاريخ أمراء الهواشم
وقد انفرد بها الأمير عيسى بن فليته عن غيره من أمراء
الهواشم السابقين له ، حيث أدرك أن جميع الخلافات
والمنازعات التى وقعت بين أمراء الهواشم والتى أعقبت موت
أخيه هاشم كانت بسبب المراع على الامارة ، لذلك فمن^(٤)
المحتمل أن الأمير عيسى قد قام بهذه الخطوة ليضع حدا لتلك
المنازعات والخلافات الدائرة بين أمراء الهواشم .

-
- (١) العاسى : شفاء الغرام ، ٤٣١/٢ ؛ الجزيري : المصدر
السابق نفسه والمضحة نفسها .
(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٢/١ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣٦/٢ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ، ٧٧/٩ .

الأمير داود بن عيسى وأمارته على مكة المكرمة

(٥٧٠ - ٥٨٧هـ / ١١٧٤ - ١١٩١م) .

لقد تولى الأمير داود إمارة مكة بعهد من والده سنة (١) ٥٧٠هـ / ١١٧٤م ، ولكن الأمير داود لم يكن مستقرا في إمارته على مكة وذلك بسبب خلافه ومنازعاته مع أخيه مكش (٢) . وعلى الرغم مما اشتهر به الأمير داود من عدل وحسن سيرة ومعاملة للناس (٣) ، إلا أن بعض أهالي مكة قد خرجوا عليه وقاموا بثورة ضده في منتصف رجب لعام ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، وعلى الرغم من أن المصادر التي بين أيدينا لم توضح لنا أسباب تلك الثورة إلا أنه من المؤكد أن الأمير مكش كان وراء هذه الثورة التي يبدو أنها كانت بتحريض من الخليفة العباسي المستفيء ، وقد نجحت هذه الثورة واستطاع الأمير مكش أن يتولى إمارة مكة بعد أن هرب داود منها إلى وادي نخه (٤) ، وبعد ذلك أخذ مكش يرتب الأمور ويعد الجيوش ويبني الحصون وذلك استعدادا لأي هجوم عباسي قد

- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ .
 - (٢) ابن فهد : اتحاف أسوري ، ٥٣٦/٢ .
 - (٣) ابن فهد : غاية السمرام ، ٥٣٩/١ .
 - (٤) الجزيري : الدرر الأفراند ، ٥٧٠/١ .
 - (٥) الفاسي : العقد الشميين ، ٣٥٤/٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٥/٤ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ص ٥٤ .
 - (٦) ابن فهد : اتحاف أسوري ، ٥٣٦/٢ .
- وهما نخلتان نخلة الشمامية ونخلة اليمانية وهما واديان يصبان في وادي فاطمة والمقصود هنا نخلة اليمانية وهي على طريق الطائف السيل ويعرف طريقها باسم طريق أسيمانية وكان ذلك الطريق قد سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما غزا الطائف .
- انظر : الحموي : معجم البلدان ، ٢٧٧/٥ - ٢٧٨ ؛ البلادي معالم مكة ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(١) يقع عليه ، وتفاديا للتدخل العباسية في شؤون امارته، ولكن
مكثر لم ينجح بهذه الترتيبات التي عملها فقد استطاع أمير
الحج العراقي طاشتكين أن يهزمه ويحبط جميع تحركاته ، وذلك
سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، ثم قام بعد ذلك بإبعاده عن امارة مكة
لأنه رأى فيه عدم الاخلاق للعباسيين ، وعين مكانه الأمير قاسم
بن مهنا الحسيني الذي كان بصحبته ، واستمر الأمير قاسم في
امارة مكة المكرمة ثلاثة أيام ثم رأى في نفسه العجز عن
القيام بأعباء الامارة فطلب من أمير الحج العراقي
طاشتكين أن يعفيه من تلك المهمة التي أسندت اليه ، فقام
طاشتكين بإعادة الأمير داود بن عيسى الى امارة مكة من جديد
واشترط عليه أن يسقط جميع المكوس المفروضة على الحجاج

- (١) الجزيري : الدور الفرائد ، ٥٧١/١ .
(٢) هو الأمير مجير الدين طاشتكين بن عبد الله المستنجدى
أمير الحجاج وزعيم بلاد خوزستان ، كان شيخا خيرا حسن
السيرة كثير العبادة غاليا في التشيع شجاعا جوادا
سمحا قبليل الكلام ، يمضى عليه الاسبوع ولا يتكلم ، توفي
في جمادى الآخرة سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م . انظر :
ابن كثير : البدائية والنهاية ، ٤٥/١٣ ؛ الفاسي :
العقد الشميين ، ٥٦/٥ ؛ ابن تغرى بردى :
النجوم الزاهرة ، ١٩٠/٦ .
(٣) ابن فهد : الممدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
(٤) لمزيد من التفاصيل حول ذلك الخلاف العباسي المكي في
عهد الأمير مكثر انظر الفصل الثاني من ١٩٧-١٩٩ .
(٥) قاسم بن مهنا الحسيني : كان أميراً على المدينة زمن
الخلافة العباسي المستضيء (٥٦٦ - ٥٧٥هـ) واستمر في
امارتها خمساً وعشرين عاماً ، وكان السلطان صلاح الدين
محبا له يطمحه معه في غزواته وحروبه ، قدم الى مكة
مع أمير الحج العراقي طاشتكين قادما من بغداد ،
فتولى امارتها ثلاثة أيام ثم رجع الى المدينة واستمر
أميرا عليها حتى توفي وخلفه في الامارة ابنه جواز .
انظر :
الفاسي : العقد الشميين ، ٣١/٧ - ٣٢ ؛ السخاوي : الحففة
اللطيفة ، ٤٠٤/٣ .
(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ .

(١)

ويحرص على إقامة العدل بين الناس .

واستمر الأمير داود بعد ذلك فى إمارة مكة وأخذ يتناوب
إمارتها هو وأخوه مكثر عدة سنوات حتى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وهى
السنة التى قام فيها الأمير داود بنهب أموال الكعبة
وانتزاع طوق الحجر الأسود ، وذلك مما أغضب الخليفة العباسى
الناصر الذى أمر بعزله وتعيين أخيه مكثر بدلا منه ، فحينما
علم داود بذلك الأخبار هرب من مكة الى وادى نخلة خوفا على
نفسه فأقام هناك حتى وفاته فى شهر رجب لعام ٥٨٩هـ/١١٩٣م .

-
- (١) العمامى : سمط النجوم ، ٢٠٥/٤-٢٠٦ .
(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ٨٩/٣ ؟
ابن فهد : اتحاف السورى ، ٥٥٩/٢ ؛ ابن فهد :
غاية المرام ، ٥٣٦/١-٥٣٧ .
(٣) الجزيرى : الدور ، ٥٧٦/١ ؛ السنجارى : مناجح الكرم ،
٢٧٨/١ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ . ولمزيد من المعلومات
حول ذلك العزل انظر ص ٢٢ فى الفصل الثانى .
(٥) ابن الاثير : الكامل ، ٢٢٩/٩ ؛ الياقعى : مرآة
الجنان وعبرة اليقظان ، ط ٢ ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ،
٤٣٨/٣ ؛ ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٦/١-٥٣٧ .

امارة مكش بن عيسى الثانية على مكة المكرمة
(٥٨٧ - ٥٩٧هـ / ١١٩١ - ١٢٠٠م) .

لقد تولى الامير مكش امارة مكة المكرمة للمرة الثانية بعد ان عزل أخوه داود بن عيسى من الامارة ، الا أنه لم يحس بالراحة والاستقرار الا بعد وفاة داود فقد أصبح يحكم مكة دون أى منافس لاسيما أن داود كان مصدر قلق له حيث كان يهاجمه بين الحين والآخر ويعكر صفو امارته وبوفاته استراح مكش من ذلك الخطر الذى كان يهدده .

هذا ولم تكن الامور بمكة فى عهد ذلك الامير هادئة بل كانت مضطربة وذلك بسبب تلك الاعتداءات التى يشنها عادة عبيد واتباع الامير مكش ضد حجاج بيت الله الحرام ، ولم يكن للامير مكش أى دور فى تهدئة الامور والقضاء على تلك الاضطرابات بل انه كان أيضا يعامل الحجاج معاملة غير حسنة فقد ذكر ابن جبير الذى كان معاصرا للامير مكش أنه أصدر اوامره الى على بن موفق نائبه على جدة بأن يقوم بتعذيب كل من يتأخر فى دفع الرسوم المقررة عليه ، وذلك مما جعل (٣) الامير سيف الاسلام طغتكين بن أيوب يبدى عزمه واصراره على (٤)

- (١) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٣ .
- (٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٨٨/٨ ، ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٥١/٢ .
- (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٢ .
- (٤) الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن أيوب بن شاذى صاحب اليمن هو أخو السلطان صلاح الدين الايوبى ، وقد جهزه الى اليمن سنة ثمان وسبعين وقيل سنة تسع وسبعين وخمسائة فتسلمها من نواب أخيه المعظم ثوران شاه وكان شجاعا مقداما شهما ، قدم الى مكة واستولى عليها ثم عاد الى اليمن ومات بها فى شوال سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م انظر : شهاب الدين بن محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابى شامة : الذيل على الروافدين ، صححه محمد الكوشرى ، ط ٢ ، بسيروت ١٩٧٤م ص ١١ ، الفاسى : العقد الثمين ، ٦٤٠٦٣٠٦٢/٥ .

التوجه الى مكة والقضاء على جميع المفسدين الذين يثيرون
(١)
الاضطرابات بها .

هذا بالإضافة الى أن الأمير مكشّر لم تعد تهمه مصلحة
الحرم المكي الشريف والاهتمام به بقدر ما كان يهمه الحصول
على الاموال فتذكر المصادر التي بين أيدينا أن الأمير مكشّر
قد أصدر أوامره في يوم الجمعة ٢٤ من ذي القعدة سنة
٥٧٩هـ/١١٨٣م بعزل محمد بن اسماعيل الشيبى عن حجابة الكعبة
(٢)
المشرقة وذلك بسبب تهمة وجناية قد نسبت اليه وثبتت عليه
ببدو أنها كانت بسبب حصوله على أموال بطرق غير مشروعة
(٣)
مستغلاً بذلك عمله ومنصبه للحصول على تلك الاموال . ولكن
محمد بن اسماعيل هذا سرعان ما رجع الى منصبه ووظيفته ليس
لتوبته وتعهده بعدم الرجوع الى أية مخالفات بل لأنه قد دفع
للأمير مكشّر خمسمائة دينار مكية وذلك مقابل رجوعه الى
(٤)
منصبه من جديد .

ثم استمر الأمير مكشّر بن عيسى بعد ذلك أميراً على مكة
حتى قدم قتادة بن ادريس الحنسى الى مكة واستولى عليها
(٥)
سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ، وانتهى بذلك نفوذ الهواشم حيث هرب
الأمير مكشّر الى وادى نخلة خوفاً على نفسه من قتادة وأتباعه

-
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٤-٣١٥ ، ابن فهد :
المصدر السابق نفسه ، ص ٥٥٣ . وللمزيد من التفاصيل
انظر الفصل الثالث من هذا البحث ص ٢١٥ .
(٢) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٢ .
(٣) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٤ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٤٨/٢ .
(٥) انظر الفصل الثالث ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(١)

وتوفى هناك سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م .

وكان له أبناء وبنات وهم : أحمد ، محمد ، وهنيده ،

(٢)

وحسنه ، وكرامة ، وشميل ...

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٧٨/٧ .

(٢) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٤٤/١ .

(ج) التنظيمات الادارية بمكة
في عهد الهواشم

ومما تقدم فى هذا الباب يمكن تحديد أوضاع مكة الداخلية ، والتنظيمات الادارية الموجودة بها فى عهد أسرة الهواشم وأثر امارة الهواشم على الأوضاع العامة بمكة .

ويمكن أن نقول ان أسرة الهواشم هى أسرة من أسرات الأشراف التى حكمت مكة المكرمة واستمرت هذه الأسرة تحكم مكة قرابة قرن ونصف من الزمان ، ولكن الدارس لتاريخ تلك الأسرة لا يرى طيلة عهدهم أى اصلاح وتنظيم لأمور مكة الداخلية وذلك على الرغم مما يصل أمراء تلك الأسرة من أموال واعانات وهدايا من ملوك وأمراء وسلاطين الدول الاسلامية .^(٢)

وكما أن العمران بمكة لم يتسع فى عهد الهواشم وذلك بسبب انشغال أهل مكة بالفتن والاضطرابات التى شهدوها ابان حكم تلك الأسرة ، هذا بالإضافة الى أن أمراء الهواشم ومن سبقهم بالامارة قد اعتنوا بتحسينها أكثر من اعتنائهم بعمرانها ، فقاموا بسد الشغرات الموجودة بين الجبال بالأسوار القوية وذلك استعدادا لاي هجوم قد يقع عليهم ، كما أن الأمير هاشم بن فليته قد أنفق جزءا كبيرا من أمواله على بناء حصن حذاء الكبير الذى بناه لمراقبة أعدائه المتربمين به . هذا بالإضافة الى ذلك الحصن الذى بناه الأمير مكشر بن عيسى على جبل أبى قبيس وقام بتزويده بكافة الاستعدادات العسكرية وذلك للتمدد للقوات العباسية القادمة الى مكة .^(٦)

-
- (١) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي فى جزيرة العرب ، ص ٢٢ .
 (٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ٢ ، ٥١٣/٨ ؛ ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٧٦/٢ .
 (٣) السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٤/١ .
 (٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢١ .
 (٥) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٤١-٤٢ .
 (٦) ابن الاثير : الكامل ، ١٣٧/٩ .

أما عن إمارة مكة في عهد الهواشم فيمكن أن توصف بأنها كانت إمارة أعرابية تسير على قاعدة أمراء المشائر والقبائل ، فولاية العهد فيها كانت تقوم على أساس وراش حيث يوصى الأمير في الغالب لأحد أبنائه بتولى الإمارة من بعده .^(١)

كما كان من سياستهم تقريب القواد الكبار في الإمارة إلى مجالسهم وذلك ليلبحثوا ويتدارسوا معهم في الأمور العسكرية .^(٢)

أما عن الموارد الاقتصادية للدولة فقد كانوا يعتمدون على المكوس المفروضة على الحجاج القادمين لأداء فريضة الحج كما يعتمدون أيضا على الضرائب المفروضة على التجار القادمين إلى بلادهم من الهند واليمن وغيرها من الدول الأخرى . هذا بالإضافة إلى اعتمادهم على تلك الأموال والنفقات التي يرسلها اليهم خلفاء وأمراء وسلاطين الدول الإسلامية وذلك لأغراض سياسية حتى أصبحت تلك الأموال طرفا أساسيا في علاقات أمراء الهواشم الخارجية .^(٣)

كما أنه من الملاحظ في عهد تلك الأسرة أن أمراءها لم يستغلوا الأموال التي كانت تصلهم من الدول الإسلامية في توفير الأمن لحجاج بيت الله وتهيئة سبل الراحة لهم ، بل إن بعضهم قد شجع الأعراب والعبيد التابعين لهم على أن يقوموا بالاعتداء على الحجاج والقيام بسلب أموالهم .^(٤)

بالاعتداء على الحجاج والقيام بسلب أموالهم .

-
- (١) القلقشندي : صبح الاعمش ، ٢٧٦/٤ .
 (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣٦/٢ .
 (٣) القلقشندي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٤) انظر الفصل الرابع ، ص ٢٧٣ .
 (٥) القلقشندي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٦) ابن فهد : المصدر السابق ، ٥٢٠/٢ ؛ انظر الفصل الثالث ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

أما عن المناصب والوظائف الادارية فى عهد أمراء
الهواشم كالقضاء ، والافتاء ، والاشراف على الحرم المكى
فلا يشترط لتوليها أن يكون من الأسرة نفسها بل كان منصب
القضاء محمورا فى البيوت المشهورة بالمعلم بمكة المكرمة
كالطبريين ، والنويريين وغيرهم .^(١)

أما منصب الافتاء فقد كان يتولاه من يستحقه ومن يرى
أنه قادر على الاجابة على الاستفسارات الدينية الموجهة له
ولم يكن لأمراء الهواشم أى تدخل فى ذلك المنصب .^(٢)

أما سدنة لكعبة فقد فرض عليهم أمراء الهواشم دفع
سنة آلاف درهم كل عام وذلك مقابل بقائهم فى منبهم . كما أن
أمراء الهواشم كانوا طواى امارتهم على مكة عائقا لمن كان
يريد التحديد والاصلاح فى الحرم المكى الشريف وليس هناك من
سبب لتمصرف الهواشم هذا الا طمعهم فى الحصول على الاموال ،
لانسه لا يمكن لآى انسان أن يقوم بأى اصلاح أو ترميم فى المسجد
الحرام الا بعد الحصول على موافقتهم وأخذ الاذن منهم وذلك
لا يتم الا باعطائهم مالا كثيرا يوازى المال الذى سيمصرف على
المشروع ، وذلك مما يفسد البعز الى استخدام الحيل للحصول
على موافقتهم ، فتذكر الممار أن أحد الاعاجم أراد أن
يقوم بطنى بئر زمزم وتجديد قبته فعرض على الأمير فليته ذلك
المشروع فآظهر رفضه لذلك ولكن هذا الرجل قام باغرائه

(١) الطبرى : الارج المسكى ، مخطوط ، ص ١١٣ .
(٢) المصدر نفسه والمفحة نفسها .
(٣) يوسف بن أحمد : المحمل والحج ، ٢٨٤/١ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ .

بمال كبير يعادل ماسينفق على المشروع فوافق الأمير طمعا في ذلك المبلغ ، وشرع الرجل في البناء حتى انتهى وأكمل مشروعه عندئذ غادر مكة متوجها الى بلاده دون أن يعلم به الأمير أو يحمل منه على أى مدلع من المال .^(١)

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(د) الصراع بين أمراء الهواشم
وأثر ذلك في التدخل الخارجى

ان من العوامل السني تؤدي الى سرعة سقوط الدول أحيانا تلك الخلافات والمنازعات التي تكون بين حكام تلك الدول ، ولاشك في أن تلك الخلافات تشجع الكثير من الطامعين في تلك الدول على تحقيق مخططاتهم التي يسعون اليها .

فامارة الهواشم واحدة من هذه الدول التي أميبت بداء الفرقة والمنازعات بين حكامها حتى أميبت مطمعا لكثير من أعدائها المتربصين بها . بل كانت عاملا أساسيا في سقوط أمارتهم فيما بعد .

فالشرارة الوحيدة التي أشعلت نار الفرقة والخلافات بين أمراء الهواشم هي تلك المنافسات الشديدة على تولي الحكم بمكة المكرمة .^(١) فأول ظهور تلك الخلافات كان في عهد الأمير هاشم بن فليحة الذي شار عليه أخوته عبد الله ، ويحيى اللذين يريان أحقيتهما في إمارة مكة المكرمة ، فقد قام عبد الله بن فليحة بتجهيز قوة عسكرية كبيرة وذلك للاطاحة بأخيه هاشم واقصائه عن الإمارة ، وقد اتخذ عبد الله منطقة عسفان مقرا لتحركاته التي أربكت أخاه هاشم وجعلته يمم على محاربة عبد الله والقضاء عليه ، فدارت بين الطرفين موقعة جرت أحداثها بعسفان وذلك في يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة لعام ١١٣٢هـ/١٩١٢م وكان النصر فيها حليف الأمير هاشم بن فليحة الذي استطاع أن يهزم أخاه عبد الله ويشتت قواته . فدانّت بعد ذلك إمارة مكة للأمير هاشم^(٢)

(١) الجزيري : الدور الفرائد ، ٥٦٨/١ .
 (٢) ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٦ ؛ المصباح :
تحميل المرام ، ص ٢١٨ .
 (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٠٣/٢ .
 (٤) ابن فهد : المصدر السابق نفسه واصلحة نفسها .

(١)

الذى رجع اليها وأصبح يحكمها دون أى منازع له .

ولقد كان للتدخل الخارجى أثر فى تفاقم النزاع بين
أمراء الهواشم واتساعه فقد كان لأمير الحج العراقى أرغش
الستركى الذى قدم الى مكة سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م أثر كبير فى
تدهور العلاقات بين أمير مكة قاسم بن هاشم وعمه عيسى بن
فليقة ، وذلك حينما قام بعزل قاسم عن اماره مكة وعين عمه
عيسى بن فليقة مكانه ، وذلك بسبب سوء سيرة الأمير قاسم مع
تجار ومجاورى مكة المكرمة ، فاشتعل الخلاف والنزاع بين
الأميرين حيث هرب الأمير قاسم خارج مكة خوفاً من أمير الحج
العراقى وأخذ يحطط للاطاحة بعمه عيسى لاقصائه عن الامارة
فقام بالاتصال ببعض قبائل الحجاز وطلب منهم مساندته
ومساعدته ووعدهم باعطائهم أموال كثيرة فى حالة تمكينه من
امادته الى اماره مكة من جديد ، فاستجاب له أعداد كبيرة من
القبائل وساروا معه متجهين الى مكة فحينما علم عيسى بتلك
القوة الكبيرة القادمة اليه خشى على نفسه وفضل الهرب عن
مكة وذلك فى شهر رمضان سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م بعد أن مكث فى
امارتها تسعة أشهر ، فاستطاع قاسم أن يدخل مكة من جديد
ويعلن امارته عليها ، بيد أن هناك عوامل قد أدت الى عدم
استمراره فى الامارة الا أياماً قليلة ، وهى أن رؤساء

- (١) السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧١/١ .
- (٢) ابن الاثير : الكامل ، ٧٧/٩ : المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٥٤ .
- (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٢٣/٢ .
- (٤) راجع ص ١٨٩ من هذا البحث .
- (٥) أبو الفدا : المختصر ، ٣٩/٣ .
- (٦) ابن الاثير : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
- (٧) السنجارى : المصدر السابق نفسه ، ٢٧٢/١ .
- (٨) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .

القبائل الذين ساندوه قد طلبوا منه أن يحقق جميع وعوده السابقة لهم ولكنه رفض ذلك لقلة ما بيده من أموال .^(١)

هذا بالإضافة الى أنه قد قام باذكاء نار غضبهم وذلك حينما قام بقتل قائد من قواده لم تذكر المصادر التي بين أيدينا اسمه ولكن يبدو أنه كان من رؤساء هذه القبائل لذلك كله شار غضبهم على القاسم وصمموا على الانتقام منه حيث قاموا بمراسلة عمه عيسى بن فليته وقدموا له الضمانات الكفيلة لاعادته الى اماره مكة من جديد واخراج القاسم منها فوجد عيسى بن فليته ذلك العرض فرصة له يجب عدم اضاعته فأعلن ترأسه لهم وثايبه التام لهم فقدم الى مكة ، فوجد الترحيب والاستقبال من رؤساء القبائل بعكس الأمير قاسم الذي وجد كامل الاعراض والتخلي عنه وذلك مما أجبره على أن يقوم بمحاولات للهروب من مكة ، فحينما علمت هذه القبائل بهرب الأمير قاسم قامت بمطاردته بغية القضاء عليه فتمكنوا من القبض عليه بجبل أبي قبيس وقاموا بقتله ولكن خبر مقتله قد ساء عمه عيسى كثيرا وندم لذلك ندما كبيرا لأنه كان لا يريد

- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٢٤/٢ - ٥٢٥ .
- (٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٧٧/٩ .
- (٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ .
- (٤) أبو الفدا : المختصر ، ٣٩/٣ .
- (٥) جبل أبي قبيس : هو الجبل المشرف على الصفا وهو أحد أخشبي مكة ، وقد سمي بذلك الاسم نسبة الى رجل من جرهم يدعى أبي قبيس حيث قام ببناء منزل له على سفح ذلك الجبل ، وقيل لأنه اقتبس منه الحجر الأسود ، وكان فسي الجاهلية يسمى الاميين لأن الحجر الأسود استودعه الله فيه زمن الطوفان . انظر :
أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي المالح ملحق ، ط٤ ، مكة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ٢٦٧/٢ ، المباع : تحميل المرام ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
- (٦) ابن الاثير : المصدر نفسه والمفحة نفسها .

(١)

قتله . فقام بغسله ودفنه بمقبرة المعلى .

ولقد حدث أيضا خلاف في عهد امارة الامير عيسى بن فليته بينه وبين أخيه مالك وكان هذا الخلاف يدور حول تولى السلطة بمكة^(٢) لأن مالكا يرى أنه أحق من أخيه عيسى بالامارة لذلك أخذ مالك يعد العدة ويجهز القوات لمواجهة أخيه عيسى وابعاده عن امارة مكة ، فحينما علم الامير عيسى بتحركات أخيه مالك خشى على نفسه وملكه من الضياع حتى أنه امتنع من الذهاب الى الحج في سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٠م وذلك خوفا من أخيه مالك وقواته المرافقة له .^(٣)

عندئذ أحس مالك بقوته وعزم على مهاجمة مكة وطرده أخيه عيسى منها ففي العاشر من محرم سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م استطاع مالك بن فليته أن يدخل مكة بقوة كبيرة تفوق قوة الامير عيسى وتمكن من الانتمار عليه والاستيلاء على مكة الا أن استيلاءه هذا لم يدم سوى نصف ذلك اليوم الذي دخل فيه مكة^(٤) لأن الامير عيسى قد أعاد صفوته من جديد وهاجم احاه مالكا فدارت بين الطرفين موقعة كبيرة استمرت حتى غروب الشمس من

- (١) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٢٨/١ .
مقبرة المعلى : وهي مقبرة تقع عند جبل الحجون بمحاذاة مسجد الجن حاليا وهي مقبرة أهل مكة وبها قبور كثير من الصحابة وتمتد هذه المقبرة ملاصقة بالجبل الى ثنية اذخر بحائط خرمان المعروفة اليوم بالخرمانية . ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "نعم الشعب ونعم المقبرة هذه" .
الحمصوي : معجم البلدان ، ٢٢٥/٢ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ١٥٣/١ ؛ عبد العزيز الغامدي وآخرين : مكة المكرمة في شذرات الذهب ، ص ٨٦-٨٧ .
(٢) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٦٨/١ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣١/٢ .
(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٨/١ .
(٥) الطبري : الأرجح المسكي ص ٢٦٣ .

ذلك اليوم وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الأمير عيسى واستيلائه على مكة من جديد ، ثم عقد بين الطرفين صلح اقتضى بموجبه مغادرة الأمير مالك الأراضى الحجازية لذلك توجه فورا الى بلاد الشام .^(٣)

ولم يكن خروج مالك من مكة المكرمة خروجاً نهائياً بل انه عاد اليها فى نهاية شهر ذى القعدة فى ذلك العام نفسه بعد أن استكمل قواته وأعد عساكره لمواجهة أخيه عيسى ، وأقامته عن اماره مكة المكرمة ، وكان مالك قبيل هجومه على مكة قد أقام بمنطقة بطن مر عدة أيام قضاها فى تجهيز قواته واستقبال القبائل المؤيدة له ، كما أنه أقام فى ذلك المكان بالذات ليحمل على تأييد ومناصرة الاشراف المقبضين فى ذلك المكان .

وأثناء اقامته هناك أخذ الأمير مالك يرسم الخطط التى تقضى بمحاصرة مكة المكرمة عسكريا واقتصاديا فقام بتقسيم جيشه الى ثلاث سرايا ، السرية الاولى تدخل مكة من جهة المعلا ويقتودها هو بنفسه ومعه الاشراف المؤيدون له ،^(٦) والسرية الثانية وهى مكونة من قبائل هذيل ويرأسها بعض قواده^(٧)

- (١) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .
- (٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٣/٢ .
- (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣٢/٢ .
- (٤) الفاسى : العقد الثمين ، ١١٥/٧ .
- (٥) ابن فهد : المصدر نفسه ، والمفحة نفسها .
- (٦) الطبرى : الارح المسكى ، ص ٢٦٣ .
- (٧) وهى قبائل ينتهى نسبها الى هذيل بن مدركه بن الياس ابن عدنان وهى تسكن بجهات مكة الأربع حيث يقطن الفرع الأكبر منها فى جنوب مكة ، وفرع منها قاطن بين مكة ووادى قاطمة شمال مكة ، وفرع منها سكن فى وادى نخلة كبنى عمير والمطارفة وبني مسعود ، والسعايد ، وفرع منها يقطن بوادى نعمان ، ووادى عربة على طريق الطائف انظر : شرف بن عبد المحسن البركاتى : الرحلة اليمانية ط ٢ ، بيروت ١٣٨٤هـ ، ص ١٣٤ .

(١) وقد قرر أن تدخل هذه السرية من جهة جبل أبى الحارث، أما السرية الثالثة فقد أسندت إليها مهمة محاصرة مكة قتصاديا ومنع وصول أى امدادات تصل إليها .

وقد نجحت هذه السرية نجاحا كبيرا فى تنعيم مهمتها حيث استولت على كثير من السفن المحملة بالمواد الغذائية ومن بين هذه السفن تلك السفينة المحملة بالامدادات والمواد الغذائية والتي أرسلها شمس الدولة بن أيوب صدقة لاهل مكة (٢) المكرمة كما نجح مالك ومن معه فى احكام الحصار العسكرى على مكة ذلك الحصار الذى استمر عدة أيام وذلك مما أحبر الأمير عيسى على التحرك لمواجهة قوات أخيه مالك والعمل على فك الحصار عن مكة فدارت بين الطرفين معركة ضارية انتهت بانتصار الأمير عيسى على أخيه مالك وقتل عددا كثيرا من أتباعه ، فاضطر مالك بعد ذلك الى الهرب من مكة فاتجه الى

(١) جبل أبى الحارث : هو أحد أخشى مكة المقابل لأبى قبيس السى جهة قيقعان والشبيكة بأسفل مكة . انظر : الفاسى العقد الثمين ، ٤٦٧/٦ .

(٢) هو السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادى بن مروان الملقب بفخر الدولة ، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ، كان كريما شجاعا حسن الاخلاق عظيم الهيبة واسع النفقة كثير العطاء . توجه الى بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م واستولى عليها بأمر من أخيه صلاح الدين فمكث فيها مدة ثم اشتاق للعودة الى بلاد الشام وذلك سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ، فأناجه السلطان صلاح الدين على دمشق ثم على الاسكندرية فتوفى فيها سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م .

انظر : بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٤٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠٦/١٢-٣٠٧ ؛ ابن تيمى بردي : النجوم الزاهرة ، ٣٥٣/٥ .

(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٤٦٦/٦-٤٦٧ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٢٨/١-٥٢٩ .

(٥) الفاسى : المصدر نفسه ، والمفحة نفسها .

(١) خيف بنى شديد ، ومنه الى نخله التى مكث بها عدة أيام ثم غادرها الى منطقة الطائف ، ويبدو أن تحركات مالك الى هذه المناطق كان يهدف من ورائها الى استنهاض همم سكان تلك المناطق لمناصرتهم وتأييده فى حربه مع أخيه عيسى ، ولكنه فشل فى تحركاته تلك لذلك عزم على الرجوع الى بلاد الشام ، وأثناء توجهه اليها مات فى الطريق فى منطقة تيماء (٢) وذلك سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، ونتيجة لتلك الأعمال التى قام بها مالك بن فليته ضد أخيه عيسى فقد أصدر العباسيون أمرهم بإيقاف جميع المعونات والرسوم التى كانت تدفع للأمير مالك ، كما أمروا بانتزاع ومصادرة جميع الاقطاعات الممنوحة له فى بلاد العراق . (٥)

وبعد وفاة الأمير عيسى بن فليته ظهر النزاع على منصب الامارة من جديد فحينما تولى الأمير داود اماره مكة بعد وفاة والده قام أخوه الأمير مكشر بن عيسى بثورة ضده سنة

(١) خيف بنى شديد : الخيف فى اللغة هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ويوجد بمنطقة مكة المكرمة سبع مساويع يطلق عليها الخيف منها خيف بنى كنانة ، وخيف سلام ، وخيف النعم ، وخيف الخيل ، وخيف ذى القبر ، وخيف بنى عمير ، وخيف الأشداء أو بنى شديد وهو الواقع بأعلى وادى فاطمة شمال شرقى مكة المكرمة على طريق المدينة المنورة وهذا الخيف ينسب الى الأشداء وهم أشراف من بنى الحسن بن على بن أبى طالب . أنظر :

باقوت الحموى : المشترك وضعاً والمفترق صقلاً ، جامعة شريفتن ١٨٤٦م ، ص ١٦٥ : موريتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ١٠١ .

(٢) الطبرى : الأرج المسكى ، ص ٢٦٣ .

(٣) تيماء : هى بلدة فى أطراف الشام ، تقع على طريق حاج الشام ودمشق ، والتيماء هى الأرض القاحلة التى لاء بها . أنظر : الحموى : معجم البلدان ، ٦٧/٢ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٤/١ .

(٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣٣/٢ .

(١)
 ٥٧١هـ/١١٧٥م تلك التى يبدو أنها كانت بتحريف من الخليفة
 العباسى المستنصر الذى لم يكن راضيا عن داود ، فاستطاع
 مكثرا أن ينجح فى ثورته على أخيه داود الذى أبعد عن إمارة
 مكة فساءت العلاقة بين الأخوين حتى قدم شمس الدولة بن أيوب
 من بلاد اليمن فى الخامس عشر من شعبان لعام ٥٧١هـ/١١٧٥م
 أثناء توجهه الى الشام فقام بالاجتماع مع الأمير مكثر وأخيه
 داود بمنطقة الزاهر وتباحث معهما عن أسباب ذلك الخلاف
 الدائر بينهما وقدم لهما أنجع الوسائل والطرق للإصلاح
 بينهما فوافقا على ذلك المصلح .
 (٢)

واستمر الأمير مكثر بعد ذلك أميرا ، على مكة حتى عزله
 أمير الحج العراقى طاشتكين الذى قام بإعادة الأمير داود
 الى إمارة مكة من جديد ، واستمر الأخوان بعد ذلك يتداولان
 إمارة مكة ويتنافسان عليها اذ لم يكن أحدهما يشعر بقوته
 ويجهز أموره حتى يهاجم الآخر ويطرده عن الإمارة ويقوم
 بالاستيلاء عليها حتى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وهى السنة التى قام
 فيها داود بنهب جميع أموال الكعبة الموجودة بها وذلك مما
 جعل الخليفة العباسى الناصر يأمر بعزله عن إمارة مكة فهرب
 (٣)
 (٤)
 (٥)
 (٦)
 (٧)
 (٨)

- (١) المصدر السابق نفسه ، ص ٥٣٦ .
- (٢) العماسى : سمط الفجوم العوالى ، ٢٠٥/٤ ؟ المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٥٤ .
- (٣) الجزبرى : الدرر الفرائد ، ٥٧٠/١ .
- (٤) الزاهر : هو حى من أحياء مكة الغربية يقع على الطريق المؤدى الى المدينة المنورة والى العمرة ، وهو حسى جميل شجير واسع الشوارع المعبدة ، وأغلب سكانه من قبيلة حرب . انظر : البلاذى : معجم معالم الحجاز ، ١٢٧/٤ .
- (٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٦/٢ .
- (٦) راجع ص ٩٦ من هذا البحث ، ص ١٩٨ من الفصل الثانى .
- (٧) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٣ .
- (٨) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٦/١ .

(١)
داود الى وادى نخلة ومكث هناك حتى وفاته سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م
فتولى اماره مكة بعد عزله أخوه مكتر الذى أخذ يحكمها دون
أى منازع له واستمر فى امارته عليها حتى تمكن الأمير قتادة
من أن ينتزعها منه سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م مستغلا تلك الخلافات
والمنازعات الدائرة بين أمراء الهواشم تلك الخلافات التى
أنهكت قواهم وجعلت الدول المتربمة بهم تنظر اليهم نظرة
الاسد الى فريسته التى حان الانقضاض عليها .

هذا وقد عانت مكة المكرمة كثيرا من الاضطرابات وذلك
من جراء الدمار والخراب الذى سببته تلك الحروب الدائرة
بين أمراء الهواشم والتى دارت رحاها على أرض مكة المكرمة
كما أن مكة المكرمة قد شعرت لخطر جسام طوال مدة هذه
الخلافات التى أدت الى افتقار أهل مكة للامن والاطمئنان حيث
عمت بلادهم الفوضى والاضطرابات لأن أميرها كان يركز كل جهده
واهتمامه على محاربة خصمه ومحاولة التغلب عليه وينسى بذلك
دوره فى توطيد الامن والاستقرار فى بلاده . وقد عانى أيضا
حجاج بيت الله من تلك الخلافات الدائرة بين أمراء الهواشم
حيث أنهم لم يستطيعوا أن يؤدوا فريضتهم بيسر وسهولة وذلك
خوفا على أنفسهم من تلك الاضطرابات .
(٥)

هذا بالإضافة الى ماوجده التجار القادمون الى مكة من
عناء ومشقة حيث تعرفت سفنهم وبضائعهم لكثير من حوادث

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ، ٢٢٩/٩ ، الجزيرى : الدور ،
٥٧٦/١ .
(٢) ابن عنبية : عمدة الطالب ، ص ٢٣٩ ، الصباغ :
تحصيل المرام ، ص ٢١٩ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٦٦-٤٦٧ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٢/٢ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٦٠/١٠ .

الذهب والسلب من قبل المتحاربين وذلك أدى بدوره الى
انعدام المؤن والفلال وكان من نتيجة ذلك غلاء جميع الاسعار
الموجودة بأسواق مكة المكرمة .^(٢)

كما أن هذه الخلافات قد مكنت القوى الخارجية من
التدخل فى شئون مكة الداخلية حيث قامت بعزل بعض الأمراء
وتولية آخرين حتى ولو لم يكونوا من أسرة الهواشم نفسها ،^(٣)
كما ترتب على هذه الخلافات تدخل القبائل المجاورة
لمكة فى سياسة أمرائها الداخلية وذلك مما أدى الى ازدياد
حدتها وخطورتها لأن هذه القبائل كان يهمها استمرار تلك^(٤)
الخلافات والحروب وذلك لكى تحقق مصالحها المادية ، فقد
كانوا يقومون بالهجوم على مكة مرات عديدة وخاصة فى الاوقات
التي يكون فيها أمراء مكة مشغولين بحروبهم مع بعضهم البعض^(٥)

-
- (١) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٣/١ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ، ٩٢/٩ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٢-٣١/٧ .
كمثل تعيين الخلافة العباسية للأمير قاسم من مهنا
الحسينى أمير المدينة سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م حيث عزل الأمير
مكشر بن عيسى عن إمارة مكة وتولى مكانه الأمير قاسم
ابن مهنا وهو من أسرة غير أسرة الهواشم التى تحكم
مكة . ولمزيد من التفاصيل راجع ص ١٩٩ .
(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، ٧٧/٩ ، الفاسى : المصدر
السابق ١١٥/٧ ؛ السنجارى : مناقح الكرم ، ٢٧٤/١ .
(٥) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٣ .
ولمزيد من المعلومات حول استغلال تلك القبائل
للمنازعات الدائرة بين أمراء الهواشم وهجومهم على
مكة . انظر ص ٢٣٢-٢٣٣ .

الفصل الثاني

علاقة أمراء الهواشم الخارجية

- (أ) علاقة الهواشم بالدولة الصليحية في اليمن .
- (ب) علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية ببغداد
والفاطمية بمصر .

(أ) علاقة الهواشم
بالدولة الصليحية في اليمن

قيام الدولة المملوكية في اليمن

١٠٤٧هـ / ١٠٤٧م - ٥٣٢هـ / ١١٣٧م .

لقد استطاع الأمير على بن محمد الصليحي أن يؤسس له دولة في اليمن عرفت باسم الدولة المملوكية وذلك نسبة إلى مؤسسها الذي استطاع خلال فترة وجيزة أن يؤسس كيان تلك الدولة الكبيرة التي حكمت بلاد اليمن قرابة قرن من الزمن . وقد عاش مؤسسها الأمير على مع والده محمد الصليحي الذي كان قاضياً في بلاد اليمن آنذاك ، وكانت له رئاسة (١) وسؤدد بين قومه في تلك الفترة ، فقدم عليه الداعي سليمان بن عبد الله الزواحي أحد دعاة الشيعة في بلاد اليمن فعرس في قلب الأمير على الصليحي حب المذهب الشيعي حتى أصبح فيما بعد من أشد المتعمقين لذلك المذهب ، وأخذ الصليحي يستميل الناس إليه ويشجعهم على توطيد أقدام الفاطميين في بلاد اليمن والدعوة لهم ، فاجتمع عليه نفر كثير من جميع مناطق (٢) وقبائل بلاد اليمن ، فاتخذ بعد ذلك من منطقة مسار نقطة (٣)

- (١) حسين بن أحمد العرشى : بلوغ المرام في شرح مسك الختام قimen تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، القاهرة ١٩٣٩م ، ص ٢٥ .
- (٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٩٦ .
- (٣) وقيل اسمه عامر . انظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣/٣٤٦-٣٤٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ٢٤٧/١-٢٤٨ .
- (٤) العرشى : الممدد السابق نفسه ، ص ٢٤ .
- (٥) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، بيروت ١٩٦٨م ، ص ١٧٦ .
- (٦) مسار : جبل عال بأعلاه حمن وبه قرى ومزارع وهو أحد جبال حراز وحراز اقنيم من أقاليم اليمن قرب زبيد . انظر : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : مفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكسوع ، الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ١٠٨ ؛ الحموي : معجم البلدان ، ٢/٢٣٤ .

انطلاق لتحركاته التى أخذت تنوسع تدريجيا حتى لم يبق أمامه
 أى عائق سوى القضاء على نجاح زعيم دولة بنى نجاح السنية^(١)
 فى زبيد وتهامة ، فقام الأمير على المليحي بأهدائه جارية
 له جميلة الشكل كان قد أوعز إليها بالقيام بدس السم له ،
 فسارت على خطته وتمكنت من دس السم لنجاح فتوفى سنة
 ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، واستولى الأسير المليحي بعد ذلك على زبيد^(٢)
 ومنطقة تهامة ثم استولى على مدينة صنعاء التى اتخذها
 عاصمة لملكه ، كما أنه استولى أيضا على عدن وأرسل قواده
 الى جميع مناطق بلاد اليمن ، ومخالفها المتبقية وذلك بغية
 الاستيلاء عليها مستغلا الظروف السياسية المضطربة بها
 والمتمثلة فى الفرقة والمنازعات القبلية بين سكانها ، فلم^(٣)
 تكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء وقيادة
 واحدة بل كانت السلطة فيها موزعة بين الأمراء والزعماء

-
- (١) هو مؤسس الدولة النجاشية التى كان نفوذها يشمل تهامة وزبيد وأعمالها ، وكان نجاح هذا مملوكا لشخص يدعى مرجان أحد عبيد الحسين بن سلامة من دولة بنى زياد فى تهامة اليمن ، وقد تمكن مرجان من الاستيلاء على السلطة بعد أن قتل آخر أمراء بنى زياد وبعد فترة دار بين مرجان ونجاح خلاف ونزاع انتهى بمقتل مرجان واستيلاء نجاح على الحكم سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م .
 أنظر : عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٨٣-٨٦ ؛
 العرشى : بلوغ المرام ، ص ١٤-١٥ .
 (٢) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٧٦ .
 (٣) زبيد : مدينة من مدن بلاد اليمن سميت بذلك الاسم نسبة الى الوادى الذى تقع عليه ، أحدثت هذه المدينة فى أيام الخليفة العباسى المأمون . أنظر :
 الحموى : معجم البلدان ، ٣/ ١٣١ .
 (٤) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٦٥ .
 (٥) عمارة : الممدد السابق نفسه ، ص ١٢٣ ؛ أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ط ٣ ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٩٣ .

المتباغضين المتنافرين الذين لم يرتبطوا بالخلافة العباسية آنذاك إلا برباط واحد هو اقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة ، فاستغل الصليحي كل هذه الظروف لصالحه واستطاع أن يستولى على جميع مدن ومناطق بلاد اليمن وأقام الخطبة على منابر مساجد اليمن للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وأصح من دعاة الفاطميين المخلمين لهم والمتحمسين لنشر مذهبهم الشيعي ، وأدرك الخليفة الفاطمي المستنصر بالله صدق ولاء الأمير الصليحي له وإخلاصه للخلافة الفاطمية فبعث له الرايات واللقاب وبارك له بولايته على بلاد اليمن ، وقد بلغ من ثقة الخليفة المستنصر به وإطمئنانه لولائه وإخلاصه للدولة الفاطمية أن منحه لقب "الأمير الأجل شرف المعالي تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين" .

ولم يكن اهتمام الصليحي مقصوراً على بلاد اليمن فحسب بل كان ينظر الى ما وراء حدود بلاده ، وبالأخص الى بلاد الحجاز والأراضي المقدسة أقرب البلاد من اليمن ، وأهمها في نظر المسلمين كافة ، وأحوجها الى استقرار الحكم وحسن

- (١) حسين بن فيض الله الهمداني ، وحسين سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٦٣ .
- (٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٤٢/٦ - ٢٤٣ .
- (٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٧٣/٨ - ١٢٩ .
- (٤) أبو الفدا : المختصر ، ١٨١/٢ - ١٨٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمان ، ٢٥٣/١ .
- (٥) ابن الحسين : المصدر السابق نفسه والمصححة نفسها ؛ ماحد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٢ ، ص ٣٢-٣٣ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩-٢٤٠ ؛ حياة عبد القادر المرسى : دور السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي في اليمن ، رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩/١٤٠٠هـ ، ص ٦٤ .
- (٦) ماحد : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٢ ؛ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق نفسه والمصححة نفسها .

(١) الإدارة فيها ، ولم يمنعه من تحقيق ذلك سوى تلقى الأوامر والموافقة من الخلافة الفاطمية ، وقد جاءت تلك الموافقة من الخليفة المستنصر لذي رأى أنه خير عون له في تثبيت السيادة الفاطمية على بلاد الحجاز ، فحينما تدهورت الأوضاع الداخلية بمكة عقب سقوط الإمارة الموسوية سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م خشي المستنصر ضياع نفوذ وسيادة الفاطميين على مكة المكرمة ورأى ضرورة الإسراع لإعادة نفوذه الذي كان قد فقده أثناء حكم بنى أبي الطيب بمكة ، ولقد أدرك الخليفة المستنصر أن أى تحرك عسكري فاطمي إلى مكة يحتاج لفترة طويلة حتى يصل إليها ، لذلك عهد إلى داعية في اليمن الأمير على بن محمد المليحي بالتوجه إلى مكة وإعادة السيادة الفاطمية عليها من جديد ، وإقامة الخطبة على منابرها باسمه ، والقيام بتنظيم أمورها الداخلية ، وتعيين أسرة جديدة في إمارتها تكون موالية للفاطميين ومخلصة لهم ، فسارع المليحي لتنفيذ تلك الأوامر الفاطمية بكل تقبل ووفاء ، فأتجه إلى مكة في السادس من شهر ذي الحجة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٢م واستطاع أن يدخلها دون أن يجد أى مقاومة تذكر من أمرائها بنى أبي الطيب وقضى فرض الحج ومعه ملوك اليمن وزعمائها ، وانتزع

(١) الهمداني ، ومحمود : المليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٨٨ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٦٦/٢-٤٦٧ .

(٣) السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٢/١ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٣٢/٨ ، أبو محمد عبد الله الطيب أبي مخرمه : تاريخ شجر عدن ، ١٦١/٢ .

سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٧٩ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤١-٢٤٠ .

(٥) المقرئزي : انعاش الحنفيا ، ٢٦٨/٢ ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢١٣/١ .

(٦) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩٠/١٢ .

امارة مكة من بنى أبى الطيب ، وأصلح الامور المضطربة بها ، وقام بانفاق كثير من الاموال والصدقات على أهالى مكة وأظهر العدل والاحسان ، وعمل على استمالة قلوب أهالى مكة والحجاج الموجودين بها فى تلك الفترة الى جانبه بما امتلك من الأموال ، وقام ببعض الاعمال الخيرية التى عدت على أهالى مكة بالخير والمنفعة ، ثم أخذ يعمل على تحقيق الهدف الاساسى الذى قدم من أجله فاقام الخطبة على منابر مساجد مكة والمشاعر المقدسة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله ،^(١) وثمانى لاستمرارية الخطبة للفاطميين فقد حرص الصليحي على أن تتولى امرة مكة أسرة جديدة تكون موالية للخلافة الفاطمية فوق اختياره على الامير محمد بن جعفر بن أبى هاشم الذى ينتسب الى أسرة من أسر الاشراف وتعرف باسم الهواشم ، وعلى الرغم من أن المصادر التى بين أيدينا قد تجاهلت الأسباب التى أودت بالصليحي الى أن يقوم بتعيين تلك الأسرة بالذات فى امارة مكة ، الا أن ذلك ربما يكون بسبب قرابة الامير محمد بن جعفر للموسويين أمراء الأسرة السابقة التى كانت مخلصمة وموالية للفاطميين ، فقد كان زوج ابنة شكر بن أبى الفتوح الذى اشتهر عنه موالاته وحسن علاقته بالفاطميين^(٢) فظن الصليحي أن الامير محمد بن جعفر سيرث من الأسرة

- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦١/٢ ، الجزيرى : الدرر الغرائد ، ٥٤٨/١ ، الهمداني : المليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٩١ .
(٢) ولمزيد من المعلومات عن أوضاع مكة الامنية والاقتصادية فى عهد الصليحي راجع الفصل الاول ص ٦٤-٦٣ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٦٨/٢ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٣٩/١-٤٤٠ ، الزيلعى : مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ٦٦ ، ولمزيد من الايضاح حول أسباب اختيار الصليحي للامير محمد بن جعفر راجع الفصل الاول ص ٦٥-٦٦ .

الموسوية اخلاصها للدولة الفاطمية بمصر .

وعلى الرغم من ذلك فقد اشترط الصليحي على الأمير محمد بن جعفر أن يكون مواليا للفاطميين وحريما على الدعوة لهم على منابر مكة والمشاعر المقدسة طوال عهده ، وقد رحب الأمير محمد بن جعفر بقبول ذلك الشرط ، ولكى يضمن الصليحي بقاء تلك الخطبة بمكة فقد قام بتجهيز الأمير محمد بن جعفر بكل ما يحتاجه فى شؤون امارته من مال ورجال وخيل وسلاح وذلك ليمبح مؤهلا للدفاع عن مكة من أى عدوان خارجى ربما قد يستهدف ازالة السيادة الفاطمية عنها ، وعلى الرغم من أن الأمير محمد بن جعفر قد أعلن وتعهد للأمير الصليحي بأنه سيظل مواليا ومخلصا للفاطميين والملحيين الا أنه سرعان ما انقضت تلك الوعود والعهود ، فبحرود خروج الصليحي من مكة أخذ الأمير محمد بن جعفر يفكر فى توسيع نفوذ امارته حتى تشمل أكبر جزء من الاراضى الحجازية ، فكانت الشرارة الاولى التى أشعلت نار الفرقة والخلاف بين الدولة الصليحية فى اليمن وبين اماره مكة فى عهد الهواشم هو ذلك الاعتداء الذى قام به الأمير محمد بن جعفر على بعض الاراضى اليمنية التابعة للحكومة الصليحية آنذاك فقد هجم على مدينة حلى بن بعقوب واستولى على ما بها من متاع وأملاك للأمير الصليحي وصادرها وذلك سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ، وكان الأمير محمد بن جعفر قد اختار تلك المنطقة بالذات نظرا لما اشتهرت به من خصوبة

- (١) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٦٩ .
 (٢) ابن ظهير : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣١ .
 (٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٤٠ .

التربة وملاحية أرضها للزراعة وخاصة زراعة الحبوب لذلك استولى عليها وقام بطرد النائب المليحي الموجود بها وذلك مما أظهر غضب واستياء الأمير على المليحي الذي شكاه هذا الأمر لى إمامه بمصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٢) فأجابته بسجل هذا فيه روعه وغضبه حيث قال له : "وتصف استشراق متولى مكة - حرسها الله - الى حلى لمالك من الامتعة والاقوات ، فانك تستخير الله تعالى وتتوكل له مقدما للاعذار واللين في المقال ان نجح أو أشر ، والاحاكمته الى الله وهو خير الحكمين" . (٣)

وعلى الرغم من أن المليحي قد انصاع للأوامر الفاطمية الا أنه كان مصمما على ابعاد الأمير محمد بن جعفر عن إمارة مكة ولكنه لا يستطيع تحقيق ذلك الا بموافقة إمامه الخليفة المستنصر بمصر الذي لا يؤيد محاربة ابن جعفر طالما أنه يقيم الخطبة على منابر مكة للخلافة الفاطمية ، ولكنه في عام ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م قطع الأمير محمد بن جعفر الخطبة عن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وأقامها للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، فاستغل المليحي تلك الفرصة ليحمل من إمامه على الاذن بمحاربة ابن جعفر ، فأرسل الى مصر في نفس العام وفدا يتكون من القاضي عمران بن الفضل ، ونجيب بن

-
- (١) الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٧-٦٧ .
 (٢) الحمداي : المليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٩٣ .
 (٣) ماجد : المروج السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ .
 ولمزيد من المعلومات حول أسباب تحول الأمير محمد بن جعفر للعباسيين انظر ص ١٤٨-١٥٠ .
 (٥) محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، ١٠٢/١ .

غفير ويوسف بن محمد وعنتر بن غشم ، وذلك لاقناع الخليفة
الفاطمي المستنصر بأن يسمح للمليحي بالتوجه الى مكة ليظهر
نفسه من دس الدنيا ، ويقضى على الفساد الذى حل بالحرم
العظيم ، ويقوم مناره ، ويقوم للعدل عماده ، ويُعمر طرقه
(١)
للسفر ، ويظهرها من المفسدين .

ولم يكن هناك ما يمنع المستنصر من الموافقة على طلب
المليحي طالما أن الأمير محمد بن جعفر قد حول ولاءه للخلافة
العباسية ، فصدرت الموافقة من الخليفة المستنصر سنة
٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ولكنّه اشترط على امليحي أن يقوم بمعالجة
الامور بكل حكمة وروية كما أمره بتجنب الحروب والمعارك
داخل البلد المقدس وحثه على فعل الخير بها ، وتجنب الفتن
والمشاكل ما استطاع الى ذلك سبيلا حيث بعث اليه سجلا تضمن
كل ذلك ومما جاء فيه : "وحيث أن يقبض الله املاحه - وهو
خير البقاع - على يديك وانت خير من لحظته عين الامامة
بالامطناع . سوى أن أمير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على
جرح بتمدى قسوم لقتالك ، اذا رأوك عليه مطلا فيحدث
حادث فساد ، قتالا وقتلا ، وما يؤثر أمير المؤمنين أن يوجد
من ذلك مثقال ذرة ، ولا ينال طالبينا خاصة وخز ابرة . وان
أمكنك ذلك المكان ، بتألف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ،
موابرد ذلك على الاكباد ، انه لآية المراد ، وغاية قصد
(٣)
القصاد " .

(١) الحمداوى : الصليحيون والحركة الفاطمية ، ص ٩٦-٩٧ .
(٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٦٨ .
(٣) الحمداوى : المرجع السابق نفسه ، والصفحة نفسها ؛
الزيلعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

ولم يتباطأ المليحي لحظة واحدة فى تحقيق الاوامر الفاطمية لذلك نجده حال تلقيه تأييد الخليفة الفاطمى له بدأ فى التجهز للمسير الى مكة المكرمة حيث قام بتجهيز قوة كبيرة مكونة من ألفى فارس وغادر بها اليمن فى أواخر سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ، وكان قبيل مغادرته لليمن قد استخلف عليها ابنه المكرم أحمد وعهد اليه برعاية شؤون البلاد ، ثم اصطحب معه الى مكة جميع ملوك وأمراء بلاد اليمن الذين استولى على بلادهم وذلك خوفا من تأمرهم على ابنه المكرم بعد توجهه الى مكة ، كما اصطحب معه أيضا زوجته أسماء بنت شهاب وعددا من أفراد أسرته ، فلما وصل المليحي الى قرية المعجم وهو فى طريقه الى مكة نزل فى ضيعة يقال لها أم الذهب ، فتمب خيامه بها وأحاط حوله العساكر والملوك

- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩٦/١٢ ؛ شمس الدين أبو الحسن على الخزرجى : المسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، مخطوط مصور بجامعة أم لقرى ، رقم ٣٤٥ ، ورقة ٦٢ ؛ المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ٢٧٤/٢ .
- (٢) أبو مخرمة : تاريخ شجر عدن ٧/٢ .
- (٣) عبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر الديبع الشيبانى : الفصل المزيدي على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد تحقيق يوسف شلحد ، صنعاء ١٩٨٣م ، ص ٥٧ ؛ سعيد عوض باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ط ١ ، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م ، ص ١٨٠ .
- (٤) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٢٦-١٢٧ .
- (٥) المعجم : بلدة قسى تهامة تقع على وادى سدد الشهير الذى يصب فى البحر الأحمر وهى منحصرة فيما بين جبل ملحان وبلدة الزيدية ، وأكثر سكانها من خولان . انظر : الهمدانى : مفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ؛ الحموى معجم البلدان ، ٢٢٥/٥ ؛ الخزرجى : المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٨ .
- (٦) أم الذهب : موضع قرب المعجم وهى من أعمال زبيد . انظر : ابن الحسين : غاية الامانى ، ص ٢٥٦ .

(١) الذين جاءوا معه ، وكان سعيد بن نجاح يراقب جميع تحركات الصليحي منذ فترة طويلة فلما علم بتوجهه الى مكة المكرمة عزم على مواجهته والقضاء عليه فأخذ يترصد له في الطريق المؤدى الى مكة ، فحينما علم بنزوله بالمهجم وعرف مكان معسكره هاجمه على حين غفلة من جنوده الذين كانوا معه ، وتمكن من الدخول الى الخيمة التي يوجد بها الأمير الصليحي وقام بقتله وأخويه عبد الله وإبراهيم اللذين كانا يرافقانه في السفر ، واستولى بعد ذلك على جميع أملاك الصليحي التي كان يحملها معه الى مكة ، وقام بأسر الملكة أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي وأم ابنه المكرم أحمد ، فاستولى سعيد بن نجاح بعد ذلك على زيد واتخذها مقرا له .

- (١) ابن الجاور : صفة بلاد اليمن ، ٧٥/١ ؛ العاصي : العقد الثمين ، ٢٤٢/٦ - ٢٤٣ .
- (٢) سعيد بن نجاح : هو ابن نجاح مؤسس الدولة النجاشية الذي اغتاله الصليحي بالسم الذي دسه له بواسطة الجارية التي أهداها له وذلك سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م فلما قتل نجاح هرب ولداه سعيد الملقب بالاحول وجياش الى الحبشة وأخذوا يترقبان الفرص للثأر من آل الصليحي لاعادة ملكهم المسلوب منهم ، وقد تمكن سعيد من امادة ملكهم بعد قتله للصليحي ، ولكن الحرة الصليحية زوجة المكرم قد تمكنت من القضاء عليه بخطة رسمتها هي ووالى منطقة الشعر - أحد مناطق زبيد - حيث أغراه بالقدوم اليه لتسليمه جبل الشعر ، فانخدع سعيد وقدم اليه فقتل وذلك سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م وعادت زبيد الى آل الصليحي من جديد .
- انظر : عمارة : تاريخ اليمن ، ص ١٩٢ - ٢٠٣ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٤٧/٣ - ٣٤٨ ؛ محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٦٢ .
- (٣) عمر بن علي بن سمره الحعدى : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، ط ١ ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٨٨ .
- (٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ٢٥٦/١ - ٢٥٧ ؛ العرشى بلوغ المرام ، ص ١٥ - ١٦ .

أما الأمير محمد بن جعفر فقد كان يتوقع هجوم الصليحي عليه بين الحين والآخر ، وبالرغم من ذلك فأننا لانجد ذلك الأمير يقوم بأى تجهيزات عسكرية لمقاومة القوات اليمنية القادمة الى بلاده ، وسعه أدرك أن قوات الصليحي لايمكن لاي قوة أن تقف فى وجهها فعزم على الاستسلام ، ولكن خبر مقتل الصليحي قد وصل الى مسامعه فسر كثيرا لأنه قد استراح من ذلك الخطر الذى كاد يقضى على نفوذه وامارته بمكة المكرمة .

العلاقات المكية المصليحية في عهد
الأمير المكرم أحمد بن علي المصليحي .

لقد ورث الأمير المكرم أحمد ملك بلاد اليمن بعد مقتل أبيه مباشرة ، وقد جاءت ولايته هذه متزامنة مع تلك الازمة الاقتصادية التي حلت ببلاد مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، فأصبحت الخلافة الفاطمية في تلك الفترة عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه أمراء الحجاز ، وذلك مما أقلق الخليفة الفاطمي المستنصر بالله كثيرا ، حيث انه قد خشى على فقدان سيادته ونفوذه بمكة المكرمة ، لانه أدرك أن عدم وصول النفقات والاعطيات الى أمير مكة كفيل بأن يحول ولاءه الى جهة أخرى تدعمه وتمده بكامل مستلزماته واحتياجاته المادية ، وبالتالي فانه سيقوم بقطع علاقته بالخلافة الفاطمية ، فأراد أن يتدارك الأمر قبل فوات الاوان (١) فأصدر سجلا الى حاكم اليمن في تلك الفترة الأمير المكرم أحمد بن علي المصليحي يطلب منه أن يقوم نيابة عنه بصرف جميع الرسوم المستحقة لامراء الحرمين الشريفين ، ولكن ظروف (٢)

- (١) عمارة : تاريخ اليمن ، ص ١٢٨-١٢٩ ؛ الخزرجي : المسجد المسبوك ، ورقة ٦٣ .
- (٢) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٩٦-٢٩٧ ، ومزيد من المعلومات عن تلك الازمة انظر ص ١٥٠ .
- (٣) ماجد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٦٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢ .
- (٤) السجل : كتاب العهد والجمع سجلات ، وقيل السجل الكتاب وقيل سجل له ، وقيل السجل ملك ، وقيل السجل بلغة الجيش الرجل ، وقيل السجل هو الكتاب الكبير والمقمود بالسجل هنا هو الخطاب أو الكتاب . انظر : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، ط ١ ، القاهرة ١٣٠٢هـ ، ٣٤٧/١٣ .
- (٥) ماجد : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .

بلاد اليمن السياسية فى تلك الفترة ، والمتمثلة فى صراع الامير المكرم أحمد مع أبناء نجاح (سعيد وجياش) اللذين كانا يشكلان مصدر قلق وخطر للدولة الصليحية فى تلك الفترة هى التى حالت دون تحقيق المكرم للأوامر لفاطمية وجعلته لايلتزم بإرسال تلك الرسوم الى مكة^(١) ، لأن مثل هذه الصراعات والحروب التى يخوضها المكرم مع آل نجاح تستنزف منه أموالا كثيرة ، وربما يكون قد أراد الاحتفاظ بما لديه من أموال وذلك ليقوم بانفاقها على حربه مع أعدائه المتربصين به ، ثم قام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله بعد ذلك بإرسال سجل آخر للمكرم أحمد سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م وحثه فيه على سرعة إرسال الرسوم المستحقة لأهالى وأمرأء الحرمين الشريفين ، وقد جاء فى هذا السجل "كان قد نفذ اليك من حضرة أمير المؤمنين سجل مفرد فيما يتعلق بالحرمين المحروسين ، وإعلامك أن الحوادث الشاغلة للمدور ، القاضية باختلاف كلمة الجمهور ، صددت عن سوق رسومها ورسوم أرباب الرسوم بها اليهم ، وأن تأخرها أضر بهم وكبر عليهم ، ورسم أمير المؤمنين لك أن تلمظهم بنفقة من عندك يتمززون بها الى حين وقوع الامكان من حمل رسومهم اليهم ، وقد جدد أمير المؤمنين الاذكار لك فى سجله هذا بحمل عشرة آلاف دينار اليهم لتنفق على الحرمين المحروسين ، وأرباب الرسوم لكل على قدره ، وإشعارهم بكون ذلك محمولا بأمر أمير المؤمنين لك فيه ،^(٢) وصدر رأيه فى تقديمه باذن الله " .

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٢٨-١٢٦ : الزيلعى :

مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢ .

(٢) ماجد : السجلات المستنصرية . ص ٢٠٢ .

(٣) ماجد : المرجع نفسه ، سجل رقم ٦٢ . ص ٢٠٢-٢٠٣ .

ولكن الامير المكرم احمد لم يقم أيضا بارسال تلك الرسوم الى أمير مكة . ومما يؤكد ذلك ما ذكر من أن الامير محمد بن جعفر حينما يكس من عدم وصول النفقات والمعونات الممرية اليه في تلك الفترة قام بقطع الخطبة بمكة عن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله واقامها للخليفة العباسي القائم بأمر الله وذلك سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م .^(١)

غير أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا لاتشير بعد ذلك الى أي اتصال بين اماره مكة واليمن وذلك طوال الفترة التي أعقبت وفاة الامير محمد بن جعفر سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وحتى عهد الامير هاشم بن قليظة (٥٢٧ - ٥٤٩هـ/١١٣٢ - ١١٥٤م) الذي ساءت العلاقات المكية المليحية في عهده وذلك لان الامير هاشم قد أقام الخطبة للخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وذلك ما أشار غضب واستياء حاكمه اليمن في تلك الفترة السيدة الحرة المليحية ، لأنها كانت تقيم الخطبة على منابر اليمن^(٢)

- (١) القلقشندي : صبح الاعشى ، ١٠٢/٤ .
- (٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ الفاسي : العقد الشمين ، ٤٤١-٤٤٠/١ .
- (٣) سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢٤ .
- (٤) اسمها أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم المليحية ولدت سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ، وكانت زوجة الصليحي اسماء بنت شهاب قد تولت تربيتها وتأديبها ، فلما كبرت وترعرعت تزوجها المكرم أحمد بن علي الصيحي سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م وقامت بمشاركة زوجها المكرم في تدبير شؤون الدولة منذ توليه للحكم حتى وفاته سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وكان قبيل وفاته قد قلدها الحكم واستمرت حاكمة في بلاد اليمن حتى وفاتها سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م وكانت الحرة قد اشتهرت بالادب والمعرفة والدهاء وسمو التفكير وسداد الرأي ، وكان لها محاسن وأعمال خيرية كثيرة في بلاد اليمن وبموثها انقضى ملك بني الصليحي في اليمن .
- انظر : عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٢٧-١٥٠ ؛ العرشي : بلوغ المرام ، ص ٢٦-٢٧ ؛ محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٦٩، ١٧٠، ١٧١ ؛ حياة المرسى : دور السيدة الحرة في اليمن ، ص ٧٠-٧٦ .

للامام الطيب بن الخليفة الأمر الفاطمي وكانت لاتعترف بخلافة الحافظ لدين الله واعتبرت امامته باطلة لعدم تمتعه بمكة الامامة التي يجب توافرها في الخلفاء الفاطميين ، فأرسلت الحرة الى امير مكة هاشم بن فليحة خطابا تطلب منه أن يقوم بقطع الخطبة بمكة عن الخليفة الحافظ لدين الله وذلك لعدم صحة امامته ، وقد شمل كتابها ذلك التهديد والوعيد للامير هاشم اذا لم يقم بتنفيذ أوامرها لانها كانت تأمل من وراء هذا التهديد أن يحذو امير مكة حذوها في اقامة الدعوة للطيب بن الخليفة الأمر ، ويبدو أن الحرة قد أرادت أن تسير على نفس سياسة المليحي تجاه أمراء مكة فقد اتخذت مع الامير

(١) حدثت تلك الفتنة بمصر سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م وذلك لأن الخليفة الأمر قد أنجب ولدا أسماه أبا القاسم الطيب وجعله وليا لعهد ، فلما قتل الخليفة في ذلك العام أخفى الامير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر - الذي لقب بالحافظ لدين الله - أمر ذلك المبي ، وبإيعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلا للطفل المرتقب ، غير أن الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل قام باعتقال الحافظ وظل في سجنه حتى قتل ذلك الوزير سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م فأخرج من السجن وتولى الخلافة من جديد ومن هنا بدأ الشقاق والخلاف فانقسم الاسماعيليه الى فرقتين فرقة ترى صحة امامة الحافظ وتعرف باسم الحافظية ، والفرقة الأخرى ترى أن الحافظ مغتصب للخلافة من الطيب ولد الأمر وقد عرفت هذه الفرقة بالطيبية، وكانت ملكة اليمن الحرة تتبع تلك الفرقة وترى أن الحافظ مغتصب للخلافة لأنها كانت قد تلقت خطابا من الأمر يبشرها فيه برزقه بمولود سيكون ولي عهده وأنه قد أسماه الطيب فاتهمت الحرة الحافظ باغتصاب الخلافة وانتشرت الشيعة الطيبية في اليمن وبلاد الهند .

انظر : ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٣٩/٥ ، سرور : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها ، محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ مورتيل : الاحوال السياسية بمكة ، ص ٢٩ .

(٣) حياة المرسى : دور السيدة الحرة في اليمن ، ص ٢١٠ .

هاشم أسلوب القوة والشدة والتهديد ، وذلك لكى يحقق لها مطالبها وأوامرها ، ولكنها ما لبثت أن توفيت سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م فكفى الله أمير مكة شر هذه الفترة التى كادت أن تقضى على نفوذ الهواشم بمكة المكرمة .^(١)
^(٢)

وبوفاة السيدة الحرة زالت وانقرضت الدولة المليحية فى اليمن بعد أن حكمت قرنا كاملا من الزمن .^(٣)

ولم تذكر لنا المصادر التى بين أيدينا أى اتصال تم فيما بعد بين أمراء الهواشم الذين جاءوا بعد هاشم بن فليحة وبين حكام الدويلات التى ورثت ملك الدولة المليحية فى اليمن حتى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م وهى السنة التى قدم فيها توران شاه أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى بلاد اليمن واستولى عليها، وبدأت منذ تلك الفترة اتصالاته هو ومن جاء بعده من الحكام الأيوبيين بمكة المكرمة وبأمراء الهواشم الذين أصبحوا تحت إشراف الدولة الأيوبية فى ذلك الوقت .^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ، ص ٢٧ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٤ .
(٣) العرشى : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها ، محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٧١ .
(٤) وهذه الدويلات هى دولة بنى زريع فى عدن ، ودولة بنى حاتم فى صنعاء ، ودولة بنى مهدى فى زبيد ، وقد انقرضت كل هذه الدول بقدوم توران شاه الأيوبي إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م .
انظر : محمود كامل : المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٥ .
(٥) الفتاح بن على البندارى : سنة البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٢٤-٢٥ .
(٦) انظر الفصل الثالث ص ٩١-٩٢ .

(ب) علاقة الهواشم بالخلافتين العباسية ببغداد والفاطمية بمصر

(أ) ظهور التنافس بين الخلافتين العباسية
والفاطمية على السيادة بمكة المكرمة .

(ب) أمراء الهواشم وعلاقتهم بالخلافتين
العباسية والفاطمية .

(ج) علاقة أمراء مكة بالعباسيين بعد
سقوط الخلافة الفاطمية بمصر .

(أ) ظهور التنافس بين الخلافتين
العباسية والفاطمية على السيادة
بمكة المكرمة

لقد تميز العهد المكي في الفترة التي سبقت قيام الخلافة الفاطمية بمصر بالولاء التام والمطلق للخلافة العباسية ببغداد ، فكانت الخطبة على منابر مكة من نصيب الخليفة العباسي وحده لا يناقسه عليها منافس .^(١)

ولكن الأمور قد تغيرت وتبدلت حينما تمكن القائد الفاطمي جوهر المظفر من الاستيلاء على بلاد مصر وتخليصها من النفوذ الاخشيدى سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م . فمذ تلك الفترة بدأ الفاطميون يتطلعون الى مد نفوذهم خارج البلاد المصرية ، وقد بات اهتمامهم واضحا بمد نفوذهم وسيادتهم على بلاد الحجاز لما لها من أهمية دينية كبيرة في نفوس المسلمين وذلك لوجود الحرمين الشريفين بها ، ولأن ذلك الاهتمام سيفتح صفحة جديدة في تاريخ بلاد الحجاز وسيكون سببا في إبراز ظاهرة جديدة في التاريخ الاسلامي وهي التنافس بين الخلافتين العباسية ببغداد والفاطمية بمصر في محاولة فرض سيادة كل منهما على بلاد الحرمين الشريفين مكة والمدينة واقامة الخطبة على منابرها لكل من الخليفتين العباسي او الفاطمي ، وذلك لادراكهما انه لا يمكن اغفاء العفة الشرعية المطلقة على الخلافة الا بضم الحرمين الشريفين لكل منهما وذلك لما لهما من مكانة في نظر المسلمين تنم عن اجلال وتقدير الشعوب الاسلامية للخليفة الذي يقوم برعاية هذين

(١) ابن خلدون : المعبر ، ١٠١/٤ ، القلقشندي : صبح الاعشى ٢٦٨/٤ ؛ عائشة عبد الله باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الايوبي ، ط١ ، مكة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٩ .
(٢) القلقشندي : مآثر الانافة ، ٣٤٦-٣٤٧ ، القاسي : المقد الشمين ، ٤٤٢/١ ، المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف ، ص ٣٠-٣١ .

(١)

الحرمين والاشراف عليهما .

كما ان الخليفتين العباسى والفاطمى قد أدركا ان الخطبة والدعاء لائى منهما ستكون رمزا للشرعية التى تكتسبها الخلافة نفسها . وان السيادة على الحرمين تعنى السيادة على العالم الاسلامى ككل فكان ذلك هو الدافع لظهور مبدا التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على بلاد الحجاز ، وقد اتضح حرص وامرار الخلفاء الفاطميين على كسب ذلك التنافس لمصالحهم حتى يثبتوا للعالم الاسلامى فى ذلك الوقت شرعية خلافتهم واحقيتهم فى رعاية الحرمين الشريفين . ولعل ذلك لم يكن هو الهدف الوحيد الذى كانت تسعى اليه الخلافة الفاطمية وانما كانت تحرس ايما على وضع تلك المنطقة تحت اشرافها وسيادتها حتى تتمكن من حماية مصالحها التجارية فى البحر الاحمر الذى تتحكم بلاد الحجاز فى ساحله الشرقى .^(٢)

ولم يكن هذان الخليفتان العباسى والفاطمى هما الطرفين الوحيدة فى تلك المناقشة وانما كان هناك طرف ثالث تمثل فى امراء مكة الحسنيين سواء كان الموسويون او الهواشم فيما بعد ، والحقيقة ان هؤلاء الامراء هم وحدهم الكاسبون للجولة وهم المستفيدون من ذلك التنافس الذى وجدوه فرصة ووسيلة لتحقيق رغباتهم واشباع مظالمهم فقد اشترطوا على الخلافتين انه لن تكسب احدهما الجولة حتى تدفع لهم اكبر مبلغ من الاموال والملاط والعدايا ، ولايمكن^(٣)

(١) سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٦-٢٧ .

(٢) المرجع نفسه والمفحة نفسها .

(٣) القوسى : تجارة مصر فى البحر الاحمر ، ص ١٠٨ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٢/٢ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريذة ، ط٤ ، بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ٢٣/١-٢٤ .

ان تقام الخطبة لاي من الخليفتين فوق منابر مكة والمشاعر المقدسة وقت فريضة الحج ، ولايرفع شعار كل منهما ولايسمح بتعليق الكسوة التي يرسلها كل منهما الى الكعبة المشرفة - وهذه مظاهر السيادة على الحرمين في تلك الفترة - حتى يؤدي ماعليه من التزامات مالية ومساعدات عينية لهم ولفقراء مكة المكرمة .^(١)

وكان تحقيق تلك السيادة يعتمد على مدى قوة كل من الخلافتين في التغلب على ظروفها السياسية والاقتصادية ، وعلى الرغم من تلك المكاسب العظيمة التي حققها أمراء مكة من جراء ذلك التنافس الا ان اهالى مكة المكرمة قد دفعوا الثمن غاليا فقد عانوا الكثير من جراء المجاعات وغلاء الاسعار وذلك بسبب الحصار الاقتصادي الذي عادة ماتفرضه الخلافة الفاطمية على مكة وقت اقامة الخطبة بها للعباسيين هذا عدا ماكانت تتعرض له بيوتهم من النهب والسلب والهدم والاحراق وذلك بسبب مخالفة وعميان أمراء مكة لاي من الخلافتين فتحدث بينهم الاشتباكات التي تؤدي حتما الى اضطراب الامن في البلاد . ولم يكن حجاج بيت الله الحرام اقل ضررا من سكان مكة فقد تعرض هؤلاء الحجاج وخاصة القادمين من

(١) أحمد السيد دراج : ايفاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري ، (مقال بمجلة الجمعية المصرية التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨م) ، ص ١٩٤-١٩٥ .

(٢) المرجع نفسه والمفحة نفسها .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ، ابن فهد : اتحاف الوري ٤٧٠/٢ ، أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٣٤٣ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٧/٩-١٣٨ ، العماسي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٥/٤ .

بغداد والقاهرة لكثير من حوادث الذهب والذهب داخل مكة والمشاعر المقدسة بل واعتدى عليهم أحيانا داخل المسجد الحرام وذلك أثناء تاديتهم لمناسك الحج والعمرة . ^(١) فالملاحظ انه حينما تقام الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمي فان ذلك مؤشرا الى أن أمير الحج العراقي والحجاج القادمين معه سيتعرضون لأشد المتاعب والمصاعب من قبل عبيد وجنود أمراء مكة الذين كانوا يسمعون لأرضاء الخلافة الفاطمية ، لأن الفاطميين كان يهمهم منع أمير الحج العراقي واتباعه من إقامة الخطبة في المشاعر المقدسة للخليفة العباسي كما أن الحجاج المصريين يستعرضون للذهب والذهب وذلك وقتما تكون الخطبة بمكة مقامة للعباسيين .

أما عن بداية التناقض بين الخلافتين العباسية والفاطمية على السيادة بمكة المكرمة فقد بدأ منذ أن أعلن الأمير جعفر بن محمد الموسوي قيام الدولة الموسوية بمكة المكرمة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م فأمر في تلك الفترة بقطع الخطبة ^(٢) عن العباسيين وأقامتها للخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، ^(٣) فمنذ تلك الفترة والخلفاء الفاطميون حريصون على استمالة قلوب أمراء مكة نحوهم وذلك باغداق الأموال والصلوات والهدايا عليهم ليضمنوا استمرارية الدعوة والخطبة لهم بمكة المكرمة فتذكر المصادر أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حينما علم بإقامة الخطبة له بمكة سارع بإرسال مبعوث من قبله

(١) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٠٨/٢ .

(٢) الفاسي : شقاء الغرام ، ٣٠٦/٢ .

(٣) الفاسي : العقد الحمين ، ١٨٦/١ ؛ ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٠٦/٢ .

وكلفه أن يبلغ أمير مكة شكره وامتنانه على حسن ولائه
 وإخلاصه له ، كما أرسل مع ذلك المبعوث عشرين حملاً من
 النققات والهدايا والمدقات وكلفه بأن يقوم بتوزيعها على
 أمراء مكة وفقراءها فبدأت المنافسة بين الطرفين وبدأ
 التذبذب يظهر واضحا من جانب أمراء مكة الإشراف الذين كانوا
 يخطبون تارة للخليفة الفاطمي وتارة أخرى للخليفة العباسي
 ولكن ذلك التذبذب لم يرض الخلافة الفاطمية التي استخدمت
 القوة مع أمراء مكة في تلك الفترة ، وأصبحت الخطبة بمكة
 بعد ذلك تقام لمن كانت قوته أعظم وعطاؤه أكثر ، وقد انتهى
 ذلك التذبذب في عام ٣٦٨هـ / ٩٧٨م حيث أن الخطبة بمكة أصبحت
 من نصيب الخلفاء الفاطميين وحدهم واستمر الوضع على ذلك
 حتى انتهت الإمارة الموسوية سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م .^(٥)

ونحن لانغالى إذا قلنا انه كان للفاطميين نصيب الأسد
 في الخطبة بمكة طوال عهد الإمارة الموسوية ، ولكن حينما
 سقطت تلك الإمارة وقامت على أنقاضها إمارة الهواشم اتخذت
 علاقات مكة الخارجية طابعاً جديداً حيث عاد التذبذب في
 العلاقات الخارجية من جديد وذلك راجع الى الظروف السياسية

-
- (١) الحمل : هو ما حمل على الدابة والجمع أحمال . انظر :
 ابن منظور : لسان العرب ، ١٨٥/١٣ .
 (٢) الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ١٨٦/١ ، المقرئى :
 اتعاظ الحنفا ، ١٢٢/١ .
 (٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ١١١/٢ .
 وعن ذلك التذبذب راجع التمهيد في مواضع متعددة .
 (٤) الجزيري : الدرر الغرائد المنظمة ، ٥٢٧/١ - ٥٢٨ ؛
 العمامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٥/٤ .
 (٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤١٦/٢ .
 (٦) عن قيام تلك الإمارة انظر الفصل الاول ، ص ٦٤ .

والاقتصادية التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية في تلك
الفترة فكان لذلك اكبر الاثر في تطلع امراء الهواشم نحو
الخلافة العباسية حتى يعوضوا نقص الاعطيات والنفقات الواردة
(١)
اليهم من بلاد مصر .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٩/٥ ، المالكى :
بلاد الحجاز ، ص ٣٦ .

(ب) أمراء الهواشم وعلاقتهم
بالخلافتين العباسية والفاطمية

مؤسس إمارة الهواشم الأمير محمد بن جعفر
وعلاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية .

لقد كان للخلافة الفاطمية دور كبير في تثبيت أسرة
الهواشم في إمارة مكة المكرمة ، فقد كلف الخليفة الفاطمي
المستنصر بالله داعية في اليمن الأمير علي بن محمد الصليحي
سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م بالتوجه الى مكة لاقرار الأمور بها ،
واعادة السيادة الفاطمية اليها من جديد ، تلك السيادة^(١)
التي فقدوها الفاطميون في عهد بنى أبي الطيب الذين تولوا
إمارة مكة بعد وفاة الأمير شكر بن أبي الفتوح آخر أمراء
الموسويين ، حيث طلب الخليفة المستنصر من الأمير الصليحي
أن يقيمى أمراء بنى أبي الطيب عن الإمارة ويعين بدلا منهم
أسرة تدين بالولاء للحكومة الفاطمية ، وتتكفل باقامة الخطبة
للخلفاء الفاطميين على منابر مكة المكرمة . فسارع الصليحي^(٢)
الى تنفيذ تلك الأوامر الفاطمية واستطاع أن يدخل مكة وأن
يقضى على نفوذ بنى أبي الطيب ، ثم أقام الخطبة للخليفة^(٣)
الفاطمي المستنصر بالله ، ولكى يضمن بقاء واستمرار تلك
الخطبة الفاطمية فقد أخذ الأمير الصليحي يبحث عن أمير جديد
يتكفل ويتعهد بالمحافظة على استمرارية السيادة الفاطمية
على مكة المكرمة ، فوقع اختياره على الأمير محمد بن جعفر
بن أبي هاشم وعينه أميرا على مكة المكرمة ، وقبيل رحيله^(٤)

- (١) أبو مخرمة : تاريخ شجر عدن ، ١٦١/٢ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٣٢/٨ .
(٣) القلقشندي : مبع الأعمش ، ٢٧٠/٤ ؛ العمامي : سبط
النجوم العوالي ، ٢١٠/٤ ؛ السباعي : تاريخ مكة ،
٢١٢/١ .
(٤) المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ٢٦٨/٢ .
(٥) راجع الفصل الأول ، ص ٦٤-٦٥ .

الى اليمن قام بتجهيز ذلك الامير الجديد بكل ما يحتاجه في
شؤون امارته من مال ورجال وسلاح وعتاد وغير ذلك ، ثم قام^(١)
بعمل جميع الترتيبات اللازمة التي تكفل ضمان السيادة
الفاطمية على مكة المكرمة .

ولاشك ان تلك الجهود العظيمة التي بذلها الامير
الصليحي في سبيل اعادة السيادة الفاطمية على مكة المكرمة
من جديد قد اثلجت صدر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله
وجعلته يرسل سجلا الى الامير الصليحي يعلن فيه شكره
وامتنانه على تلك الجهود الكبيرة وقد جاء في ذلك السجل
قوله : "وورد الى حفرة أمير المؤمنين كتاب صاحب مكة
- حرسها الله - يذكر أنك شددت معه حيازيم الجد ، بالتحوية
من أمره والشد ، وشهرت في نصرته حساما ماضى الحد ، حتى
عاد جموح مراكب مراده ذلولا وغرب من انتصب لعناده مغلولا .
فاستقامت احوال الحرم الشريف بمقارنة هجرتك لنصره ،
وامتياز سحابه من بحرك ، وافاض في ثناء جميل ، وشكر جزيل
أعجب أمير المؤمنين بهما ، فاهتز طربا لهما ، فلقد كان
على قلبه لاجل الحرم الشريف من الفكر ، مايوفى على الذكر ،
ولقد فعلت فعل الموفقين في المقال والفعال " .^(٢)

ولكن تلك الفرحة الفاطمية لم تكتمل فقد حوّل أمير مكة
محمد بن جعفر بعد ذلك ولاءه للعباسيين وذلك بفعل جهود
العباسيين المستميتة في سبيل اعادة الخطبة لهم بمكة فقد
رأوا ضرورة التحرك لمواجهة التحديات الفاطمية ، ومما

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٣٩/١ - ٤٤٠ : ابن ظهيرة :
الجامع اللطيف ، ص ٣٠٦ - ٦٠٧ .

(٢) ماجد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣ ، ص ٣٧ .

شجعهم على ذلك التحرك هو الموقف القوى الذى كانت تتمتع به الدولة العباسية فى تلك الفترة تلك القوة التى كان للاثرak السلاجقة جهود عظيمة فى تحقيقها وذلك حينما استطاع زعيمهم (١) طغرلبيك أن يملح الامور المفترية ببغداد وأن يقضى على (٢) الفتن والحركات السياسية الموجودة بها .

ومما شجع العباسيين أيضا على التحرك لامادة سيادتهم على مكة تلك الازمة الاقتصادية التى واجهتها الدولة

(١) محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبيك هو أول ملوك السلاجقة كان شجاعا حليما كريما محافظا على الطاعة وصلاة الجماعة ، كان يديم صيام يوم الاثنين والخميس ، وكان كثير الصدقات حريصا على بناء المساجد ، مرض مرضا شديدا وتوفى فى شامن رمضان سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م وله من العمر سبعون عاما .
انظر : صدر الدين بن على الحسينى : كتاب أخبار الدولة السلجوقية ، صححه محمد اقبال ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢٢-٢٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ص ٩٠ .

(٢) ومن أشهر هذه الحركات حركة اعلان البساسيرى ، وهو مملوكا تركيا لسلطان بهاء الدولة البويهى أخذ يتنقل فى وظائف الدولة حتى عينه الخليفة العباسى القائم بأمر الله قائدا لحرسه ، وأصبح من المقربين له ، ولكن علاقته بالخليفة سرعان ما ساءت وذلك مما جعله يفادر بغداد ويتجه الى بلاد مصر حيث اتمل هناك بالخليفة الفاطمى المستنصر بالله وطلب منه أن يعينه على فتح بغداد لطرد السلاجقة منها ، وقد تم له ما أراد حيث استغل فرصة خروج السلطان السلجوقى طغرلبيك من بغداد أثناء حروبه مع أخيه ابراهيم ، ودخل البساسيرى بغداد وأقام الخطبة بها للخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، ولكن السلطان طغرلبيك سرعان ما عاد الى بغداد واستطاع أن يقضى على تلك الثورة وعلى زعيمها .

انظر : الحسينى : المصدر نفسه ، ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، الحافظ محمد بن أحمد الذهبى : العبر فى خبر من غير ، تحقيق "أبو هاجر محمد زغلول" ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٩٥-٢٩٧ ، الزيلعى : مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ٧٠ .

(١)
الفاطمية فى تلك الفترة ، وهكذا فإن لتلك الظروف دور كبير
فى تحول علاقات مكة منذ منتصف القرن الخامس الهجرى لصالح
الخلافة العباسية حيث أقيمت الخطبة باسمهم بعد أن كانوا قد
مقدوها فترة طويلة إبان عهد الإمارة الموسوية ، فتذكر
المصادر التاريخية أن الأمير محمد بن جعفر هو أول من أعاد
الخطبة بمكة للعباسيين ، وفتح أبواب الأمل أمامهم لإعادة
سيادتهم السابقة على مكة المكرمة ، وكان للسلطان السلجوقى
السب أرسلان فضل كبير فى تحقيق ذلك فقد سير ركب الحج
العراقى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م بعد أن كان متعطلا عن السفر إلى
مكة مدة طويلة من الزمن ، وذلك طوال عهد الإمارة الموسوية
(٥)

- (١) محمد بن أحمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ط٢ ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج١ ، قسم ١ ، ص ٢١٦ ، السزلى : المرجع السابق ، ص ٧٢ .
- (٢) راجع التمهيد ص ٤٤ .
- (٣) العاسى : شعاء الغرام ، ٣١٢/٢ .
- (٤) هو السلطان ألب أرسلان عقد الدولة أبو شجاع محمد الملقب بالملك العادل بن داود جفرى بك بن ميكائيل بن سلجوق التركى ، وهو ثانى ملوك بنى سلجوق ، كان اسمه بالعربى محمد وبالتركى ألب أرسلان ، وقد تولى ألب أرسلان السلطنة بعد وفاة عمه طغرل بك سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م كان عادلا يسير فى الناس سيرة حسنة ، كريما رحيمًا ، شوقا على الرعية كثير الصدقات ، رفقا على الفقراء ، توفى فى ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م .
- انظر : الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩-٥٥ شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧١م ، ٤٧-٤٦/٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٩٣-٩٢/٥ .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .

(١) وقد عين أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي أميراً ورئيساً على ذلك الركب المتوجه إلى مكة المكرمة ،
(٢)
وقد جاور ذلك الأمير بمكة في عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م ومنذ تلك الفترة وهو يعمل على اقناع أمير مكة محمد بن جعفر على أن يعيد الخطبة للعباسيين ويحرضه على قطع الخطبة عن الفاطميين فربما يكون الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان السلجوقي هما اللذان كلفا أبا الغنائم بأن يقوم بتلك المهمة وأمره بأن يقدم لأمير مكة الاغراءات والوعود باعطائه أموالاً وأعطيات ترسل إليه من بغداد سنوياً وذلك في حالة اقامته الخطبة على منابر مكة للعباسيين .
وكانت تلك المحاولات التي قام بها أبو الغنائم قد وجدت قبولا واستحساناً من جانب أمير مكة محمد بن جعفر الذي أمر بأن تقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي القائم بأمر الله وذلك سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م .
(٣)
ولكن تلك التحركات العباسية قد أقلقّت الخلافة الفاطمية وباتت اصرار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله واضحاً في سبيل إعادة السيادة الفاطمية على مكة فاتخذ عدة إجراءات لتحقيق ذلك الغرض حيث قام بفرض حمار اقتصادي على مكة فقطع جميع المعونات والعائدات السنوية التي كانت

(١) تولى إمارة الحج سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ، ولقب بالطاهر ذي المناقب ، كان ديناً سخيماً كريماً حسن الصورة ، كريم الأخلاق لا يعرف أنه آذى مسلماً ولا شتم صاحباً ، توفي سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م .
انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨٥/٨ ؛ ابن كثير : البدایة والنهایة ، ١٥٥/١٢ .
(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٠٠/٨ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ؛ القلقشندی : صبح الأعشى ، ٢٧٠/٤ .

ترسلها الخلافة الفاطمية الى امراء مكة واهالى الحرمين
 الشريفين ، كما أنه قام أيضا باصدار أمره الى داعيه فى
 اليمن الامير على بن محمد المليشى بأن يتوجه الى مكة
 المكرمة ويقوم باقصاء ذلك الامير الذى اتضح عدم اخلاصه
 وولائه للدولة الفاطمية ، وكعادة المليشى فى سرعة تنفيذ
 الاوامر الفاطمية سار من اليمن متوجها الى مكة المكرمة سنة
 ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م . الا ان الظروف قد جاءت موالية لمالح الامير
 محمد بن جعفر حيث ان المليشى قد لقي مصرعه على يد أحد
 اعدائه المتربمين به أثناء مسيره الى مكة المكرمة .^(١)

وكان لهذه التحركات الفاطمية بالامانة الى موقف اشرف
 مكة الذى جاء لمالح الفاطميين حينما لاموا الامير محمد بن
 جعفر على سوء تصرفه بقطع الخطبة عن الفاطميين اثر فى
 اعادة الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمى المستنصر
 بالله سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م .^(٢)

وهنا نتساءل عن سبب التحول فى السياسة المكية فى
 بداية عهد الامير محمد بن جعفر فنلاحظ أن الدولة الفاطمية
 فى تلك الفترة من عهد المستنصر بالله ، قد شهدت أزمة
 اقتصادية وسياسية استمرت سبع سنوات متتالية من عام

-
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٦/٢ ، أيوب صبرى باشا :
مرآة جزيرة العرب ، ٩١/١ .
 (٢) العماسى : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٠/٤ .
 (٣) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٧٥ ، الفاسى :
العقد الثمين ، ٢٤٢/٦-٢٤٣ . ولمزيد من الايضاح حول
 مقتل المليشى راجع ص ١٢٧-١٢٨ .
 (٤) ابن خلدون : المعبر ، ١٠١/٤ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها
الخارجية ، ص ٦٩ .

(١)
 (٤٥٧هـ - ١٠٦٤م الى عام ٤٦٤هـ / ١٠٧١م) . وقد عرفت هذه الازمة
 في المصادر التاريخية باسم الشدة العظمى ، وذلك لانها كانت
 أزمة اقتصادية وسياسية في الوقت نفسه ، وقد أدت هذه الازمة
 الى غلاء الاسعار بمرور وانتشار الاوبئة والمجاعات بها مما
 أدى الى موت الكثير من سكانها حتى قيل انه كان يموت بمرور
 كل يوم عشرة آلاف انسان بسبب تلك المجاعات ، ومما أدى الى
 تفاقم الوضع بمصر وخطورته ضعف الحكومة المصرية في تلك
 الفترة ، وعدم وجود وزراء أقوياء يقومون باملاح الامور
 المتردية بها ، ولم تقف الامور عند هذا الحد بل ظهرت
 الفرقة والانقسامات واختلاف الكلمة وانقسام الجنود والقوات
 العسكرية في الدولة الفاطمية الى عدة طوائف مختلفة الاجناس
 وكان لام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله دور كبير في
 اشغال تلك الخلافات والانقسامات حيث قامت بتقريب الجنود
 السودان اليها وامتدتهم بالاموال والاسلحة ، وقد اشار
 (٢)

(١) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ٢٩٦/٢ - ٢٩٧ ، القلقشندي : مآثر الانافة ، ١٧/٢ - ١٨ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٧١ .

(٣) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥٩/٥ .

ولمزيد من المعلومات والايضاح عن تلك الازمة وارشها
 بمصر انظر : ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك
والامم ، ٢٥٧/٨ ؛ ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر
 ١٨٩/٢ - ١٩٠ ، المقرئزي : المصدر السابق ، ٢٩٦/٢ - ٣٠٠ ،
 ابن الاثير : الكامل ، ١١٥/٨ ؛ العبادي : في التاريخ
العباسي والفاطمي ، ص ٣٠١ .

(٤) المقرئزي : المصدر نفسه ، ٢٩٩/٢ - ٣٠٠ .

(٥) وكانت أم الخليفة المستنصر هي التي تدبر الامور بمصر
 في تلك الفترة وذلك مما أدى الى ضعف أمر الدولة حيث
 انها قامت بالتشدد في جمع الفرائض ، وأشعلت نار
 الفتنة بين طوائف الجند لانها كانت تعطف على أبناء
 جنسها الجنود السود وتستكثر من شرائهم وتمدهم سرا
 بالاموال والاسلحة وتحرضهم على محاربة الأتراك ومحاولة
 اجلائهم عن البلاد وذلك مما أثار الحرب بين الطرفين =

(٦) المقرئزي : المصدر نفسه ، ٢٩٩/٢ - ٣٠٠ .

التمصرف ... ر حفيظة الجنود الترك فدارت بين الطرفين معركة كبيرة انتهت بانتصار الجنود الترك وهروب وتراجع السود الى جنوب مصر ، ومما لاشك فيه أنه كان لتلك الحروب آثار سيئة على سكان مصر فقد تعطلت الزراعة بها وذلك بسبب موت الكثير من المزارعين وفرار البعض منهم عن حقولهم ومزارعهم ، كما أدت هذه الحروب أيضا الى قيام الجنود بنهب جميع ما بداخل منازل السكان ، كما حوصرت مصر في تلك الفترة برا وبحرا من قبل الجنود الترك الذين كان يرأسهم ناصر الدولة الحسين بن حمدان التغلبي الذي طالب الخليفة الفاطمي المستنصر باعطائه مبلغا كبيرا من المال ، وزيادة أعطيات ورواتب الجنود الترك ، ولم يكتف ناصر الدولة بذلك بل انسه عزم على أن يقيم الخطبة على منابر مساجد القاهرة للخليفة العباسي القائم بأمر الله ولكنه قتل قبل أن يتحقق له ذلك الاجراء .

فهذه أهم الظروف السيئة التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية في تلك الفترة وذلك مما دفع الكثير من أهالي مصر الى أن يتجهوا الى بلاد الشام والعراق هربا من الجوع

- = انظر : ابن الاثير : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٩٠١٨، ١٧/٥ ؛ العبادي : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠١-٣٠٠ .
- (١) أبو الفدا : المختصر ، ١٩٠-١٨٩/٢ ؛ العبادي : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها ؛ الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧١ .
- (٢) المقريزي : اتعاظ الحنفاء ، ٣٠٠-٢٩٩/٢ ؛ العبادي : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠١ .
- (٣) الذهبي : العبر في خير من غير ، ٣١٧/٢ .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ١١٦/٨ ؛ الزيلعي : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
- (٥) أبو الفدا : المصدر نفسه والمفحة نفسها .

والفتن حيث ذكر المقرئى : " أنه خرج أهل القوة من القاهرة ومصر يريدون بلاد الشام والعراق هربا من الجوع والفتن فصار السرك تلك البلاد عامة التجار ، وأصحاب القوة " ، ويفهم من هذا النص أن الدولة العباسية كانت تعيش فى تلك الفترة ظروفأ أحسن من ظروف الفاطميين ، والا لما قمدها التجار وأصحاب القوة من رعايا الفاطميين .^(١)

فالدولة الفاطمية عجزت عن الوفاء بالتزاماتها الداخلية والخارجية . ولاشك أن بلاد الحجاز كانت من أشد البلدان التابعة للفاطميين - فى تلك الفترة - تضررا من تلك الأزمة الاقتصادية ، حيث كانت مكة المكرمة والمدبنة تعتمدان اعتمادا كبيرا فى تسيير أمورهما على المعونات الفاطمية . وعلى الرغم من عدم وصول النفقات والمعونات الفاطمية الى مكة المكرمة ، الا أن أميرها محمد بن جعفر لم يحاول أو يفكر فى الخروج عن طاعة الدولة الفاطمية بل انه فشل أن يسيير أموره ريثما تنحل تلك الأزمة الحادة وتعود النفقات الفاطمية الى مكة من جديد . ومما قد يبرهن على ذلك أنه قام فى تلك الفترة بأخذ قناديل الكعبة والمفاتيح الذهبية الموجودة على بابها وقام بضربها وتحويلها الى

(١) المقرئى : المصدر السابق ، ٣٠٣/٢ ؛ محمد بن سالم بن شديد العوفى : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية فى العصر السلجوقى ، ص ٢٢٣ .

(٢) العوفى : المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٤ .
(٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٣١٢/٣ ؛ العوفى : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٢/٢ ؛ دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٢ .

(١) دراهم ودنانير ، فتحسنت بذلك احوال امارته قليلا فظل يخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله حتى نفذ مامعه من اموال ورأى ضرورة الاستنجاد بالخليفة الفاطمي لينقذه من تلك الازمة الاقتصادية التي حلت ببلاده من جراء توقف المعونات المصرية ، ويبدو أن الخليفة الفاطمي هو الآخر قد أحس بخطورة الموقف ، وأدرك أن عدم وصول النفقات والاعطيات الى أمير مكة كفيلة بأن تجعله يبحث عن جهة أخرى تدعمه وتمده بالاموال وذلك مقابل تحويل ولائه وطاعته لها ، لذلك سارع الخليفة المستنصر بارسال خطاب الى حاكم اليمن الأمير المكرم أحمد بن علي المليحي يطلب منه القيام بارسال جميع ما يحتاجه أمير مكة من مؤن ومواد غذائية بأسرع وقت ممكن ، ولكن يبدو أن انشغال المكرم بأمور دولته في تلك الفترة قد حالت دون تحقيقه لمطالب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، (٢) فلما يئس أمير مكة محمد بن جعفر من عدم التزام الخلافة الفاطمية بدفع ما عليها من التزامات لامارته أدار ظهره للخلافة الفاطمية ، واتجه بانظاره نحو حكومة بغداد حيث أقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي الب أرسلان وذلك في موسم حج عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م ، وامعانا في توثيق الروابط والعلاقات المكية (٣)

- (١) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٥٦/٨ .
- (٢) الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢ .
- (٣) ماجد : سجلات المستنصرية ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .
- (٤) الزيلعي : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها . ولمزيد من الايضاح حول ظروف بلاد اليمن السياسية في تلك الفترة راجع ص ١٣٦ .
- (٥) ابن خلدون : المعبر ، ١٠٣/٤ ، الفاسي : العقد الثمين ٤٤٠/١-٤٤١ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣١٠/٣ .

العباسية ، وللتباحث فى مستقبل العلاقات بين الطرفين أرسل
الأمير محمد بن جعفر مبعوثا من قبله الى بغداد ومعه أحد
أبنائه وذلك لمقابلة السلطان ألب أرسلان واخباره بموافقه
على قبول السيادة العباسية على مكة وأن الخطبة بها قد
أقيمت له وللخليفة العباسي القائم بأمر الله وأن الاذان
الشيعي (حى على خير العمل) قد أبطل من مكة المكرمة .^(١)

ولاهك أن ذلك الخبر ، طالما تمناه العباسيون والسلاجقة
وسعوا الى تحقيقه ، لذلك سارعوا بمنح أمير مكة هبة مالية
قدرها ثلاثون ألف دينار وخلصا وهدايا قيمة ، وقرروا له
راتبا سنويا قدره عشرة آلاف دينار، وهذا ماسر الأمير محمد بن
جعفر وأثلج صدره ، لذلك أعلن فى موسم حج عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م
أمام جموع المسلمين القادمين من شتى البلدان الاسلامية أن
مكة المكرمة أصبحت تحت سيادة ونفوذ الدولة العباسية حيث
قال فى خطبة ألقاها على حجاج بيت الله الحرام القادمين
الى مكة فى موسم حج ذلك العام "الحمد لله الذى هدانا الى
أهل بيته بالرأى المصيب وعوض بيته بلبسه الشباب بعد لبسه
المشيب ، وأمال قلوبنا الى الطاعة ومتابعة امام الجماعة"^(٢)

- (١) ابن الأثير : الكامل ، ١٠٧/٨ .
ولم توضح لنا المصادر التى بين أيدينا اسم هذا
المبعوث ولكن ربما يكون ذلك المبعوث هو جعفر بن يحيى
التميمي المعروف بابن الحكاك لأن ابن جعفر كان يرسله
دائما الى الخلفاء والملوك ليتولى قبض الأموال التى
يرسلونها اليه .
انظر : ابن الجوزي : المنتظم ، ٦٤/٩ ، القاسى :
المصدر السابق نفسه ، ٤٣٣/٣ .
(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه ، ١٠٣/٤ ، العوفى :
العلاقات السياسية ، ص ٢١٤-٢١٥ .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

فهذه الخطبة تدل دلالة واسعة على صدق ولاء الأمير محمد بن جعفر للعباسيين وعزمه الوافح والاكيد على موالاتهم والخطبة لهم على منابر مكة المكرمة ، ومما يؤكد أيضا حسن ولاء أبى جعفر للعباسيين هو اعلانه وتعهده بإبطال الاذان الشيعى بمكة المكرمة وخاصة بعد تلك المناظرة الطويلة التى جرت بينه وبين مرسل الخليفة العباسى أبى طالب الحسن بن محمد سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م فقد سأل أبو طالب الأمير محمد بن جعفر عن سبب اعادته للاذان الشيعى بمكة المكرمة بعد أن كان متعمدا للحكومة العباسية بقطعه نهائيا عن مكة فقال له ابن جعفر : هذا أذان أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له أبو طالب : ماصح عنه وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روى عنه أنه أذن به فى بعض أسفاره ، وماأنت وابن عمر" عندئذ اقتنع ابن جعفر بقول أبى طالب وأمر جميع مؤذنى المسجد الحرام بحذف حى على خير العمل من الاذان .^(١)

ومما يؤكد أيضا حسن ولاء ابن جعفر للعباسيين وصدق نواياه تجاههم ذلك النص الذى أورده المؤرخ ابن الجوزى والذى ينفى نفيًا قاطعًا أى شك فى عدم صدق ولاء وإخلاص الأمير محمد بن جعفر للخلافة العباسية فقد نص على أن الأمير

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٨٩/٥ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٣ .

(٢) لقد ذكر الزيلعى فى كتابه مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٣ أن الأمير محمد بن جعفر لم يكن صادقًا فى ولاءه للعباسيين وأنه اضطر لذلك الولاء بسبب ظروف اقتصادية قاهرة أجبرته على ذلك ، وأكد على ذلك بقوله بأن ابن جعفر أعاد الاذان الشيعى بمكة وذلك ارضاء للخلافة الفاطمية ولكن تلك المناظرة التى جرت بينه وبين أباطالب تؤكد على أنه أقام ذلك الاذان باعتقاده انفسه أذن به الخليفة على بن أبى طالب .

محمد بن جعفر قد أعاد الخطبة بعد ذلك للفاطميين وهو كاره
(١)
لذلك .

فعذا نمر واضح وصريح على حسن نوايا ابن جعفر
للعباسيين ولاسيما أنه قد استفاد كثيرامن ولائه للخلافة
العباسية فقد حمل على الامانات والنفقات والهدايا التي
فقدوها من الفاطميين وقت حدوث الشدة العظمى في بلادهم، كما
أنه حمل على ضمانات عباسية تقضى باعطائه مرتبا سنويا
مقداره عشرة آلاف دينار سنويا ، كما أنه بولائه للعباسيين
في تلك الفترة قد تحقق له الحلم الذي طالما تمنى تحقيقه
ذلك الحلم المتمثل في استيلائه على المدينة والجمع بين
الحرمين وتلقيبه بلقب أمير الحرمين ، لأن السلطان الب
أرسلان السلجوقي قد طلب منه أن يعرض على أمير المدينة
رعيته في اقامة الخطبة له وللخليفة العباسي القائم بأمر
الله على منابر مساجد المدينة ، وذلك مقابل اعطائه عشرين
الف دينار وخمسة آلاف دينار سنويا ولكن يبدو أن أمير
المدينة قد رفض تلك الاغراءات والعروض العباسية ، فجاء ذلك
الرفض لمالح الأمير محمد بن جعفر الذي أيقن بأن العباسيين
سيقفون موقف الجد والحزم والشدة تجاه أمير المدينة الذي
رفض تلك العروض العباسية فوجد ابن جعفر أن ذلك الموقف
العباسي سيخدم مصالحه ويحقق طموحاته وذلك بمؤازرتهم له في
حربه ضد أمير المدينة ، حيث ذكر ابن خلدون أن الأمير محمد

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٩٤/٨ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ، ١٠٨-١٠٧/٨ .
(٤) السخاوي : التحفة الطيفة ، ٣١٣/٣ ؛ الزيلعي :
مكة وعلاقاتها ، ص ٧٤ .

ابن جعفر قد سار بجيش من الاتراك واتجه بهم الى المدينة واستولى عليها حوالى سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م وبذلك تم له الجمع بين اماره الحرمين ، واصبحت الخطبة تقام على منابر المدينتين المقدستين مكة والمدينة للخليفة العباسى القائم وللسلطان السلجوقى الب أرسلان ، فعادت بذلك الحجاز الى دائرة النفوذ العباسى مرة أخرى. وربما يكون ذلك الجيش الذى قاده ابن جعفر واستخدمه فى حربه ضد أمراء المدينة الحسينيين ، قد أرسل اليه مددا من الخلافة العباسية ببغداد. ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون من أن الخليفة العباسى القائم بأمر الله قد بعث أبا الفنائم الزينبى الى مكة ومعه قوة عسكرية كبيرة وذلك فى حج عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ، وربما تكون تلك القوة العسكرية هى التى دخل بها ابن جعفر المدينة واستطاع بهذه القوة أن ينحى بنى الحسين عن اماره المدينة ، بيد أن الفاطميين لم يستسلموا لذلك النجاح الذى حققه العباسيون فى بلاد الحجاز فقد قاموا بعدة محاولات بغية ارجاع نفوذهم السابق على بلاد الحجاز ، حيث ان الخليفة الفاطمى المستنصر بالله قد قام سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م بإيفاد مبعوثين من قبله الى أمير مكة محمد بن جعفر فقابله واستنكرا عليه خطبته للخليفة العباسى القائم بأمر الله والسلطان الب أرسلان السلجوقى ، وحاول هذان المبعوثان

- (١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
 (٢) البياضى : مرآة الجنان ، ٣٥/٣ ، المخاوى : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ؛ العوفى : العلاقات المياسية ، ص ٢١٥ .
 (٣) الزيلعى : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٤) ابن خلدون : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

اغراءه بالاموال ليقطع ولاءه للعباسيين ويعيد الخطبة بمكة
 للفاطميين ، ولكن الامير محمد بن جعفر قد رفض تلك العروض
 الفاطمية ولم يكتف بذلك الرفض بل انه اظهر عدم اهتمامه
 بتلك السفارة الفاطمية حيث اصدر اوامره الى اتباعه ورجاله
 بأن يقوموا بابعاد هذين المبعوثين عن مكة المكرمة ، فمن
 المحتمل أن يكون الدافع لتلك التمرقات التي بدرت من أمير
 مكة اثبات حسن نواياه للعباسيين وهذا ما أثلج صدور
 العباسيين وأسعدهم كثيرا فأرادوا مجازاته وتشجيعه على ذلك
 الاخلاص للخلافة العباسية فقام السلطان السلجوقي ملكشاه
 بارسال مبلغ كبير من المال كهدية لابن جعفر وبقيّة الاشراف
 الموجودين بمكة المكرمة ، وذلك مما أدخل البهجة والسرور
 في نفوسهم ، فأعلنوا ولاءهم التام وتعهدهم باقامة الخطبة
 للخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه
 السلجوقي على منابر مكة والمشاعر المقدسة .
 أما الوفد الفاطمي فقد عاد الى القاهرة وهو يجر معه

-
- (١) ابن قهد : اتحاف الوري ، ٤٧٥/٢ ؛ الزيلعي : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٤١/١-٤٤٢ .
 (٣) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تولى الأمر بعد وفاة والده مباشرة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، ولقد اتسعت مملكته اتساعا عظيما ، وكان يلقب بالسلطان العادل ، وكان منصورا في الحروب وقد صنع بطريق مكة موانع وغرم عليها أموالا كثيرة خارجة عن المصمر، وأبطل المكوس والخفارات في جميع البلدان التابعة له . توفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .
 انظر : علي بن أبي الكرم الشيباني : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر أحمد ظليمات ، القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، ص ١٠-١١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٧٥-٣٧٠/٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٣٤/٥-١٣٥ .
 (٤) ابن قهد : غاية المرام ، ٥١٢/١ ؛ الجزيري : الدرر الغرائد ، ٥٥٠/١ .

ذيل الخيبة وحطام الآمال فكان ذلك موحيا للخليفة الفاطمي المستنصر بالله بأن يعيد أوراقه ويرتب أمور بلاده الداخلية ويقوم باصلاح مافسد فيها وبالتالي التطلع الى اعادة نفوذه وسيادته على المناطق التي خرجت من طاعته وسيادته وبالاخص بلاد الحجاز ، لذلك فقد بادر بالاستنجاد بوالى عكا وأمير الجيوش بدر الجمالى وطلب منه سرعة الحضور الى بلاد مصر (١) لاصلاح الامور المضطربة بها والقضاء على الفوضى والاضطرابات والقلقل التى سادت اجواء البلاد ، وقد رحب بدر الجمالى بذلك الطلب ودخل الى القاهرة فى جيش كبير من الأرمن وذلك سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، واستطاع أن يصلح الامور المضطربة ، ويعيد الامن والاستقرار الى البلاد ، فاستقامت بذلك الاحوال السياسية والاقتصادية بمصر ، وعادت الاوضاع بها الى احسن مما كانت عليه ، بعد ذلك تطلع الفاطميون الى اعادة نفوذهم السابق على بلاد الحجاز واقامة الخطبة الفاطمية هناك ، فأرسل الخليفة الفاطمي المستنصر الى الامير محمد بن جعفر سفارة محملة بالاموال والهدايا ، وطلبوا منه أن يعيد

(١) بدر الجمالى هو أرمنى الجنسية صاحب جيوش مصر ومدير الممالك الفاطمية ، أخذ يتنقل فى المراتب والمناصب حتى عينه الخليفة المستنصر سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م واليا على الشام، وتقلد اماره دمشق مرتين ثم شار عليه أهلها لذلك رحل عنها الى عكا ومنها الى مصر فاستطاع أن يصلح الامور المتردية بها وأصبح هو صاحب الشأن بها والمسيطر على أمورها توفى سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م وقام ابنه الاقل بالوزارة من بعده .

انظر : ابن الاثير : الكامل ، ١٧٢/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤٨/١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤١/٥ .

(٢) المقرئى : اتمناظ الحنفاء ، ٢٩٩/٢ - ٣٠٠ ، العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٢٣٠/٥ ، أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، ١٩١/٢ .

(١)
الخطبة للفاطميين ويقطع ولاءه عن العباسيين ، وقالوا له :
ان ايمانك وعهودك كانت للخليفة العباسي القائم بأمر الله
وللسلطان ألب أرسلان وقد ماتا ، واتخذوا معه أسلوب التهديد
والوعيد حيث هددوه بأن تتعرض امارته للزوال ويعين أمير
بدلاً منه في حاله رفضه قبول السيادة الفاطمية على مكة .
(٢)
وحدثت عدة تطورات على الساحة المكية كانت لصالح الفاطميين
فقد انشغلت بغداد في تلك الفترة بوفاة الخليفة العباسي
القائم بأمر الله ، واسناد الخلافة الى ابنه المقتدى بأمر
الله سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م فظهر أثر انشغال العباسيين بتلك
الاحداث على توقف المعونات العباسية عن مكة في تلك الفترة
(٣)
وذلك مما أجبر الأمير محمد بن جعفر على أن يعقد اجتماعاً
طارئاً مع كبار أشراف مكة للنظر في ملاقات مكة ببغداد وخاصة
بعد توقف المعونات منها ، ووصولها من القاهرة ، وقد جاءت
قرارات ذلك الاجتماع لصالح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله
حيث ان هؤلاء الأشراف قالوا له : "انما سلمنا هذا الأمر لبني
العباس لما عدنا المعونة من مصر ولما رجعت اليها
المعونة ، فانا لا نبتغي بآبن عمنا بدلاً " .
(٤)
وازاء ذلك القرار اقيمت الخطبة بمكة للخليفة الفاطمي
المستنصر بالله في موسم حج عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م وقطعت الخطبة
(٥)

-
- (١) الفاسي : العقد الثمين ، ٤٤٢/١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٢١/٨ .
(٣) المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢١١ ؛ الزيلعي :
مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٥ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٧٧/٢ .
(٥) العوفي : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية
والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، ص ٢١٥ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٩٤/٨ ، والمقمود بآبن عمهم
هذا الخليفة الفاطمي المستنصر بالله .
(٧) الجزيري : الدرر الغرائد ، ٥٥١/١ .

(١)
عن العباسيين بعد استمرار دام أربع سنوات وخمسة أشهر ،
وقلعت القباب الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان
اللب أرسلان من لسوج كان موضوعا على بئر زمزم ، وانزلت
الكسوة الخراسانية ووضع مكانها كسوة بيضاء عليها القباب
الخليفة الفاطمي المستنصر بالله .
(٢)

والحقيقة أن الأمير محمد بن جعفر قد أماد ولاءه للخلافة
الفاطمية وهو غير مقتنع بذلك الولاء ، ولكنه اضطر لذلك
أرضاء لكبار الهواشم . وهذا يدل دلالة واضحة على الدور
الكبير الذي كان يلعبه زعماء الهواشم من بنى الحسن في
السياسة الخارجية في عهد ابن عمهم الأمير محمد بن جعفر بن
أبي هاشم الذي كان لا يستطيع أن يقطع رأيا إلا بعد مشورتهم
وأخذ موافقتهم ، فهم عصيته وقوته التي يعتمد عليها ضد
أعدائه أشراف بنى أبي الطيب مناقسيه على إمارة مكة
(٤)
المكرمة .

ولكن الخلافة العباسية في عهد الخليفة الجديد المقتدى
بأمر الله لم تقف مكتوفة الأيدي أمام الانتصارات الفاطمية ،
فلم يمض عام واحد من إقامة الخطبة الفاطمية بمكة حتى قام
الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله بتقديم عروض وأغراءات
جديدة للأمير مكة المكرمة حيث عرض عليه تزويجه من أخت
السلطان السلجوقي ملكشاه ، بالإضافة إلى منحه عشرين ألف

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ، ١٢١/٨ ؛ ابن كثير : البداية
والنهاية ، ١١١/١٢ .
(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛
العوفى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) العوفى : المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٨ .

دينار تعويضا له عن السنوات الماضية التي لم تمل فيها
 المعونات العباسية الى مكة .^(١) ومما لاشك فيه أن تلك العروض
 قد وجدت قبولا واستحسانا من جانب أمير مكة الذي سر كثيرا
 بهذه العروض ، فأصدر أوامره فورا الى خطباء المسجد الحرام
 بأن يقيموا الخطبة على منابر الخليفة العباسي المقتدى
 بأمر الله .^(٢) وأصبحت الخطبة بمكة من نصيب الخليفة العباسي
 وحده لمدة عامين كاملين من عام ٤٦٨هـ الى نهاية عام ٤٦٩هـ
 (١٠٧٥ - ١٠٧٦م) ، وكان العباسيون خلال تلك الفترة موافقين
 اعطيائهم ونفقاتهم على مكة المكرمة . تذكر المصادر أن
 الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله قد بعث أبا طالب
 الزبني الى مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م
 وكلفه بأن يحمل معه الاموال والخلع الى أمير مكة محمد بن
 جعفر .^(٣) كما أرسل الخليفة العباسي الى مكة في رمضان سنة
 ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م منبرا كبيرا جيد الصنع منقوشا عليه اسم
 الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله بالذهب الخالص ، وكان
 الوزير فخر الدولة أبو نصر بن جهير قد أشرف على صنع ذلك
 الوزير فخر الدولة أبو نصر بن جهير قد أشرف على صنع ذلك

-
- (١) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه ، ٢٩٤/٨ ؛ ابن فهد
 اتحاف الوري ، ٤٧٨/٢ .
 (٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛
 السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٤-٢٠٥/١ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ٣٠٧/٨ ؛ الجزيري : الدرر ،
 ٥٥١/١ .
 (٤) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٤٧٩/٢ .
 (٥) المقرئزي : اتعاظ الحنفاء ، ٣١٩/٢ .
 (٦) محمد بن محمد بن جهير الشعلبي فخر الدولة ، مؤيد
 الدين ، أبو نصر . اشتهر بالحزم وأماله الرأي ، أصله
 من الموصل ، لما ترعرع انتقل الى حلب وتولى نظارة
 ديوانها ثم عزل ، وانتقل الى آمد فاتهل بالأمير نصر
 الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فاستوزره ،
 وأخذ يترقى في المناصب حتى تولى وزارة بغداد ، ثم
 ولاه السلطان السلجوقي ملكشاه أميرا على ديار ربيعه =

المنبر ، وكتب عليه عبارة "لا اله الا الله محمد رسول الله
 الامام المقتدى بأمر الله مما أمر بعمله محمد بن محمد بن
 جهير" (١) ، وكان الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله قد أرسل
 ذلك المنبر الى مكة لتقام عليه الخطبة للعباسيين ويكون
 رمزا للسيادة العباسية هناك ، ولكن الاحوال بمكة وقت وصول
 ذلك المنبر اليها كانت بعكس ما كان يتوقعه العباسيون حيث
 كانت الخطبة بها قد أعيد للفاطميين الذين يبدو أنهم
 كانوا قد أرسلوا وفدا من قبلهم الى أمير مكة لاطمأنة
 بأموال أكثر من الاموال التي كانت تملكه من بغداد ، فحاء
 وصول ذلك المنبر الى مكة متزامنا مع وجود الوفد الفاطمي
 بمكة ، ومما يؤكد ذلك ما ذكرته بعض المصادر من أن المنبر
 العباسي قد تعرض للاحراق والتكسير من جانب المصريين الذين
 كانوا موجودين هناك والذين رفضوا أن تقام الخطبة على
 منابر مكة للعباسيين ، ولم يظهر لأمير مكة محمد بن جعفر أي
 دور في منع المصريين من ذلك الاعتداء ، فقد فشل أن يلزم
 الحياد ، ولاشك أن احراق ذلك المنبر يعد اساءة للدولة
 العباسية بتحمل مسؤوليتها الأمير محمد بن جعفر الذي كان
 لزاما عليه أن يقوم بحماية الوفد العباسي واستقباله أحسن

= وامتلك الموصل ، وظل بها الى أن توفي سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م وكان سخي كريما شاعرا .
 انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٢١٢/٤ ؛ ابن تغري
 بردي : النجوم الزاهرة ، ١٣٠/٥ ؛ خير الدين الزركلي
 الاعلام ، ٧ ، بيروت ١٩٨٦م ، ٢٢/٧ .
 (١) الجزيري : السدر ، ٥٥٢/١ .
 (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١١٨-١١٧/١٢ .
 (٣) ابن الفياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ،
 مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ١٧٠ ، ص ٧٩ .
 (٤) السنجاري : مناقب الكرم ، مخطوط ، ٢٦٧/١ .

استقبال والمحافظة على ذلك المنبر الذى أرسل من بغداد .
ولكن العباسيين قد مرفوا أنظارهم عن تلك الحادثة لأنهم
لا يريدون الدخول فى خلافات ومناقشات مع أمير مكة وهم فى وقت
كانوا فيه فى أمس الحاجة سخط وده والتقرب اليه ، وبعد
عامين من اقامة الخطبة بمكة للفاطميين نجح العباسيون فى
حذب ولاء الأمير محمد بن جعفر نحوهم حيث أقيمت الخطبة على
منابر مكة للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله والسلطان
ملكشاه السلجوقى وذلك سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م ، ولم توضح لنا
المصادر التى بين أيدينا أسباب ذلك التحول فى العلاقات فى
تلك الفترة ولكن ربما يكون ذلك ناتجا عن زيادة الأموال
والنفقات التى ترسلها بغداد وهذا ما أطمع الأمير محمد بن
جعفر وجعله يحرف الخطبة عن الفاطميين الذين كانوا يرسلون
اليه أموالا وأعطيات ثقل عما أرسله العباسيون له فى تلك
الفترة . واستمرت الخطبة للعباسيين بعد ذلك فترة من الزمن
لم تحدد لها المصادر التى بين أيدينا ، ولكنه من المؤكد
أنها قطعت عنهم قبل عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م وأقيمت للفاطميين ،
ومما يدل على ذلك ما ذكره بعض المؤرخين من أن الخطبة
للمصريين قد قطعت بمكة فى عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م وأعيدت
للعباسيين « ويقفهم من هذا النص أن الخطبة بمكة قبل ذلك
(١)

- (١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٣٢٣/٨ ، ابن كثير : البداية
والنهيية ، ١٢٠/١٢ ، الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٢/٢ ،
المقرئى : اتعاظ الحنفاء ، ٣٢٠/٢ .
(٢) الفاسى : الممدد السابق نفسه ، ٣١٢/٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٤٤/٨ ، اليافعى : مرآة الجنان
١٣٢/٣ ، ابن كثير : الممدد السابق نفسه ، ١٣١/١٢ ،
المقرئى : الممدد السابق نفسه ، ٣٢٤/٢ .

التاريخ كانت من نصيب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ويمكن القول بأن الخطبة بمكة في تلك الفترة كانت متذبذبة صارة للعباسيين وتارة للفاطميين ، ولكنه مما يلاحظ أن علاقات مكة الخارجية بعد ذلك العام دخلت في مرحلة جديدة يمكن أن تكون أقرب إلى الاستقرار والبعد عن التقلب والتذبذب الذي انتهجه الأمير محمد بن جعفر في السنوات الماضية وكانت بداية تلك المرحلة منذ أن قام الأمير محمد بن جعفر بإرسال وفد مكى إلى العاصمة العباسية بغداد في محرم سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م وذلك للتباحث مع العباسيين في مستقبل العلاقات المكية العباسية والعمل على تطويرها وتوطيد أوامر المحبة بينهما ، ومما يلفت النظر أن تلك الاجراءات المكية قد جاءت في الوقت الذي كانت فيه الخلافة الفاطمية منشغلة بحروبها مع السلاجقة في بلاد الشام ^(١) . فجاءت هذه الخطوة الجديدة في العلاقات محققة لآمال العباسيين وموافقة لرغباتهم وتطلعاتهم ، ومما يؤكد ذلك ما وصفه ابن الجوزى في قصة دخول ذلك الوفد إلى بغداد واستقبال العباسيين له فيقول : "وفي محرم سنة ٤٧٩هـ قدم خدم ابن أبى هاشم من مكة بخرق الدم معلقة على حراب الاضاحى ، وخرج حجاب الديوان لتلقيهم وعادوا والقراء بين أيديهم فنزلوا وقبّلوا العتبة الشريفة وصاروا إلى دار الضيافة فأُدر عليهم ماجرت به العادة " ^(٢) ، وقد عقد اجتماع بين الطرفين انتهى بتقديم الضمانات من الجانبين ، فالجانب المكى تكفل بإقامة الخطبة

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٢٦/٨ - ١٢٩ ، المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٧/٩ .

على منابر مكة والمشاعر المقدسة للعباسيين ورفض قبول
السيادة الفاطمية عليها . أما الجانب العباسي فقد قدم
الضمانات اللازمة بالمواظبة على ارسال الاموال والنفقات الى
مكة المكرمة وأمرائها كل عام وعدم تأخيرها عن الوقت
المحدد لها ، وبذلك تعد هذه المعاهدة تطورا جديدا في
العلاقات العباسية المكية أعطت للعباسيين بموجبها ضمانا
بسيادتهم على مكة المكرمة ، كما أعطت أمير مكة ضمانا
بوصول الاموال والنفقات اليه كل عام ، وممادقا لهذه
الاتفاقية فقد أمر الأمير محمد بن جعفر بخلع الصفائح
المكتوب عليها اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله
والمعلقة على باب الكعبة ، واستبدالها بصفائح من الذهب
والفضة مكتوب عليها اسم الخليفة العباسي المقتدى بأمر
الله .^(١)

واستمر الأمير محمد بن جعفر بعد ذلك مواليا للعباسيين
ومخلما لهم حتى سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م وهي السنة التي وصلت فيها
الى مكة المكرمة قوة تركية يرأسها أحد القواد الاتراك
ويدعى ترشك ، وكان السلطان ملكشاه السلجوقي قد أرسل تلك
القوة الى مكة واليمن ، وذلك لتقوم بتحشيت السيادة^(٢)
العباسية بهما وتقيم الخطبة على منابرها له وللخليفة^(٣)
العباسي المقتدى بأمر الله ، ولأشك أن ذلك التحرك العباسي

-
- (١) ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛
ابن الاثير : المصدر السابق نفسه ، ١٤٤/٨ ؛ ابن كثير :
البداية والنهاية ، ١٣١/١٢ ؛ المقريزي : انصار
الحنفاء ، ٣٢٤/٢ .
(٢) الفاشي : العقد الثمين ، ٤٤٢/١ - ٤٤٣ ؛ يحيى بن الحسين
غاية الاماني ، ٢٧٧/١ .
(٣) الجزيري : الدرر ، ٥٣٣/١ .

يدل دلالة واضحة على أن العباسيين قد أحسوا بتغير نوايا أمير مكة تجاههم لذلك عقدوا العزم على اتخاذ القوة معه طالما أنه لم يوف بالتزاماته وعهوده السابقة لهم . إلا أن الأمير محمد بن جعفر قد أحس هو الآخر بخطورة الموقف ، وأيقن أنه لن يستطيع مواجهة تلك القوة القادمة الى مكة لذلك فقد عزم على الهرب الى بغداد للاستنجاد بالخليفة العباسي المقتدى بأمر الله والسلطان ملكشاه السلجوقي لتقديم الاعتذار لهما وطلب العفو منهما ، ومساعدته في عودته الى الامارة من جديد ، وقد جاء هرب الأمير محمد بن جعفر الى بغداد متزامنا مع قدوم القوة التركية الى مكة المكرمة ،^(١) ولم تذكر لنا المصادر التي بين أيدينا أي استقبال عباسي حافل للأمير محمد بن جعفر وهذا مما يدل على أن الخليفة العباسي كان غاضبا عليه فلم يهتم به وبقدومه إلا أن الأمور سرعان ما تغيرت وتبدلت وذلك حينما قدم ابن جعفر اعتذاره وطاعته للخلافة العباسية ، وهذا ما كانت تنشده الخلافة العباسية لذلك يبدو أن الخليفة العباسي قد طلب من السلطان ملكشاه أن يعبد تلك القوة التي أرسلها الى مكة ، والسماح لابن جعفر بتولى الامارة من جديد ، فعاد محمد بن جعفر الى مكة وأقام الخطبة بها للعباسيين وللإسلاجقة ، وهكذا نجح العباسيون في فرض سيادتهم على مكة المكرمة بالقوة ، وتعد

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٥٩/٨ ؛ ابن فهد : غاية لمرام ٥١٣-٥١٤ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ الجريدي : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٥/١ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٨٦/٢ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية ، ص ٢٧ .

هذه الخطوة قفزة جديدة فى تاريخ العلاقات العباسية المكية ولاشك أن ذلك الأسلوب الذى انتهجه العباسيون قد أثبت نجاحه وأدى الى بقاء الخطبة لهم على منابر مكة والمشاعر المقدسة كما أدى الى القضاء على ذلك التذبذب السائد فى العلاقات المكية العباسية طوال عهد الأمير محمد بن جعفر ، ومما يلفت النظر أن أسلوب القوة الذى انتهجه العباسيون ضد الأمير محمد بن جعفر قد جاء فى وقت كانت الدولة الفاطمية فيه تعاني من انحسار نفوذها فى بلاد الشام وهذا ماطمأن العباسيين وجعلهم يوقنون بأن الفاطميين كانوا مشغولين عن

(١) لقد استغل الصليبيون تفكك حكام المسلمين وخلافاتهم المستمرة وغامة الخلاف الدائر بين السلاجقة الذين استولوا على معظم البلاد الشامية ، وبين الفاطميين ، لذلك اتجه الصليبيون الى بيت المقدس وتمكنوا من الاستيلاء عليه وهذا ماأثار غضب الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى الذى سار بقواته الى عسقلان فى رمضان سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م فدارت بين الطرفين معركة كبيرة انتهت بانتصار الصليبيين على القوات الفاطمية ، واستمرت الخلافة الفاطمية بعد ذلك تشارك فى الحملات الاسلامية الموجهة الى الصليبيين ، ودارت بين الفاطميين والصليبيين عدة معارك انتهت بانتصار الصليبيين واستيلائهم على عسقلان ، فعزموا على المسير الى مصر للاستيلاء عليها ولكن الله قيض أمراء أقوياء كعماد الدين زنكى الذى نهض للقضاء على ذلك الخطر والعمل على توحيد بلاد الشام تحت حكمه وذلك ليقابل الصليبيين بجهة واحدة ، ورفع الوزير الفاطمى الصالح ابن طلائع بن رزيق علم الجهاد من جديد واهتم بإرسال الأساطيل والسرايا ، وأصبح الفاطميون فى تلك الفترة فى حالة استنفار تام وذلك لمحاربة الصليبيين والقضاء عليهم .

وللمزيد من المعلومات عن دور الفاطميين فى محاربة الصليبيين انظر :

ابن الاثير : الكامل ، ١٨٩/٨ - ١٩٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤٦/٥ - ١٥٠ ، المنساوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٢ ، ٢٢٥ وما بعدها ، سعيد عبد الفتاح عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، (المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٦ ، ١٩٦٩م) ، ص ٢٤ - ٢٨ .

أمير مكة ولن يقوموا بمساعدته وامداده بأى شيء سواء كان ماديا أو عسكريا ، فكانت تلك الظروف التى تمر بالدولة الفاطمية فى تلك الفترة عاملا أساسيا لقبول ابن جعفر سيادة العباسيين على مكة وذلك حتى يضمن حصوله على مايريد من نفقات وأعطيات من حكومة بغداد . وهكذا ظل الأمير محمد بن جعفر يدعمو للعباسيين وللسلاجقة على منابر مكة والمشاعر المقدسة حتى سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م حيث ذكر القلقشندي أنه فى هذا العام "توفى السلطان السلجوقى ملكشاه فانقطعت الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق" (٢) .

أما عن أسباب قطع الخطبة بمكة عن العباسيين فى ذلك العام فهذا راجع الى اخلال الخلافة العباسية بالشروط والعهود المبرمة بينهم وبين أمير مكة محمد بن جعفر والتى كانت تنص على مواصلة ارسال النفقات اليه كل عام ، ولكن الحاج العراقى لم يفد الى مكة فى هذا العام بسبب الحرب الأهلية بين أمراء السلاجقة التى اندلعت عقب وفاة السلطان ملكشاه السلجوقى وهذا يعنى عدم وصول الاموال والنفقات الى أمير مكة . ومما يؤكد ذلك ماذكره بعض المؤرخين من أن الأمير محمد بن جعفر قد قام فى ذلك العام بنهب حجاج الشام القادمين الى مكة لاداء فريضة الحج ، وقام بمصادرة أموالهم وامتعتهم ، ليسد العجز المادى الذى تعاني منه بلاده فى تلك الفترة ، والذى نتج عن توقف المعونات العباسية والفاطمية الى مكة فى تلك الفترة .

(١) القلقشندي : مبع الاعشى ، ٢٧٠/٤ .

(٢) القلقشندي : الممدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

(٣) راجع ص ١٦٦ من هذا البحث .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٨ .

(٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٨٦/٢ .

الا ان ذلك التصرف الذى قام به الامير محمد بن جعفر أصبح وصمة عار عليه فيما بعد وندد به بعض المؤرخين الذين وصفوه بأنه "كان ظالما فاتكا سفاكا للدماء مسرفا ، وكان يقتل الحاج وياخذ أموالهم" (١) .

كما ان ابن الاثير حينما ذكر وفاته قال : "ولم يكن له مايمدح به" (٢) .

وقد علل الفاسى ذلك التذيد حيث قال : "ولعل ذلك لنهجه الحاج فى سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وقتله منهم خلقا كثيرا" (٣) .

ولم يلبث أن توفى الامير محمد بن جعفر بن أبى هاشم سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، كما توفى فى ذلك العام أيضا الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله ، والخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، والوزير الفاطمى بدر الجمالى ، لذلك سميت هذه السنة سنة موت الخلفاء والأمراء . (٤) (٥) (٦)

-
- (١) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٤٠/٥ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٦ .
 (٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٧٣/٨ .
 (٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٢/٢ .
 (٤) القلقشنذى : مستدرک الانافى ، ٢١/٢ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٣/٤ .
 (٥) القلقشنذى : مبجى الامشى ، ٢٧٠/٤ .
 (٦) ابن تفرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ١٣٩/٥ .

الامير قاسم بن محمد وعلاقته
بالخلافتين العباسية والفاطمية .

لقد تولى الامير قاسم بن محمد امانة مكة المكرمة بعد وفاة والده مباشرة^(١) ، ولكن القاسم قد خالف سياسة والده في ولائه للعباسيين حيث أعلن فور توليه الامارة قبوله للسيادة الفاطمية على مكة ، وخطب على منابرها للخليفة الفاطمي الجديد المستعلى بالله ، ولم توضح لنا المصادر التي بين أيدينا أسباب ذلك التحول في العلاقات ، ولكن يبدو أن الخلافة الفاطمية قد أرادت أن تجذب ذلك الامير الجديد نحوها لتكسب وده وإخلاصه لها فقامت بإعطائه أموالا وهدايا تفوق ما كان يرسله العباسيون إلى مكة في عهد امانة والده ، وما أن وصلت تلك الأخبار إلى مسامع الخليفة العباسي المستظهر بالله ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده المقتدى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، حتى أصدر أوامره بمعاينة أمير مكة الجديد وتلقيه درسا كما لُقِّن أبوه من قبل ، فأرسلت من بغداد في بداية عهد الامير قاسم قوة عسكرية كبيرة يرأسها أحد القواد العباسيين ويدعى أميهيد بن سارثكين الذي نجح^(٢) في بداية أمره في تحقيق المهمة التي أرسل من أجلها حيث استطاع أن يهزم أمير مكة قاسم بن محمد وأتباعه ، وأن

- (١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٢١/٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧ .
(٢) ابن خلدون : المعبر ، ١٠٤/٤ ، السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٦/١ .
(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك ، ص ١٦١ .
(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٨/٧ ، مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٧ .

يستولى على مكة دون أن يجد أى مقاومة تذكر ، وبقي أميرا عليها عدة شهور كانت الخطبة خلالها قائمة للخليفة العباسي المستظهر بالله ، ولكن الأمور لم تستمر طويلا لصالح العباسيين حيث بات اصرار الأمير قاسم بن محمد واضحا فى إعادة نفوذ الهواشم على مكة المكرمة من جديد ، وطرد كل من حاول السيطرة على البلاد فقام باستنهاض أبناء عمومته الاشراف ، ورؤساء القبائل التابعة لامارته ، ووقفوا جميعا وقفة رجل واحد امام تلك القوة الخارجية ، واستطاموا اجلاء واقضاء القائد العباسي اصهبذ وقواته عن مكة . فكانت تلك الهزيمة التى منيت بها القوات العباسية مؤشرا للخلافة العباسية باعادة أمورها وتغيير سياستها القائمة على أسلوب القوة والشدة تجاه امراء مكة ، وخاصة أنهم فى فترة يتعاملون فيها مع شخمية جديدة اتسمت بالقوة والشجاعة فأدركوا أن سياسة القوة والشدة مع ذلك الأمير لا تخدمهم بشئ ولا تكفل لهم سيادتهم على مكة المكرمة ، لذلك فضلوا أن يقوموا باستمالة قلب ذلك الأمير نحوهم ، وذلك باغرائه بالاموال والخلع والحرس على ارسال النققات اليه سنويا دون تأخير ، وهذا مادفع الخليفة العباسي المستظهر وابنه المسترشد بالله الى أن يقوموا بارسال جميع ما يحتاجه القاسم من أموال وهدايا وخلع ، وازاء ذلك الموقف العباسي أمر

-
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٨٧/٢ .
 (٢) ابن ظهيرة : الممدر السابق نفسه ص ٣٠٨، ٣٠٧ ، المباعدى المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٣) القاسي : العقد الثمين ، ٣١٩/١ ، الجزيري : الدور الفراند ، ٥٥٤/١ ؛ دحلان : امراء البلد الحرام ، ص ٣٢ ولمزيد من المعلومات عن تلك الحرب بين الطرفين راجع الفصل الأول ، ص ٨٠ - ٨١ .

القاسم بن محمد بإقامة الخطبة للخليفة العباسي وابنه المسترشد وضمنا لهما الدعاء على منابر مكة والمشاعر المقدسة وذلك سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م ، واستمرت الخطبة بمكة بعد ذلك للعباسيين فترة من الزمن لم توضحها المصادر التي بين أيدينا ، ولكن يبدو أنها قد استمرت حتى عام ٥١٥هـ/١١٢١م ، ومما قد يؤكد ذلك أن أمراء الحج العراقي أخذوا يتتابعون في القدوم على مكة طوال تلك الفترة ومعهم كسوة الكعبة التي كانت ترسل من بغداد .^(٣)

حيث ذكرت بعض المصادر أن أمير الحج العراقي يمن المستظهر قدم الى مكة في موسم حج عام ٥١٠هـ/١١١٦م ومعهم قوة كبيرة مجهزة بالسيوف وكانت الخطبة بمكة في ذلك العام مقامة للخليفة العباسي المستظهر بالله ، كما أن الخليفة العباسي المسترشد بالله ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده المستظهر بالله سنة ٥١٢هـ/١١١٨م ، قد أرسل الى أمير مكة قاسم بن محمد في هذا العام الأموال والخلع والهدايا ،^(٤)

- (١) العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٣/٤ ، القوصي : نجارة مصر ، ص ١١٤-١١٥ ، السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٦/١ .
- (٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٢١٦/٢ .
- (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٩٨/٢ .
- (٤) بمن بن عبد الله الخادم الحبشي أبو الخير المستظهرى لقب بأمير الجيوش ، كما لقب أيضا بأمير الحرمين ، وقد تولى إمارة الحاج فسر عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢هـ) ، وكان جوادا ، حسن التدبير ذا رأى وفطنة شاقبة . توفي بأصبهان سنة ٥١١هـ/١١١٧م . انظر :
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ٧٠/٨ - ٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٢/١٢ .
- (٥) الجبري : الدرر الفرائد ، ٥٥٧/١ .
- (٦) ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ١٦٢ .
- (٧) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، العصامي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

كما أنه قام أيضا في عام ٥١٥هـ/١١٢١م بإرسال كسوة الكعبة
الى مكة المكرمة .^(١)

هذا وفي الوقت الذي كانت فيه العلاقات العباسية
المكية متحسنة للغاية ساءت علاقة مكة بالقاهرة سنة
٥١٢هـ/١١١٨م وذلك بسبب قيام الأمير قاسم بن محمد بشن غارات
حربية على مراكب التجار المصريين الراسية بميناء عيذاب ،^(٢)
وقام بنهب ما بها من بضائع وأموال ولم يكتف رجاله بذلك بل
أنهم قاموا بقتل الكثير من التجار المصريين وذلك مما جعل^(٣)
بعضهم ممن تمكن من الفرار بأن يستنجد بالوزير الفاطمي الأقمل
ابن بدر الجمالي الذي ساءه ذلك الخبر وأغضبه كثيرا مما
جعل له بعض عداوته وتهديده للأمير قاسم بن محمد حيث قال :
"صاحب مكة يأخذ تجارا من بلادى ، أنا أسير اليه بنفسى
بأسطول أوله عيذاب وآخره جدة " .^(٤)

ولاشك أن الدولة الفاطمية كانت هى المسئولة الوحيدة
عن حماية تلك المراكب لأنها كانت راسية بميناء تابع لها ،
وقد اعتبرت الحكومة الفاطمية ذلك العمل تحديا لها وتعاوننا

-
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٩٨/٢ ؛ الرشيدى : حسن الصفاء
والإبتهاج ، ص ١١٥ .
(٢) عيذاب : بليدة تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر ،
وهى مرسى للمراكب التجارية القادمة من الهند وعمدن
والمتجهة الى الصعيد . انظر :
الحموى : معجم البلدان ، ١٧١/٤ ؛ ابن جبير : الرحلة ،
ص ٤٥ .
(٣) ابن فهد : الممدر السابق نفسه ، ٤٩٦/٢ .
(٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٩-٢٨/٧ .
(٥) تولى وزارة مصر بعد وفاة والده مباشرة وذلك سنة
٤٨٧هـ/١٠٩٤م كان عادلا ، حسن السيرة ، قتل سنة ٥١٥هـ/
١٢١م وتولى الوزارة من بعده المؤمن البطاوى .
انظر : ابن الأثير : الكامل ، ٣٠٣/٨ ؛ ابن تغرى بردى
النجوم الزاهرة ، ٢٢٢/٥ .
(٦) المقرئى : اتعاض الحنفاء ، ٥٩-٥٨/٣ .

بها لذلك سارعت باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة ذلك
التعدى على أراضيها فأصدر الوزير الأفضل أوامره بتجهيز
أسطول حربي كبير لتأديب الأمير قاسم بن محمد ، كما أسند
لوالى فوض مهمة قيادة ذلك الأسطول الحربي . ولم يكتف الأفض
بذلك بل انه قام أيضا بفرض حصار اقتصادى على مكة المكرمة
حيث أصدر سجلا يمنع فيه السفر الى مكة لاي غرض كان سواء كان
تجاريا أو دينيا ، والى جانب غرضه فى محاصرة مكة اقتصاديا
يبدو أنه أراد أيضا حماية الحجاج والتجار المصريين من أى
أذى أو اعتداء قد يقع عليهم بمكة المكرمة . وقد ظهر أثر
ذلك السجل على تدهور الأوضاع الاقتصادية بمكة فى تلك الفترة
حيث ذكرت بعض المصادر أن أهالى مكة المكرمة قد عانوا من
أزمة اقتصادية حادة فقد ارتفعت أسعار السلع فى أسواق مكة
وذلك بسبب توقف قدوم الحجاج والتجار المصريين الى مكة فى
ذلك الوقت . وإضافة الى ذلك الاجراء فقد كتب الوزير الأفضل
كتابا الى كبار اشراف مكة يلومهم فيه على فعل أميرهم ،
وقد تخلل كتابه التهديد والوعيد لهم ان لم ينجحوا فى
اقناع أميرهم بأن يعتذر له عن تصرفاته السيئة ضد اتجار

- (١) قوس : مدينة من مدن الصعيد الاعلى تقع على الشاطئ
الشرقى لنهر النيل ، كانت هذه المدينة محط التجار
وملتقى الحجاج من الهنود والاحباش ، وهى اليوم قاعدة
مركز قوس أحد مراكز مديرية قنا . انظر :
الحموى : معجم البلدان ، ٤/٤١٣ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ،
ص ٤٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥/٢٩٢ ،
حاشية ١ ؛ سيد عبد المجيد بكر : المصباح الجغرافى
لدروب الحج ، ط ١ ، جدة ١٤٠١هـ / ١٩٨١ ، ص ١٥٣ .
(٢) المقرئى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) القاسى : العقد الثمين ، ٧/٢٨-٢٩ ؛ الرشيدى : حسن
المفا والابتهاج ، ص ١١٥ .
(٤) القاسى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ ابن
فهد : اتحاف الورى ، ٢/٤٩٧ .

المصريين ، ومما لاشك فيه أن ذلك الخطاب قد أقلق أشراف مكة وجعلهم يسارعون للاجتماع مع الأمير قاسم حيث طلبوا منه (١) جميعا أن يقدم اعتذاره للوزير الأفضل عما بدر منه ، وأوضحوا له النتائج السلبية التي سيجدها أهالي مكة في حالة رفضه تقديم الاعتذار للخلافة الفاطمية ، فاقنع الأمير قاسم بعد ذلك برأيهم وخاصة بعد أن أدرك أن رفضه وغضب الوزير الفاطمي عليه ربما يفقده أمارته على مكة وهذا ما كان يخشاه القاسم ، لذلك سارع بإرسال مبعوث من قبله إلى الخلافة الفاطمية بممر ، وأرسل معه كتابا يعتذر فيه عن جميع التصرفات التي بدرت منه ، وحينما وصل ذلك المبعوث إلى الأراضي المصرية وجد أن الحكومة الفاطمية ، وكبار الشخصيات المصرية ساخطين على أمير مكة بسبب تصرفاته السيئة مع التجار المصريين ، وبداهة أن يظهر أثر ذلك السخط على مقابلة المسؤولين في الدولة الفاطمية لمبعوث أمير مكة الذي لم يجد أي استقبال أو اهتمام به وبقدومه ، بيد أنه وجد منهم العزيمة والإصرار على معاقبة أمير مكة فقالوا له :

"ما يُقرأ لك الكتاب ولا يسمع منك خطاب دون إعادة (٤) المأخوذ من التجار اليهم" ، وهكذا جعل الفاطميون رضاهم ومودة ملاقتهم مع أمير مكة مرتبطا كل الارتباط بثمان إعادة

-
- (١) الجزيري : البدور الفرائد ، ٥٥٨/١ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٦ .
 (٢) الرشيدى : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٣) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ، ٥٨/٣-٥٩ .
 (٤) المصدر نفسه والمفحة نفسها .

حقوق التجار المصريين اليهم كاملة ، ومن قتل منهم تعطى أمواله وحقوقه المسلوقة الى ورثته ، فحينما رأى المبعوث المكي ذلك الاصرار وتلك الاساطيل البحرية المجهزة لمحاربة الأمير قاسم بن محمد تكفل برد جميع أموال التجار اليهم كاملة بأسرع وقت ممكن ، كما أنه أعلن اعتذار أمير مكة عن تلك التصرفات التي قام بها ضد التجار المصريين ، ثم عاد ذلك المبعوث الى مكة ، وأطلع الأمير قاسم على نتائج زيارته الى مصر ، كما طلب منه عدم التصرف في أموال التجار المصريين وضرورة اعادتها كاملة بأسرع وقت ، فوافق الأمير قاسم على ذلك الطيب ، وأوفده مرة أخرى الى القاهرة في عام ٥١٥هـ / ١١٢١م وفي محبته جميع أموال التجار وبضائعهم المنهوبة ، وكلفه باعادتها الى الحكومة الفاطمية ، ثم ن العلاقات الفاطمية المكية قد تحسنت بعد ذلك كثيرا ، فتذكر المصادر أن أمير مكة قاسم بن محمد قام في عام ٥١٦هـ / ١١٢٢م بإيفاد مبعوث من قبله وكلفه بتقديم النحائي نيابة عنه للمأمون أبي عبد الله البطائحي وذلك (٤)

- (١) الفاسي : العقد الثمين ، ٢٩/٧ .
- (٢) المغريزي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، الرشيدى : حسن الصفا ، ص ١١٥ .
- (٣) الفاسي : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، الجزيري : الدرر القرائد ، ٥٥٨/١ .
- (٤) المأمون البطائحي هو أبو عبيد الله محمد بن فاتك الملقب بالمأمون لبطائحي ولد سنة ٤٧٨هـ وقيل سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ، تولى وزارة مصر بعد مقتل الوزير الافضل ابن بدر الجمالى سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م ، كان كريما واسع الصدر شديد التحرز وكثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد في مصر والشام وغيرها وفي رمضان سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م قبض الخليفة الفاطمي الأمر على المأمون وأخوته وقسام بالاستيلاء على أموالهم وذخائرهم ثم صلبهم جميعا ، وكان السبب في ذلك هو =

بمناسبة توليه وزارة مصر ، وقد قدّر الوزير الفاطمي الجديد ذلك الجميل من أمير مكة فأرسل اليه ثمانية آلاف وتسعمائة وأربعون أردباً من القمح لأشرف مكة ، بالإضافة الى الشياح (١) والخلع والأموال والبحور .

ومما لاشك فيه أن ذلك التحسن في العلاقات الفاطمية المكية قد أقلق كثيراً الحكومة العباسية التي أدركت أن تلك السفارات المكية الى مصر ربما سيتمخض عنها ازالة السيادة العباسية عن مكة واحلال السيادة لفاطمية مكانها لذلك فانه من غير المستبعد أن يكون العباسيون وراء الثورة التي قام بها الشاعر العلوي ضد الأمير قاسم بن محمد سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م وذلك لتغيير نظام الحكم في مكة المكرمة ، واستبداله بحكم جديد يكون موالياً للعباسيين ، ومما قد يؤكد ذلك هو أن هذا الشاعر كان قادماً من عاصمة الخلافة العباسية بغداد وأنه من فقهاء المدرسة النظامية ببغداد ، ولكن تلك التحركات العباسية قد باءت بالفشل ، إذ أن الأمير قاسم تمكن من القبض على ذلك الشاعر وقسم بأبعاده ونفيه خارج مكة (٢) المكرمة .

- = علمه بأن المأمون قد أرسل السى الأمير جعفر بن المستعلى أحس الأمر يغريه بقتل أخيه ويعدّه بتنصيبه خليفة بدلا منه . انظر : ابن الأثير : الكامل ، ٣١٩/٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٢٩/٥ ؛ المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥ .
- (١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ٨٠/٣ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٨ .
- (٢) وعن تفاصيل تلك الثورة راجع الفصل الأول ، ص ٨٢-٨٣ .
- (٣) العوفى : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية ، ص ٢٢٣ .

ولم توضح لنا المصادر التى بين أيدينا من هو الفائز بالخطبة بمكة فى تلك الفترة ، هل هو الخليفة العباسى أم الخليفة الأمر ؟ حتى المقرئ الذى أورد لنا قصة السفارات بين مكة والقاهرة فى عهد الوزير الفاطمى الجديد المأمون البطائحي لم يحدد لمن كانت الخطبة بمكة وقت وصول الخلع (١) والهدايا الى أميرها . ولكنه من المحتمل أن الخطبة فى تلك الفترة كانت من نصيب الخليفة الفاطمى الأمر أبو على المنصور لأن أمراء مكة كانوا حريصين على إقامة الخطبة للخليفة الذى يقوم بامدادهم وتوفير احتياجاتهم ، ولما قامت الخلافة الفاطمية بذلك الدور ، وثقاعست الخلافة العباسية عن القيام بذلك فى تلك الفترة كان من البدهى أن تقام الخطبة بمكة للفاطميين ، ويبدو أن تلك الخطبة قد استمرت لهم حتى وفاة الأمير قاسم بن محمد سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م (٢)

(١) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٣ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ١/ ٣١٢-٣١٣ .

الامير فليحة بن القاسم وولاه التام للخلافة العباسية .

لقد تولى الامير فليحة اماره مكة المكرمة بعد وفاة والده مباشرة ، وقد تميز عهد ذلك الامير عن بقية امراء الهواشم بولائه التام والمطلق للخلافة العباسية ، وقد اثنى كثير من المصادر على هذا الامير وذلك بسبب حسن سياسته وسيرته مع جميع اهالى مكة المكرمة والقادمين اليها من جميع البلدان الاسلامية ، كما أنه خالف سياسة والده وجده فى علاقاتهما بالخلافتين العباسية والفاطمية تلك العلاقة التى كانت متممة بالتقلب والتذبذب، ولكن ذلك الامير قد بعد عن تلك السياسة المتذبذبة حيث منح ولاءه التام للخلافة العباسية . فتذكر المصادر أنه أقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المسترشد بالله وذلك فور توليه اماره مكة المكرمة . وكان ذلك الامير طوال المدة التى قضاها فى امرة مكة حريصا كل الحرص على أن لاتقام الخطبة على منابر مكة والمشاعر المقدسة الا للخلفاء العباسيين فقط .^(١)

فمن الواضح أن الظروف التى حكم خلالها فليحة قد ساعدته على عدم اتباع سياسة التذبذب التى كان ينتهجها سلفه واعتمد على العباسيين وحدهم ، وذلك يعود الى سببين أساسيين أولهما حرص الخليفة العباسي المسترشد بالله على عدم تأخير حصة أمراء مكة من النفقات حيث واظب على ارسال الأموال والخلع الى الامير فليحة واشراف مكة كل عام مع ركب

- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٩٩/٢ .
 (٢) القلقشندي : معاشر الانافسة ، ٢٩/٢ ، السنجاري :
 منائح الكرم ، ٢٧١/١ ، محمد سرور : النفوذ الفاطمي
 فى جزيرة العرب ، ص ٢٣-٢٤ .
 (٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ٢٧١/٤ .

(١)

الحج العراقي القادم من بغداد .

وشأنيهما هو أنه بالنظر للأحوال الداخلية لمصر في تلك الفترة التي استبد فيها الوزراء بحكمها نجد أنها كانت تعاني من أزمة اقتصادية حادة فقد عذمت بها الأقوات ، وذلك مما أدى إلى غلاء أسعار السلع في أسواقها . وأصبحت الخلافة الفاطمية في تلك الفترة عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه أمراء مكة ، كما عاشت بلاد مصر في تلك الفترة حالة من العوز والقلق والاضطرابات ، وذلك بسبب الخلاف والنزاع الدائر بين الوزراء هذا إضافة إلى الخطر المصليبي الذي كان يهدد بلادهم .

(٣)

فكانت تلك الظروف التي تمر بها الخلافة الفاطمية قد شغلتها عن العمل على تثبيت سيادتها في مكة المكرمة . لهذا كله رأى أمير مكة فليته بن القاسم أنه من المصالح له ولبلاده أن يظل مواليا للعباسيين ، فاستمر على ولائه لهم حتى وفاته سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م .

(٤)

- (١) السنجاري : المصدر السابق نفسه والمصححة نفسها ، الفوصى : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١١٤-١١٥ ؛ مورثيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٢٨ .
- (٢) ابن أيسر : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٢٢٢/١ .
- (٣) ابن الأثير : الكامل ، ٣١٣/٨-٣١٤ ؛ المنساوي : الوزارة والسوزراء ، ص ٢١٣ ؛ فتحيبة النبراوي : العلاقات السياسية الإسلامية ومراع القوى الدولية في العمور الوسطى ، ط١ ، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣١ .
- راجع ص ١٦٨ منهذا المبحث حاشية رقم (١)
- (٤) القلقشندي : مآثر الإنافة ، ٢٩/٢ .

علاقات مكة الخارجية في عهد الأمير هاشم بن فليحة .

بعد وفاة الأمير فليحة بن القاسم تولى ابنه هاشم إمارة مكة المكرمة . ولكن هذا الأمير الجديد لم ينتهج سياسة والده في ولائه للعباسيين بل انتهج سياسة أجداده القائمة على التذبذب في العلاقات بين الخلافتين العباسية والفاطمية .^(١)

فبمجرد توليه الإمارة أقام الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المسترشد بالله ، ولكن ذلك الولاء العباسي لم يستمر طويلا فقد قطع الأمير هاشم الخطبة عن الخليفة العباسي المسترشد بالله وأقامها للخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله ، ولم توضح لنا المصادر التي بين أيدينا أسباب ذلك التحول المفاجيء ، ولكن ربما يكون السبب في ذلك هو توقف وصول النفقات المراقبة الى مكة في تلك الفترة وذلك بسبب انشغال الخليفة العباسي المسترشد بالله في خلافه ونزاعه مع السلطان مسعود السلجوقي عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م . حيث^(٢)

-
- (١) القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١١٤-١١٥ .
 (٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ .
 (٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ سرور : النفوذ الفاطمي ص ٢٤ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ، ٣٤٧/٨ ؛ الجزيري : الدرر القرائد ، ٥٥٨/١ .
- أما عن أسباب النزاع بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه هو أن ذلك السلطان قد طمع بعد موت أخيه محمود في ملكه والخطبة له ببغداد ولكن الخليفة رفض ذلك فدارت بينهما عدة مناوشات انتهت بعقد مفاوضات بينهما على أن تكون السلطنة في بغداد لمسعود السلجوقي . ثم انفصلا الأمراء السلاجقة فيما بينهم بحروب وفتن كثيرة من أجل التنافس على الزعامة ، وفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م وقعت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود =

لابد أن تؤثر هذه الأحداث السياسية على عدم وصول الراكب العراقي الى مكة وبالتالي الى عدم وصول النقعات والهدايا الى أمير مكة هاشم بن فليحة حيث ذكرت بعض المصادر أن الراكب العراقي قد توقف عن القدوم الى مكة سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م (١) وانقطعت بذلك الخطبة العباسية بمكة المكرمة .

ولكن مدة الخطبة للفاطميين في تلك الفترة لم توضحها المصادر التي بين أيدينا إلا أنه يبدو من خلال تتبع الحوادث العامة بمكة المكرمة أن الخطبة للفاطميين قد استمرت على منابر مكة حتى بعد عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، وما قد يبرهن على ذلك موقف أمير مكة السعادي مع مبعوث الخلافة العباسية نصر الخادم وذلك حينما تعرض له في موسم حج عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م . (٢)

وهذا يدل دلالة واضحة على سوء علاقة الأمير هاشم بن فليحة بالخلافة العباسية في تلك الفترة . كما أن المصادر التي بين أيدينا لم تذكر أي اتصال تم بين حكومة بغداد ومكة المكرمة في ذلك الوقت .

= لأن ذلك السلطان قد خرج من بغداد الى همدان بعد موت أخيه طغرل وملكها ثم قارقه بعض من الأمراء خائفين منه فقدموا الى بغداد وحرضوا الخليفة على حربه فقطعت خطب السلطان مسعود من بغداد ثم سار الخليفة لحرب مسعود فتقابل الطرفان وهزم الخليفة واتبعه ووضع في خيمة خاصة وتمت المراسلة بينه وبين السلطان مسعود على الملح على مال يؤديه الخليفة ، وأن لا يعود بجمع العساكر مرة أخرى ، وأثناء إقامته في الخيمة اغتيل على يد بعض الباطنية .

- انظر : ابن الأثير : الكامل ، ٣٤٧/٨ - ٣٤٨ ؛ العوفي : العلاقات السياسية ، ص ٢٠٤ .
- (١) العاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢ .
- (٢) ابن الأثير : الممدر السابق نفسه ، ١٠/٩ ؛ الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .

ولكن العلاقات العباسية المكية سرعان ما تحسنت بعد ذلك حيث أقيمت الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المقتدى بالله الذي ظهر اهتمامه واضح بفرص سيادته على المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، والاهتمام بشئون الحرمين الشريفين فتذكر المصادر أنه قام في عام ١١٤٧هـ / ١١٤٧م بإرسال ميزاب ركب في الكعبة المشرفة ، وذلك مما يؤكد أن السيادة بمكة في تلك الفترة كانت من نصيب العباسيين .

فربما يكون الخليفة العباسي المقتدى قد استغل الظروف المتدهورة في الدولة الفاطمية في تلك الفترة والمتمثلة في انشغالها بوفاة الخليفة الحافظ وولاية ابنه الظاهر سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م وما أعقب ذلك من خلافات ومنازعات بين الوزراء في الدولة الفاطمية . بذلك فقد استمال الخليفة العباسي المقتدى أمير مكة نحوه وواظب على إرسال الأموال والنفقات إليه كل عام فضمن بذلك الخطبة والدعوة له على منابر مساجد مكة المكرمة واستمرت تلك الخطبة حتى وفاة الأمير هاشم ابن فليته سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م .

-
- (١) السنجاري : مناجح الكرم ، ٢٧١/١ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ، ٢٤/٩ - ٢٥ .
 (٣) سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٤ ، باقاسي : بلاد الحجاز ص ٢٩ .

الامير قاسم بن هاشم وعلاقته بالخلافتين العباسية والفاطمية .

لقد تولى الامير قاسم اماره مكة بعد وفاة والده مباشرة وفور توليه الامارة خطب للعباسيين على منابر مكة ، ولم تكن تلك الخطبة مؤقتة ، وانما استمرت تقام للعباسيين طوال عهد ذلك الامير الذي كان يرى ان الخليفة العباسي هو الحق بان تقام الخطبة على منابر مكة له وحده ، وعلى الرغم من حرص الامير قاسم على اقامة الخطبة للعباسيين الا انه لم يقدم على قطع علاقته بالخلافة الفاطمية بممر فقد اراد التقرب لها والعمل على كسب رضاها ، ومما يؤكد ذلك حرصه على ايقاد الشاعر عمارة اليمني الى الخلافة الفاطمية بممر سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م وأرسل معه رسالة الى الخليفة

- (١) القلقشندي : مآثر الانافة ، ٣٤/٢ ، سرور : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥-٢٦ .
- (٢) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٣٩ .
- (٣) عمارة اليمني : هو عمارة بن علي بن زيدان اليمني ، كان فقيها شاعرا ولد سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م في تهامة اليمن ودرس الفقه في زبيد ، ثم خرج من اليمن حينما حيكت ضده الدسائس والمؤامرات بقصد الايقاع به ، فاستغل موسم الحج لمفادرة اليمن ، وقدم الى مكة فارسله أميرها قاسم سفارتين الى مصر ، وفي السفارة الثانية رغب الإقامة بمصر واستمر بها حتى انتهت الدولة الفاطمية فاتفق عمارة مع جماعة من رؤساء البلد على إعادة دولة الفاطميين فأحسن بهم السلطان صلاح الدين وقام بشنقهم جميعا ومن بينهم عمارة ، فشنعوا جميعا في رمضان سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، ولعمارة عدة مؤلفات منها كتاب المفيد في أخبار منعاء وزبيد ، وكتاب النكت العمري في أخبار الوزراء المصرية .
- انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٤٣١/٢-٤٣٥ ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ٤٠٦/١ ، ذو النون المصري : عمارة اليمني ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٢٦٠، ٢٧٠، ٣٢٠، ٣٦٠، ٤٢٠.

(١)
الفاطمي الفائز بن الظافر ووزيره الصالح طلائع بن رزيك ،
ولم توضح لنا المصادر التي بين أيدينا مضمون تلك الرسالة
الا أنه يبدو أنها كانت تحمل في جوهرها العام مشاعر الامير
قاسم تجاه الدولة الفاطمية ومايكنه لهم من محبة وولاء
واخلاص ، ورغبته الاكيدة في تدعيم علاقته بهم .
(٢)

وكان للاستقبال الحافل الذي حظى به المبعوث المكي في
ربيع الاول من ذلك العام أكبر دليل على سرور الفاطميين
بموقف الامير قاسم بن هاشم تجاههم واخلاصه لهم ، فقد
استقبلوا الشاعر عمارة اليمنى أحسن استقبال حتى ان
الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك كانا
على رأس مستقبليه وكان عمارة قد اشتهر باجادته للشعر فنظم
قصيدة طويلة مدح فيها الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره
الصالح طلائع بن رزيك ، فأعلننا اعجابهما بهذه القصيدة ،
(٣)
(٤)

(١) نجم الدين عمارة بن علي اليمنى : النكت العميرية في
أخبار الوزراء المميرية ، باريس ١٨٩٧م ، ص ٣٢ .
الصالح طلائع بن رزيك كنيته أبو الفارات وهو ارمنى
الأملى ، تولى وزارة مصر سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وسار في
الناس سيرة حسنة وتلقب بالملك الصالح ، وكان شجاعا
كريما أديبا محبا لأهل العلم والأدب ، وفي العاشر من
رجب سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م دخل الصالح قصر الخلافة ، فوثب
عليه أحد غلمان الخليفة العاضد ، وضربه بسكين في
رأسه أدت الى موته وقام بالوزارة من بعده ابنه رزيك
انظر : ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٤٥/٥ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ، ٢٠٨/١ - ٢٠٩ .
(٣) عمارة : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٤) وجاء في مطلع هذه القصيدة :
الحمد للعيش بعد العزم والهمم
حمدا يقوم بما أولت من النعم
لاأجد الحق ، عندي للركاب يد
تمنت اللجم فيها رؤية الخطم
قربن بعد مزار العز من نظري
حتى رأيت أمام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
وفدا الى كعبة المعروف والنعم =

كما أنه قام بوقف بعض الأراضى الموجودة فى قرية بلقيس بالقليلية بمصر على الأشراف الحسنيين والحسينيين فى كل من مكة المكرمة والمدينة بعد شرائها من بيت مال المسلمين .^(١)

ومما هو جدير بالذكر أن هاتين السفارتين اللتين أرسلهما الأمير قاسم بن هاشم إلى مصر ، وتلك المعونات التى أرسلها الفاطميون إلى أشراف مكة فى تلك الفترة لم تثمر فى إحلال النفوذ الفاطمى بمكة المكرمة ، وإنما ظلت الخطبة على منابر مكة تقام للعباسيين حتى نهاية عهد الأمير قاسم بن هاشم .^(٢)

ولكن السؤال الذى قد يتبادر إلى الذهن هو هل يقبل الفاطميون تلك العلاقة دون إقامة الخطبة لهم على منابر مكة ؟

وبداهة أن تكون الإجابة على ذلك السؤال بالنفى لأن الدولة الفاطمية كانت حريمة كل الحرص على استمالة أمراء مكة نحوها وذلك حتى يضمنوا لها سيادتها ونفوذها على مكة المكرمة ، ولكن ربما يكون الخليفة الفاطمى ووزيره فى تلك الفترة قد اقتنعا بعذر أمير مكة الذى أدرك قوة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت ، ولمس منهم بوادر التدخل فى شؤون بلاده الداخلية لذلك خشى على منمبه من الزوال فأقام الخطبة^(٣)

(١) عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف فى الأماكن المقدسة (ضمن أبحاث دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص ٢٥٢ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٢٧١/٤ ، سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٥-٢٦ ؛ مورتيل : الأحوال السياسية بمكة ، ص ٣٠ .

(٣) أبو الفدا : المختصر ، ٤٠-٣٤/٢ .

(١)
 للعباسيين ، وظل مواليا للفاطميين وعلى علاقة طيبة بهم .
 ومما يلفت النظر أن ذلك التدخل العباسي في شؤون مكة
 الداخلية قد زادت حدته في أواخر عهد الأمير قاسم بن هاشم ،
 حتى وصل الأمر إلى أن الخليفة العباسي في تلك الفترة كان
 باستطاعته أن يقوم بعزل الأمير الذي يلتمس فيه عدم إخلاصه
 للخلافة العباسية ، ويقوم بتميين أمير آخر بدلا منه حتى ولو
 لم يكن من الأسرة الحاكمة نفسها .
 (٢)

ويمكن القول بأن تلك السياسة العباسية لم تظهر إلا في
 الوقت الذي ضعفت فيه الخلافة الفاطمية وازدادت الفوضى
 والاضطرابات بها ، فاستغل العباسيون تلك الفرصة بفرض
 نفوذهم على مكة المكرمة بالقوة ، كما أن أمير مكة قد أدرك
 ذلك ، وأيقن بأنه لم تكن لديه القوة العسكرية التي تمكنه
 من مجابهة الخلافة العباسية ، لذلك فضل أن تقام الخطبة
 للعباسيين وحدهم على منابر مكة ، ولكن حدث ما كان يخشاه
 الأمير قاسم إذ أن أمير الحج العراقي قام بعزله في سنة
 ٥٥٦هـ / ١١٦١م وعين عمه عيسى بن فليته مكانه وذلك بسبب
 اعتدائه ونهبه لأموال التجار والمجاورين بمكة المكرمة .
 (٦)

-
- (١) باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٣١ .
 (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ .
 (٣) أبو الفدا : المصدر السابق نفسه ، ٣٧/٣ ؛ سرور :
 النفوذ الفاطمي ، ص ٢٦ .
 (٤) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٨ .
 (٥) القلقشندي : مآثر الإنافة ، ٤٠/٢ ؛ سرور : المرجع
 السابق نفسه والصفحة نفسها .
 (٦) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٢٣/٢ . وعن قصة ذلك العزل
 راجع الفصل الأول من ذلك البحث ص ١٠٨ .

(ج) علاقة أمراء مكة بالعباسيين
بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر

لقد شهد عهد الأمير الجديد عيسى بن قليقة تطورات جديدة فى علاقات مكة الخارجية حيث انقطع اتصال الفاطميين بامارة مكة فى تلك الفترة وذلك بسبب تدهور الأوضاع الداخلية بمصر والناجئة عن تنافس كبار موظفى الدولة على منصب الوزارة ، ومما شجعهم على ذلك التنافس صغر سن الخلفاء الفاطميين فى تلك الفترة ، فدارت بين هؤلاء المتنافسين مراعات ومنازعات مستمرة جعلت الدولة الفاطمية تعيش حالة من الفوضى والضعف والانحيار حتى أصبحت غير قادرة على مواجهة الزحف الصليبي الذي أخذ يهدد بلادها .

فاستنجدت الخلافة الفاطمية فى تلك الفترة بحاكم حلب ودمشق السلطان نور الدين محمود زنكى فأرسل اليها

- (١) ابو الفدا : المختصر ، ٣٧/٣ ، العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣١١-٣١٢ .
- (٢) ابن الاثير : الكامل ، ٩٩/٩ .
- (٣) هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر الاتابك ولد فى شوال سنة ٥١١هـ / ١١١٧م ونشأ فى كفاة والده صاحب حلب والموصل فتعلم القرآن والفروسية والرمى وكان شهما شجاعا ، فلما قتل أبوه سنة ٥٤١هـ / ١١٥٦م تولى مكانه وقصد حلب ودمشق فملكها وكان نور الدين حنقى المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحسن اليهم ، ولقد أوقف وقفا كثيرة على المرفى والمدرسين وساكنى الحرمين ، وأمر باكمال سور المدينة ، وكان كثير المطالعة للكتب الدينية مواظبا على الصلاة مع الجماعة ماكفا على تلاوة القرآن حريصا على فعل الخيرات ، توفى رحمه الله سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م .
- انظر : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المعروف بأبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، بيروت ، ١/٥-٨ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٢/٢٧٧-٢٨٤ ؛ عبد القادر بن محمد النعمى : الدارين فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ، دمشق ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ١/٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩ .

(١) قائد أسد الدين شيركوه ، ومع ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي (٢)
وقد استطاع ذلك القائد أن ينجح في المهمة التي أرسل من
أجلها ، ثم عينه الخليفة الفاطمي العاضد على وزارة مصر ،
(٣)
وبعد وفاته عين صلاح الدين بدلا منه ، وقد استطاع صلاح الدين
أن يقضى على الفتن والاضطرابات التي كانت موجودة في بلاد
مصر ، وأمنها من الخطر الصليبي الذي كان يهددها وحولها من
المذهب الشيعي إلى المذهب السني ، كما أنه أقام الخطبة
(٤)
على منابر مساجد مصر للخليفة العباسي المستفيء فسقطت بذلك
(٥)
الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ويعد سقوطها نهاية لذلك
التنافس الذي كان قائما بينها وبين الخلافة العباسية على
الخطبة والسيدة بمكة المكرمة ، ذلك التنافس الذي استمر
فترة طويلة من الزمن ، وقد فازت الخلافة العباسية في نهاية
الأمر بذلك التنافس ، ومما ساعدها على ذلك النجاح هو
السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أمر بأن تقام الخطبة على
(٦)
منابر مكة والمشاعر المقدسة للخليفة العباسي المستفيء ،
وأدرك العباسيون بعد ذلك أنهم وحدهم أصحاب السيادة

(١) هو الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان
وهو عم السلطان صلاح الدين الأيوبي ، التحق بخدمة نور
الدين فئاديه على يعلدك وأقطعه أقطاعات كثيرة وذلك
لشهامته وشجاعته وجهاده المتواصل ضد الصليبيين ،
توفي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م .

انظر : أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ١٦٠/١ ، ابن
تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٣٨٧/٥ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٢) ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢١٨ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٠١/٩ ، أبو شامة : المصدر
السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المناوي : الوزراء والوزراء ، ص ٢٣٤ .

(٥) الذهبي : العبر في خير من غير ، ٤٩/٣ ، وعن سقوط
الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية انظر : الفصل
ثالث ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ، المقريزي : الذهب
المسبوك ، ص ٧١ .

والنفود بمكة لا ينسازهم عليها أى منازع . وأدركوا أيضا أنهم وحدهم المسؤولون عن جميع احتياجات مكة وأهلها من اصلاحات ونفقات .

والحقيقة أنهم أدوا تلك المسؤولية على أكمل وجه ومما يؤكد ذلك موقف الخليفة العباسى المستضى تجاه أهالى مكة وذلك حينما فاسقوا ذرعا بسبب الازمة الاقتصادية التى حلت ببلادهم سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، فسارع الخليفة العباسى بارسال جميع احتياجات أهالى مكة من غذاء وكساء .^(١)

كما أكدت المصادر التى بين أيدينا أن الخلافة العباسية فى تلك الفترة قد وازلت على ارسال جميع التزاماتها تجاه أمراء مكة ، كما وازلت على رسال النفقات والمدقات الى أهالى مكة وفقرائها كل عام .^(٢)^(٣)

هذا فضلا عما قام به الخلفاء العباسيون من اصلاحات داخل المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وماقاموا به من أعمال تتعلق بتوفير الراحة والامان لحجاج بيت الله ، فقد أمر الخليفة العباسى الناصر بفرش الحجر بالرخام ، كما أمر بعمارة الاميال الخضر الموجودة فى المسمى بين الصفا والمروة ، كما قام أيضا بارسال ميزاب ليتركب على سطح الكعبة المشرفة ، وأمر أيضا بأن يركب عليها باب مصفح^(٤)^(٥)

-
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٤/٢ ؛ السنجارى : منائح الكرم ، ٢٧٥/١ .
 (٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٧١/١٠ .
 (٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ٢ ، ٥١٣/٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٨٢/٦ .
 (٤) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٧٣/١ .
 (٥) الفاسى : العقد الشمين ، ٥١/١ ؛ يوسف أحمد : المحمل والحج ، ٨٥/١ .

(١)
بالفئة المذهبة ، وقام بكسوتها بالديباج الأسود ، كما أنه
قام فى عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ماصلاح الاحواز والبرك الموجودة
بعرفة وذلك لكى يتمكن حجاج بيت الله من الحصول على الماء
دون عناء ومشقة .
(٢)

وهكذا سعد أهالى مكة والحجاج القادمون اليها بتلك
السيادة العباسية ونعموا بالامن والاستقرار الذى فقدوه منذ
فترة طويلة من الزمن ابان التنافس بين الخلافتين على
الخطبة والسيادة بمكة .

ولكن مما يلاحظ على العباسيين فى سيادتهم على مكة فى
تلك الفترة تدخلهم المباشر فى شؤونها واحوالها الداخلية
(٣)
وهذا مما أغضب أمراءها وجعلهم فى خوف وخشية من الخلفاء
العباسيين ، فقد أدركوا أن بقاءهم فى الامارة مقترن برضى
ال خليفة العباسى عليهم لذلك حرص كل منهم على الابتعاد عن
كل التمرعات والاعمال التى تغضب الخلافة العباسية ، حينما
قام عبيد مكة بالاعتداء على حجاج العراق سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م
(٤)
غادر أمير الحج العراقى برغش التركى و لحجاج المرافقين
معه مكة دون أن يكملوا حجهم وذلك مما أقلق الأمير عيسى بن
(٥)
فليته وجعله يسارع فى ارسال بعض رجاله الى الأمير برغش

-
- (١) القلشندي : مآثر الانافة ، ٣٨/٢ .
(٢) محمد الفهر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز ،
ط١ ، جدة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ص ٣٠٢-٣٠٣ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٢/ ٥٢٣، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٥٩ : جميل
حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣١ .
(٤) الفاسى : شفاء الفيرام ، ٣٦٥/٢-٣٦٦ ، ولمزيد من
المعلومات حول ذلك الاعتداء انظر : الفصل الثالث ٢٣٥-٢٣٤ .
(٥) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .

وذلك قبل مغادرته للأراضي المكية وكلفهم بتقديم الاعتذار له واعطائه وعدا بتقديم أقصى الامكانيات لاكمال حجه ومن معه بيسر وسهولة ، ولكن برغشا رفض ذلك العرض وصمم على المسير الى بغداد واخبار الخليفة بذلك، فزاد قلق وخوف الأمير عيسى وأدرك أن العباسيين سيحملونه كامل المسؤولية ازاء تلك التصرفات لذلك سارع باستنهاض كبار أهالي مكة وطلب منهم المسير الى الأمير برغش واقتناعه مرة أخرى بشتى الوسائل الممكنة فجاءه أهالي مكة بخرق الدم ، وضربت لهم الطبول حتى يدرك أنهم قد أطاعوه وأنهم نادمون على أفعالهم وتصرفاتهم مع الحجاج العراقيين . فاقتنع الأمير برغش بعذر أمير مكة ورضى عنه ومما يؤكد ذلك أن العباسيين لم يقوموا بعد ذلك بأى موقف معاد ضد الأمير عيسى .

ومن الملاحظ أن مكة المكرمة فى تلك الفترة لم تحظ برعاية واهتمام الخلفاء العباسيين وحدهم ، وإنما شاركهم فى هذا المجال أيضا أمراء وسلاطين الدول الإسلامية فى ذلك الوقت ، حيث قاموا بكثير من الإصلاحات ، كبناء الاربطة ، وحفر الآبار ، واقامة البرك وصهاريج المياه وذلك لسقاية حجاج بيت الله الحرام وأهالي مكة المكرمة .

هذا إضافة الى قيامهم باصلاحات عديدة داخل المسجد الحرام والمشاعر المقدسة ، فتذكر المصادر التى بين أيدينا أن الوزير جمال الدين محمد بن على المعروف

(١) ابن فهد : الممدر السابق نفسه ، ٥٢٥/٢ .

(١) بالجواد الاصبهاني قد قام بعدة اصلاحات حيث امر بعمل مزولة
فى المسجد الحرام وذلك لمعرفة وقت حلول اوقات الملوات
الخمير ، كما أنه جدد بناء الحجر ، وقام بزخرفة الكعبة
بالذهب ، وبنى ابواب الحرم الشريف ورفع اعتبارها حتى لاتدخل
مياه الامطار داخل المسجد الحرام ، وقام ايضا بعدة اصلاحات
فى المشاعر المقدسة حيث جدد بناء مسجد الخيف بمنى ، كما
عمر المسجد الواقع فوق جبل عرفات وبنى درجا يعمد فيه الى
اعلى الجبل ، وكان الحاج قبل ذلك يجدون مشقة كبيرة اثناء
صعودهم لذلك الجبل . كما أنه قام ايضا ببناء البرك
والاحواض فى عرفات وأوصل اليها المياه من وادى نعمان فى
قنوات محفورة تحت الارض ، وحرما على تأمين المياه للحجاج
دفع للقبائل القاطنة على طريق تلك القنوات مبالغ كبيرة
ليقوموا بحمايتها والمحافظة عليها . (٧)

- (١) كان وزيرا لماحب المومل قطب الدين مودود بن زنكى ،
اشتهر ذلك الوزير بالجوهر والكرم والاحسان ، وكان كثير
الملاة غزير البر والصدقات له آثار عظيمة بمكة
والمدينة ، توفى سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م ونقلت جنازته الى
المدينة ودفن بها .
انظر : ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٠٩/١٠ ؛ ابن الاثير :
الكامل ، ٨٨/٩ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،
٢٤٨/٨ ؛ ابو الفدا : المختصر ، ٤١/٣ - ٤٢ .
(٢) القاسى : شفاء الغرام ، ٣٨٩/١ .
(٣) ابو الفدا : المصدر السابق نفسه والمصححة نفسها .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٦٥/٥ .
(٥) أبو شامة : الروشتين ، ١٣٦/١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٦) وادى نعمان : واد يقع بين مكة والطائف على طريق
الهدا وينحدر هذا الوادى الى عرفة ويجتمع بوادى عرنة
انظر : الحموى : معجم البلدان ، ٢٩٣/٥ ؛ البلاذرى :
معالم مكة ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .
(٧) ابن الاثير : المصدر السابق نفسه والمصححة نفسها ؛ ابن
جبير : الرحلة ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

موقف الأميرين مكشّر بن عيسى وأخيه داود من الخلافة العباسية

ان الدارس لتاريخ علاقات مكة الخارجية فى عهد أمراء الهواشم يجد أن أمراء مكة الذين تولوا إمارتها منذ عهد الأمير عيسى بن فليقة حتى سقوط إمارة الهواشم (٥٥٧ - ٥٩٧هـ) (١) قد منحوا كامل ولائهم للخلافة العباسية ببغداد وأصبحت الخطبة العباسية فى تلك الفترة قرفاً وواجباً على كل أمير يريد البقاء فى منصبه ، لأن التعيين والعزل أصبح بيد الخليفة العباسى ، ولكن الأمير مكشّر بن عيسى الذى تولى إمارة مكة سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م قد ساءنه تلك السياسة العباسية فقام بمحاولة لتثبيت مركزه حتى يتحاشى استئداد الخلافة العباسية به حيث قام بتجهيز قوة عسكرية مدربة ومجهزة بكامل الأسلحة اللازمة ، ثم بنى حصناً على جبل أبى قبيس ليكون مركزاً لتحركاته العسكرية كما أنه أراد أن يكون ذلك الحصن ملجأ له إذا سافر العباسيون بمهاجمته أو محاولة عزله عن الإمارة . (٢)

- (١) وهم الأمير عيسى بن فليقة ، الأمير داود بن عيسى ، الأمير مكشّر بن عيسى ، الأمير قاسم بن مهنا الحسينى ، الأمير داود ، الأمير مكشّر الذى استمر حتى سقوط إمارة الهواشم على يد قتادة الحسنى .
(٢) ولمزيد من المعلومات راجع العمل الأول ، من ص ٩٤ ، ٩٩ و ١٠٠ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٥٩ ، ٥٢٣/٢ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ ؛ السباعى : تاريخ مكة ، ٢٢٢/١ .
(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٧/٢ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٠ .

وعلى الرغم من قيامه بكل هذه الترتيبات العسكرية الا انه لم يفكر فى قطع الخطبة عن العباسيين والايوبيين بمكة المكرمة ، ولكن تلك التحصينات العسكرية قد أقلقت الخلافة العباسية التى خشيت من زوال نفوذها وسيادتها على مكة المكرمة ، فغضب الخليفة العباسى المستضى واعتبر ذلك العمل تحديا له واستهتارا بالسيادة العباسية على مكة ، فأصدر أوامره فور سماعه تلك الاخبار بتجهيز قوة عسكرية كبيرة مزودة بالأسلحة، وأسند قيادة تلك القوة الى أمير الحج العراقى طاشتكين وكلفه بالقضاء على التحركات المكية ، والقيام بعزل وابعاد الامير مكشر عن اماره مكة واعادة أخيه داود الى الامارة بعد أن تؤخذ عليه الشروط والضمانات بقبول السيادة العباسية على مكة ، فدخل طاشتكين وقواته الى مكة فى السابع من ذى الحجة لعام ٥٧١هـ / ١١٧٥م فدارت بينه وبين الامير مكشر معركة استمرت ثلاثة أيام وكان النصر فى النهاية للقوات العباسية ، فاضطر الامير مكشر الى الانهزام والتحصن داخل الحصن الذى بنسائه على جبل أبى قبيس ، ولكن القوات العباسية لم تتركه وشأنه بل حاصرتة حصارا شديدا ، وضيقت عليه الخناق وذلك مما أجبره على الهرب عن مكة خوفا على

- (١) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٣٦٩/٢ ، السباعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٣٧/٩ ، ابو الفدا : المختصر ، ٥٨/٣ ، الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٣٦٧/٢ .
 (٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ٥٣٦-٥٣٧ ، الجزيرى : الدرر الغرائد ، ٥٧١/١-٥٧٢ .
 (٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٩/١-٥٤٠ .
 ولمزيد من المعلومات عن تلك المعركة راجع الفصل الاول ص ٩٥-٩٦ .

نفسه ، ثم قامت القوات العباسية بهدم ذلك الحصن حتى لا يحاول هو أو غيره من أمراء الهواشم تكرار ذلك .^(١)

وعلى الرغم من انتمار القوات العباسية فى تلك المعركة الا أن أهالى مكة قد تضرروا كثيرا من جراء تلك المناوشات حيث انعدم الأمن فى بلادهم وتعرضت منازلهم للنهب والحرق والهدم ، كما أن حجاج بيت الله قد تضرروا أيضا فقد استغل قطاع الطرق والبادية تلك الاضطرابات فقاموا بالاعتداء على الحجاج ونهبوا أموالهم وامتعتهم .^(٢)

ولم يلاحظ فى تلك الفترة أى موقف أو إجراء عباسى تجاه تلك الاضطرابات لأنه يبدو أن اهتمام وتركيز القائد العباسى كان منصبا على تثبيت وتركيز السيادة العباسية على مكة المكرمة ، وحتى يتحقق ذلك فقد رأى طاشتكين أن أمير المدينة قاسم بن مهنا الحسينى الموجود بمكة فى تلك الفترة هو أحق بالامارة من غيره فقام بتعيينه أميرا على مكة ، ولكن ذلك الأمير قد أدرك أن أمراء الهواشم لن يسمحوا بأن تفيج أمارتهم سدى وأن يستولى عليها شخص ليس منهم لذلك فقد طلب من الأمير طاشتكين اعفائه من تلك الامارة حيث قال له :
"انى لا أتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج" . وبعد ثلاثة أيام من امارته قام طاشتكين بتعيين الأمير داود بن عيسى أميرا على مكة بعد أن أخذ عليه العهد والمواثيق باسقاط المكوس والفرائب عن جميع الحجاج القادمين الى مكة ، كما

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٦٠/١٠ ، القاسى : العقد الثمين ، ١٨٨/١ ، القاسم بن يوسف السبتي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منمور ، تونس ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ ، ص ٣٥٢ .
(٢) ابن الاثير : المصدر السابق نفسه ، ١٣٧/٩ - ١٣٨ ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٥/٤ .
(٣) القاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٨/٢ .
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٣٧/٢ - ٥٣٨ .

اشترط عليه أيضا أن يكون حريصا على استتباب الأمن فى البلاد
(١)
واقامة العدل بين الناس والترفق بهم .

وهكذا بساءت حركة الأمير مكشر بن عيسى بالفشل الذريع
فلم تقم لامراء الهواشم بعد تلك الحركة أى محاولة للخروج
عن طاعة العباسيين أو تحديهم رغم مواصلة العباسيين لسياسة
التدخل فى شؤون مكة الداخلية ، حيث كان العباسيون فى تلك
الفترة يكلفون كبار الشخصيات العباسية المتوجهة الى مكة
لاداء فريضة الحج بأن يقوموا بمراقبة أمير مكة لمعرفة مدى
حرصه على توفير الأمن والاستقرار لحجاج بيت الله ومدى ولائه
واخلاصه للخلافة العباسية ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره بعض
المؤرخين من أن أم الخليفة العباسى الناصر قد حجت الى مكة
(٢)
سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م وذلك فى عهد لأمير داود بن عيسى فرأت
عليه بعض الملاحظات التى تستوجب عزله . فحينما عادت الى
بغداد أخبرت ابنها الخليفة العباسى الناصر بما رآته . فأصدر
قرارا يقضى بعزله وإبعاده عن امارة مكة ، وأمر بإعادة
(٣)

-
- (١) لفاسى : العقد الثمين ، ٣٥٤-٣٥٥ .
(٢) أبو شامة : الروشتين ، ٢١١/٢-٢١٢ .
(٣) هى زمرد خاتون ، كانت سالحة كثيرة المعروف والمدقات
دائمة السبر والملات متفقدة لأرباب البيوت ، حجت الى
مكة فى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م وأنفقت فيها ثلاثمائة ألف
دينار وكان معها نحو ألفى جمل وتمدقت على أهل
الحرمين وأصلحت البرك والممانع المتعظلة فى الطريق ،
توقيت فى جمادى الاولى سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م وحزن عليها
أنها الخليفة الناصر حزنا عظيما وحزن عليها أيضا
أهل بغداد لأنها كانت محسنة الى الناس .
انظر : أبو شامة : الذيل على الروشتين ، صححه محمد
الكوشرى ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٣٣ ، لفاسى :
الممدد السابق نفسه ، ٢٣٨/٨-٢٣٩ .

(١)
الأمير مكشتر إلى الإمارة من جديد فهذا يدل دلالة واضحة على أن الأمير مكشتر كان على علاقة طيبة مع الخلافة العباسية في تلك الفترة ، فيبدو أنه قدّم للخليفة العباسي كامل اعتذاره عن كل التصرفات التي بدرت منه فاستمر الأمير مكشتر بعد ذلك يحكم مكة وهو ملتزم بما كانت تمليه عليه الخلافة العباسية فلم يظهر منه أي معارضة لأي إجراء كانت تتخذه الدولة العباسية بمكة المكرمة في تلك الفترة ، فقد ذكر ابن حبير في رحلته أن القضاء بمكة في عهد الأمير مكشتر الذي أعيد للإمارة بعد عزله كان بتعيين من حكومة بغداد فذكر أن أمير الحج العراقي طاشتكين قدم إلى مكة سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م وكان برفقته الخطيب المعين للقضاء بمكة والذي يدعى تاج الدين ،^(٢) كما أن الخلافة العباسية كانت تقوم بتعيين وعزل حجة بيت الله الحرام وكان الأمير مكشتر ينفذ جميع القرارات الخاصة بالعزل والتعيين دون أي معارضة تذكر منه .^(٣)

واستمر الأمير مكشتر بن عيسى آخر أمراء الهواشم على ولائه التام للخلافة العباسية والدولة الأيوبية حتى نهاية إمارته على مكة سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م والتي تعتبر نهاية لإمارة الهواشم على مكة المكرمة .^(٥)

-
- (١) ابن خلدون : العبر ، ١٠٤/٤ ، القلقشندي : صبح الأمشي ٢٧١/٤ ، وعن ذلك العزل راجع الفصل الأول ، ص ٩٧ .
(٢) لم يذكر ابن جبير اسم ذلك القاضي كاملاً .
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ السبعمي : تاريخ مكة ، ٢٤٢/١ .
(٤) القاسي : شفاء الغرام ، ٢١٥/٢ .
(٥) ابن قهد : اتحاف الوري ، ٥٦٦/٢ .

الفصل الثالث

أحوال مكة المكرمة وعلاقاتها الخارجية بعد نهاية النفوذ الفاطمي في الحجاز

- (أ) موقف أمراء الهواشم من الدولة الأيوبية .
- (ب) الهواشم ودورهم في تأمين طرق الحج وحمايتها
من اعتداءات الأعراب .
- (ج) نهاية نفوذ الهواشم بمكة المكرمة .

(أ) موقف أمراء الهواشم من الدولة الأيوبية

لقد شهدت بلاد مصر فى أواخر العهد الفاطمى كثيرا من
 الفوضى والاضطرابات وذلك نتيجة لكثرة الوزراء وتنافسهم
 الحاد على تولى الوزارة ، ومما شجعهم على ذلك التنافس مفر
 سن الخلفاء الفاطميين الذين تولوا الخلافة فى تلك الفترة .^(١)
 فكان من البديهي أن يكثر الطامعون وتشتد المنافسة
 والنزاع على وظيفة الوزارة ، مما أدى الى نشوب الحرب بين
 هؤلاء المتنافسين ، فضعفت البلاد وتدهورت أحوالها الداخلية^(٢)
 وأصبحت هدفا ومطمعا للقوى الخارجية التى اتخذت من ذلك
 التنافس وسيلة لتحقيق مطامعها فى الاستيلاء على البلاد^(٣)
 المصرية . فحينما نشب الخلاف والنزاع بين الوزيرين ضرغام^(٤)

- (١) وهؤلاء الخلفاء هم الظاهر بالله اسماعيل بن الحافظ
 تولى الخلافة وكان عمره ست عشرة سنة بدأت منذ سنة
 (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤ م) ، والخليفة الفاطمى
 الفائز بنصر الله عيسى تولى الخلافة وكان عمره خمس
 سنين بدأت خلافته من سنة (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م)
 والخليفة العاضد لدين الله الذى بدأت خلافته منذ سنة
 (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠ - ١١٧١ م) .
 انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء
والملوك والسلاطين ، ص ٢١٤-٢١٨ ؛ حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى ، ١٨٤/٤ .
 أبو شامة : الروافضيين ، ١٦٥/١ ؛ المبادئ فى التاريخ
 العباسى والفاطمى ، ص ٣١٢ .
 (٢) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣٢ .
 (٣) هو الوزير ضرغام بن عامر بن سوار اللخمى تولى وزارة
 مصر من سنة ٥٥٨ هـ الى سنة ٥٥٩ هـ ترقى فى المناصب حتى
 وصل الى الوزارة بعد أن طرد شاور عنها فدار خلاف كبير
 بينه وبين شاور انتهى بمقتله فى أواخر جمادى الآخرة
 سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م .
 انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٧/١٢ ؛
المناوى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(١) وشاور على وزارة مصر سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م لم يتردد كل من هذين المتنازعين فى الاستعانة بقوى خارجية فى سبيل تحقيق غرضه والتغلب على خصمه ومناقبه ، فالوزير فرغام استنجد بالمليبيين ، وتعهد لهم مقابل مساعدته أن يعقد معهم معاهدة تصبح مصر بموجبها تابعة للمليبيين ، أما الوزير شاور فقد استنجد هو الآخر بقوة نور الدين محمود زنكى ، صاحب حلب ودمشق ، الذى لم يمانع من الاستجابة لمطالب شاور حيث جهز له قوة عسكرية كبيرة يرأسها قائده أسد الدين شيركوه وقد رافق أسد الدين فى تلك الحملة ابن أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي الذى كان عندئذ فى السابعة والعشرين من عمره فاتجهت تلك القوة الى مصر سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م ، فوصلت الى الدلتا قبل قدوم المليبيين اليها فواصلت زحفها حتى بلغت أسوار القاهرة ولم يلبث أن تخلى

(١) هو الوزير أبو شجاع شاور السعدى مربي الأصل ولاء الوزير الصالح بن رزبك ولاية الصعيد واستطاع بعد فترة أن ينتزع وزارة مصر من يد رزبك بن الصالح واستمر بعد ذلك فى وزارته حتى أخرجه الوزير فرغام فالتجأ الى نور الدين فأمده بقوة عسكرية كبيرة استطاع بها أن يصل الى الوزارة ولما تولاهما تذكر لشيركوه قائد تلك القوة العسكرية واستعان بالمليبيين وذلك مما أدى الى قتله سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م .

انظر : ابن كثير : الممدر السابق ٢٥٩/١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٤٦/٥ - ٣٥٠ ، المنساوى : المرجع السابق ، ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٧م ، ١٤٦/٥ .

(٣) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة المليبية ، ص ٤٦ .

(٤) ابن تغرى بردى : المصير السابق نفسه ، ٣٤٦/٥ - ٣٤٧ .

الجيش والخليفة وعامة الناس عن الوزير فرغام فقتل أثناء
 محاولته الهرب ، وأصبح الأمر بعد ذلك بيد الوزير شاور الذى
 بسدأت خيانتته تظهر منذ تلك الفترة وذلك حينما استنجد
 بالمليبيين ودعاهم الى محاربة قوات شيركوه المتواجدة بمصر
 فقدم هؤلاء المليبيين كامل مساعداتهم العسكرية للوزير شاور
 حيث دخلوا الى مصر واستطاعوا أن يحاصروا قوات أسد الدين
 شيركوه محاصرة شديدة استمرت شهرين كاملين اضطروا بعدها
 السى فك الحصار وذلك لعلمهم أن نور الدين زنكى قد هاجم
 بلادهم وحاصرها . كما أن القائد شيركوه قد عاد هو الآخر الى
 الشام وذلك للقيام بخدمة نور الدين زنكى .^(١)

عندئذ أصبحت الأمور بمصر بيد الوزير شاور الذى أخذ
 يواصل سياسة الظلم والتعسف ضد السكان ، فلم يبق للخليفة
 الفاطمى العاضد معه أمر ولا نهى ، مما اضطره للاستنجاد بنور
 الدين زنكى الذى لم يتباطأ فى ارسال تلك القوة العسكرية
 التى يرأسها أسد الدين شيركوه وذلك سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م فسار
 شيركوه السى مصر ومعه ابن أخيه ملاح الدين واستطاع أن
 يهزم الوزير شاور وأعوانه ، وحينما اتضح لشيركوه خيانة

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ، ٨٤/٩ - ٨٥ : عاشور : المرجع
 السابق ، ص ٥٠ .
 (٢) ابن الأثير : الممدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛
المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣١ .
 (٣) أبو شامة : الروضتين ، ١٦٧/١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .
 (٤) كمال الدين ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ،
 تحقيق سامى الدهان ، بيروت ١٩٥٤م ، ٣٢٦/٢ .
 (٥) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ٩٤/٩ - ٩٥ : ابن
 تفرى بردى : المصدر السابق نفسه ، ٣٤٩/٥ - ٣٥٠ .

شاور قام بقتله والخلص منه ، ومن ثم تولى شيركوه وزارة مصر ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش ، وبعد شعريين من وزارته توفى وقام الخليفة الفاطمي العاضد بتعيين صلاح الدين الايوبى مكانه ولقبه بالملك الناصر ، ولما اشتد ضعف الخليفة العاضد كتب السلطان نور الدين زنكى الى السلطان صلاح الدين الايوبى يأمره بقطع الخطبة بمصر من الخليفة العاضد واقامتها للخليفة العباسى المستضى بأمر الله (١)

(٢) ٥٦٦ - ٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٧٩م) فقام السلطان صلاح الدين بتنفيذ تلك الاوامر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م وأقيمت الخطبة على منابر مساجد مصر للعباسيين ، فسقطت الخلافة الفاطمية بعد حياة استمرت نحو قرنين من الزمان واستولى صلاح الدين على كامل البلاد المصرية ، وأعلن قيام الدولة الايوبية بها سنة (٤)

٥٦٩هـ / ١١٧٣م فدخلت بلاد مصر منذ تلك الفترة عهدا جديدا حيث استطاع صلاح الدين أن يوطد الامور وينقل البلاد الى المذهب السنى والتبعية للخلافة العباسية ، كما استطاع أن يمد حملات الصليبيين على دمياط وأن يقف فى وجه هؤلاء الاعداء بكل قوة وشجاعة حتى استرد بيت المقدس بعد أن وحد جميع القوى الاسلامية فى جبهة واحدة . ولاشك أن تلك الاوضاع المتردية بمصر فى أواخر العهد الفاطمى قد ظهر أثرها

-
- (١) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ١٥٦/١ - ١٧٢ .
 (٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، ٤/٢ .
 (٣) ابن العديم : المصدر السابق نفسه ، ٣٣٣/٢ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢٢٠ ، محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ١٧٩ .
 (٤) الذهبي : العبر فى خبر من غير ، ٤٩/٣ : عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ، ص ٦٥-٦٦ .
 (٥) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٣٤ .

ومداهها وافحا بمكة المكرمة حيث اضطربت بها الأوضاع الاقتصادية وانعدمت بها المؤن ، وغلت الاسعار فى أسواقها ، وذلك نتيجة لتوقف قدوم التجار المصريين اليها نظرا لانشغالهم بالأحداث السياسية الموجودة فى بلادهم ، كما كان لتوقف المعونات الفاطمية عن مكة فى تلك الفترة أثر فى تردى الأوضاع الاقتصادية بها .

فالى جانب ماكانت تعانيه مكة المكرمة من أزمة اقتصادية كسنت تعيش أزمة سياسية اتسمت بالقوضى والاضطرابات نتيجة للحروب الطاحنة التى كانت تدور رحاها بمكة المكرمة بين الأميرين عيسى بن فليته ، وأخيه مالك بن فليته .^(٣)

ومما لاشك فيه أن هذه الأمور المضطربة قد شجعت السلطان صلاح الدين الأيوبي على فرض سيادته على مكة المكرمة ، فقد أخذت تطلعاته تظهر منذ تلك الفترة نحو بلاد الحجاز وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة وذلك نظرا لمكانة هاتين المدينتين المقدستين فى نفوس المسلمين لأنه أدرك أن الاشراف

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٢٩/٢ ، باقاسى : بلاد الحجاز ص ٣١-٣٢ .

(٢) تمثلت هذه الأوضاع المضطربة فى ذلك الصراع الذى أشرنا اليه سابقا بين أسد الدين شيركوه وبين شاور والفرنج ولمزيد من المعلومات حول ذلك النزاع انظر : ابن الأثير : الكامل ، ١٠٠،٩٩،٨٤/٩ ، أبو شامة : الروضتين ١٥٦-١٥٤/١ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٥١ ٣٤٦/٥ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٣١/٢-٥٣٢ . ولمزيد من التفاصيل حول تلك الحروب راجع الفصل الأول ص ١١٠ .

(٤) القومى : تجارة مصر ، ص ١٦٤ ، باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٣٧ .

عليهما سيجعله يحظى باحترام وتقدير كافة المسلمين في البلدان الاسلامية ، هذا بالإضافة الى أن السلطان صلاح الدين كان يسمى للسيطرة على طريق التجارة في البحر الأحمر نظراً لأهمية ذلك الطريق في حروبه مع المليبيين ، خاصة في الوقت الذي بدأ فيه الخطر المليبي يمتد نحو البحر الأحمر بغية الاستيلاء على المقدسات الاسلامية .^(١)

كما أن هناك عاملاً دينياً كان وراء استيلاء السلطان صلاح الدين الأيوبي على مكة المكرمة وهو الغاء بعض المعتقدات الشيعية التي تسربت الى مكة إبان العهد الفاطمي بما فيها ابطال الأذان بحى على خير العمل المقام على مآذن مساجد مكة المكرمة والمشاعر المقدسة .^(٢)

وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي قد حرص على ضم بلاد الحجاز للدولة الأيوبية وذلك نظراً لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة للأيوبيين في اليمن فقد كانت بمثابة حلقة وصل بينهم وبين الأيوبيين في مصر والشام وعن طريق الحجاز كانت تصل الامدادات والنجدات والجيش الى بلاد اليمن ، فبلاد الحجاز كانت بمثابة مفتاح اليمن آنذاك ، وعن طريقها سارت معظم الحملات العسكرية الأيوبية الى اليمن .^(٣)

-
- (١) باقاسى : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٢) القومى : المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٨ .
 (٣) ابن تغرى بردى : الفتوح الزاهرة ، ٧٨/٦ .
 (٤) محمد بن على عسيري : العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الأيوبيين ، (مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد الخامس ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ١١٧ .

هذه هي أهم العوامل التي جعلت السلطان صلاح الدين الايوبي تتجه أنظاره نحو بلاد الحجاز .

وكانت مكة المكرمة في أواخر العهد الفاطمي تحت حكم الأمير عيسى بن فليحة الذي بدأ النفوذ الايوبي يمتد الى مكة (١) في عهده ، حيث أعد السلطان صلاح الدين الايوبي حملة عسكرية كبيرة عمد بقيادتها الى اخيه شمس الدولة توران شاه وكلفه (٢) بالتوجه الى اليمن شريطة أن يكون مارا بمكة المكرمة ليقوم بالخطبة على منابرهما للسلطان نور الدين محمود زنكى وللخليفة العباسي المستفيء ويوطد السيادة الايوبية والعباسية بهما فزحف القائد الايوبي شمس الدولة توران شاه

- (١) أبو شامة : السروضتين ، ٢٢٩/١ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٩ .
- (٢) تقى الدين المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تمحيص محمد ممطفي زيادة ، ط٢ ، القاهرة ١٩٥٦م ، ٥٢/١ ، وكان سبب توجهه الى بلاد اليمن قد اختلف فيه المؤرخون فبعضهم ذكر أن رجلا من أهل اليمن يقال له ابن النساخ كتب رسالة الى الخليفة العباسي ببغداد يشكو فيها من عبد الزبى بن مهدي ويذكر قبح سيرته ، وسوء عقيدته ، وظلمه للسكان لذلك كتب الخليفة الى السلطان صلاح الدين يأمره بالتوجه الى اليمن لقتال هذا الخارجى ، كما ذكر البعض أن الشريف قاسم بن يحيى بن وهاس قد استنجد بالخليفة الفاطمي العاضد قبيل وفاته من غارات بنى مهدي فطلب العاضد من صلاح الدين بأن يتوجه الى اليمن ، وقد ذكر البعض أن السبب الحقيقي في توجه تلك الحملة الى اليمن هي خوف صلاح الدين وأهله من السلطان نور الدين ، فقد كانوا يتوقعون بين الحين والآخر دخول نور الدين الى مصر وانتزاعها منهم فآراد صلاح الدين أن يرتاد موضعا يلجأ اليه اذا قصده نور الدين فوقع اختيارهم أولا على بلاد النوبة فلما سار اليها صلاح الدين لم تعجبه فقدم اليهم عمارة اليمنى ومدح لهم بلاد اليمن وكثرة خيراتها وهون عليهم استيلائها لذلك توجهت تلك الحملة التي يرأسها توران شاه الى اليمن فاستولى على زبيد وصنعاء ومعظم مدن بلاد اليمن بعد أن قضى على الأسر التي كانت تحكم تلك المدن .
- انظر : الخزرجي : المعجد المسبوك ، ورقة ١٥٢-١٥١ ، المقرئى : المصدر السابق نفسه ، ١/قسم ١ ، ص ٥٢-٥٣ ، العرشى : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص ٤١-٤٠ .

(١)
 بقواته فى رجب سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، واستطاع أن يدخل مكة المكرمة دون أن يجد أية مقاومة تذكر من أميرها عيسى بن فليحة الذى كان معارضا وغير راض عن دخول القوات الايوبية الى مكة، ومما يبرهن على ذلك تلك الرواية التى أوردها سبط ابن الجوزى بقوله ان الأمير عيسى بن فليحة حينما بلغه قدوم ذلك القائد الايوبى هرب عن مكة وأخذ معه معاتيج الكعبة .^(٢)
 ولكن ذلك التصرف الذى قام به أمير مكة لم يمنع القائد الايوبى من تحقيق أهدافه ومهماته التى أرسل من أجلها حيث دخل المسجد الحرام ، وطاف بالببيت العتيق ، ودعا الله بقوله "اللهم ان كنت تعلم أنى جئت الى هذه البلاد لاصلاح العباد وتعهدا فيسر على فتح الباب وان كنت تعلم أنى جئت لغير ذلك فلانفحه" فاستجاب الله عز وجل دعاءه حيث تمكن من فتح الباب بعد أن جذب القفل بيده ، ودخل الكعبة وصلى ودعا الله بها .

وحينما علم الأمير عيسى بن فليحة بذلك ندم كثيرا ، وقدم الى توران شاه معلنا له عن اعتذاره وندمه على تصرفه الذى بدر منه ، ثم بادى بعد ذلك بتقديم فروض الطاعة والولاء والترحيب به وبالسيادة الايوبية والعباسية على مكة المكرمة .^(٥)

-
- (١) أبو شامة : البروضتين ، ٢١٦/١ ؛ الخزرجى : المصدر السابق نفسه ، ورقة ١٥١ .
 (٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٠١-٣٠٠/١ .
 (٣) المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٤) المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٥) المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٤٠-٤١ .

وأزاء ذلك الولاء فقد خلع عليه توران شاه وعلى أصحابه وطبيب قلوبهم ، وأقر الهواشم على إمارة مكة المكرمة ، ثم أقيمت الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسي المستفيء وللسلطان نور الدين محمود زنكى والسلطان صلاح الدين الأيوبي (٢) وذلك سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م .

وتعد هذه الخطبة ايذاناً ببداية النفوذ الأيوبي على بلاد الحجاز وأصبحت إمارة مكة المكرمة منذ تلك الفترة تحت إشراف وسيادة الدولة الأيوبية والعباسية ببغداد ، وعلى الرغم من أن الأيوبيين قد أبقوا أمراء الهواشم في إمارة مكة إلا أنهم لم يتمتعوا بالاستقلال التام بسبب تدخل المباسيين والأيوبيين في شئون مكة الداخلية كلما ساحت الفرصة بذلك لدرجة استخدام القوة والشدة أحياناً لخفض بعض أمراء الهواشم من ذوى النزعة الاستقلالية . (٣)

ولكى يبقى الهواشم في إمارة مكة فقد اشترط الأيوبيون عليهم عدة شروط منها إلغاء المكوس المفروضة على حجاج بيت الله الحرام ، والتعهد بإقامة الخطبة على منابر مكة للسلطان الأيوبي بجانب اسم الخليفة العباسي ، كما اشترطوا عليهم أيضاً القيام بتوفير الأمن لأهالى مكة وحجاج بيت الله

(١) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه ، قسم ١ ، ٣٠٠-٣٠١ ، القوسى : تجارة مصر ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١٢٥/٩ ، الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٦٩/١ ، القوسى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) العسيرى : العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الأيوبيين ، ص ١١٤ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ٢٠/٢ ، السباعى : تاريخ مكة ، ٢٤٢/١ .

والعمل على تهيئة الظروف المناسبة لهم ليؤدوا فريضتهم بكل يسر وسهولة ، وعلاوة على ذلك أصدر السلطان الايوبى صلاح الدين أوامره الى أمير مكة مكثر بن عيسى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م يأمره بالرفق بحجاج بيت الله ويحثه على مساعدتهم وكف الظلم والاعتداء عليهم، كما أمره بانزال العقوبة على كل من حاول الاخلال بأمن البلد المقدس حيث كتب اليه خطابا جاء فيه "انما نحن وأنت متقلبون فى بركة الحاج فتأمل هذا المنزع الشريف والمقام الكريم واحسان الله يتضاعف الى من أحسن الى عباده ، واعتناؤه الكريم موصول لمن جعل همه الاعتناء بهم ، والله عز وجل كفيل بجزاء المحسنين ، انه ولى ذلك (١)
لارب سواه " .

وحتى يتأكد السلطان صلاح الدين الايوبى من تنفيذ تلك الاوامر الايوبية كلف اخاه طغتكين بن أيوب بالذهاب الى مكة ومنها الى اليمن وذلك للقضاء على الفتن والاضطرابات التى أحدثها نوابه هناك . (٢)

- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ .
(٢) ابوبكر بن عبد الله بن أيوب الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق سميد عاشور ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ٧٠/٧ .
وكان سبب هذه الاضطرابات هى تلك الخلافات الدائرة بين عثمان الزنجلى والى عدن، وحظان بن منقذ والى زبيد ، وقد بدأت تلك الخلافات بعد موت توران شاه حيث ادعى كل واحد منهم أنه أحق من الآخر فى حكم بلاد اليمن عامة . فخشى السلطان صلاح الدين الايوبى من خروج مملكة اليمن من يده فبعث أخاه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ومعه قوة عسكرية كبيرة استطاع بها أن يقضى على تلك الخلافات وأن يعيد بلاد اليمن الى الحكم الايوبى من جديد .
انظر : الدوادارى : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، ابن الدبيع : الفصل المزييد على بغية المستفيد ص ٨٢-٨٣ .

(١)
 فحينما قدم طغتكين الى مكة فى رمضان سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م
 كان فى مقدمة مستقبليه أميرها مكش بن عيسى (٥٧١ - ٥٩٧هـ/
 ١١٧٥ - ١٢٠٠م) الذى رَحَّب به وبقدومه حيث توجه الى مقر
 اقامته وممسكره فى الزاهر ، وأعلن طاعته وولاءه للدولة
 الايوبية والعباسية، كما أعلن تعهده بالالتزام بجميع الاوامر
 التى تملئها عليه الدولة الايوبية. فأمر فى ذلك العام بأن
 تقام الخطبة على منابر مكة له وللخليفة العباسى الناصر
 لدين الله وللسلطان صلاح الدين الايوبى ، وازاء ذلك الولاء
 من قبل الأمير مكش بن عيسى قام سيف الاسلام طغتكين بن أيوب
 باكرامه وتشجيعه حيث خلع عليه خلعاً شميخة فى غاية الحسن
 والجمال فُدرت بألف مثقال من الذهب .
 (٢)

ثم غادر طغتكين مكة متوجها الى اليمن لاكمال المهمة
 التى بعث من أجلها . إلا أن الأحوال الداخلية بمكة لم تستقر
 بعد رحيل طغتكين عنها، فقد واصل الأمير مكش بن عيسى سياسة
 الظلم والحدود التى كان ينفذها مع حجاج بيت الله الحرام
 حيث أنه أعاد فرض المكوس والفرائب على الحجاج القادمين
 الى مكة والتى كان السلطان صلاح الدين الايوبى قد أبطلها من
 قبل. هذا إضافة الى مالقبه هؤلاء لحجاج من اعتداءات عليهم
 (٣)
 (٤)
 (٥)

- (١) ابن قهيد : اتحاف الوري ، ٥٤٥/٢ - ٥٤٦ ؛ أبو مخرمة :
تاريخ شفر عدن ، ١٠١/٢ ؛ محمد عبد العال أحمد :
الايوبيون فى اليمن ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٢٠ .
 (٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ،
 ٣٦٩/٢ .
 (٣) ابن السديع : الفضل المزيّد على بغية المستفيد فى
أخبار مدينة زبيد ، ص ٨٢-٨٣ .
 (٤) مورتيل : الأحوال السياسية ، ص ٣٢ .
 (٥) أبو شامة : الروصتين فى أخبار الدولتين ، ٣/٢ .

(١)
من قبل عبيد الاشراف الذين لم يجدوا رادعا من أمير مكة
مكثر بن عيسى ، وهذا ما لا يريد السلطان صلاح الدين فقد نهاه
من قبل عن ذلك التهاون والاهمال فيما يتعلق بأمن حجاج بيت
الله الحرام .

ولما رأى منه الاعراض عن ذلك كتب اليه خطابا آخر شديد
اللهجة يحمل في سطوره التهديد والوعيد له اذا لم يعمل على
اقرار الامن والاستقرار بمكة المكرمة فجاء فيه : "بسم الله
الرحمن الرحيم : اعلم أيها الأمير الشريف ، أنه ما زال
نعمة عن أماكنها ، وأبرز الهمم عن مكانتها ، وأشار بسمهم
النوائب عن كنائنها كالظلم الذي لا يعفو الله عن فاعله ،
والجور الذي لا يفرق في الاتم بين قائله وقابله ، فاما رهبت
ذلك الحرم الشريف ، وأجللت ذلك المقام المنيف ، والاقويضا
العزائم ، وأطلقنا الشكايم ، وكان الجواب ما تراه لامتقراه
وغير ذلك ، فانا نهضنا الى ثغر مكة المحروسة في شهر جمادى
الآخرى ، طالبين الاولى والاخرى ، في جيش قد ملا السهل والجبل
وكظم على أنفاس الرياح ، فلم يتسلسل بين الأسل ، وذلك
لكثرة الجيوش وسعادة الجموع ، وقد صارت عوامل الرماح تعطى
في بحر الدرر" (٢)

فلما لم يكف الأمير مكثر عن ظلمه للحجاج سارع طففتكين
الى تأديبه باسم أخيه السلطان صلاح الدين الذي قدم الى مكة
من اليمن في رمضان سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م واستولى عليها ، وكلمة
(٣)

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٥١/٢ .
(٢) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٥٦٧/٢ - ٥٦٨ .
(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٦٢/٥ - ٦٣ ؛ الجزيري : الدرر
٥٧٤/١ .

استولى تدل على أن مكة المكرمة في تلك الفترة كانت قد خرجت عن سيادة الأيوبيين ، وأن طغتكين قد أعاد تلك السيادة عليها من جديد ، وحتى يؤكد طغتكين السيادة الأيوبية مرة أخرى على مكة فقد أمر بأن تقام الخطبة على منابرها لآخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي ، كما أنه أمر ببناء دار لفرب النقود بمكة المكرمة وقام بسك الدراهم والدنانير فيها باسم أخيه السلطان صلاح الدين ، ثم قام أيضا بإلغاء الأذان الشيعي في الحرم المكي الشريف ، والتفت بعد ذلك إلى إصلاح الأمور الداخلية بمكة والقضاء على الفوضى والاضطرابات التي عادة ما يحدثها عبيد الإشراف بمكة حيث قام بقتل الكثير من هؤلاء العبيد واشترط على البقية الذين لم تثبت إدانتهم بساعاتهم على الحجاج أن يكفوا عن تلك الاعتداءات والا سيتعرضون لأشد العقاب والجزاء .

أما عن موقفه مع الأمير مكش بن عيسى الذي خرج عن طاعته وخالف أوامره فقد أرسل إليه رسولا يطلب منه أن يعيد له مفتاح باب الكعبة الذي كان قد أخذه معه عندما هرب إلى جبل أبي قبيس وذلك حينما علم بقدوم طغتكين إلى مكة ،

-
- (١) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٤٧/١ - ٥٤٨ ، الجزيري : الدرر والغرائد ، ٥٧٤/١ .
 (٢) العصامي : سبط النجوم العوالي ، ٢٠٦/٤ ، المالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٠٥ .
 (٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٧٨/٦ .
 (٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٢٨٨/٨ .
 (٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ - ٣١٥ ، الجزيري : المصدر السابق نفسه والمقحة نفسها .
 (٦) الفاسي : المصدر السابق نفسه والمقحة نفسها ، ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٥٣/٢ .

الا أن مكثراً قد قابل ذلك الطلب بالرفض وصمم على أن يبقى باب الكعبة مقفولاً أمام طفنكيين الذى لم يستسلم لموقف أمير مكة حيث أرسل اليه رسولا آخر يبدو أنه كان من أقاربه وأصحابه حيث أخبره بعزم وإصرار طفنكيين بأخذ مفتاح الكعبة منه بالقوة ، وكان طفنكيين قد طلب من ذلك الرسول أن يبلغ الأمير مكثراً تلك الرسالة الشفوية التى تتضمن العزيمة على أخذ مفتاح باب الكعبة بالقوة حيث قال له : "قل لصاحبك ان الله قد نهان عن أشياء فارتكبناها ، وقال النبی صلى الله عليه وسلم لاتأخذوا المفتاح من بنى شيبة فنأخذہ ونستغفر الله تعالى" . فادرك الأمير مكثراً بعد ذلك عدم استطاعته مجابهة وتحدى الأمير طفنكيين لذلك قام بإرسال مفتاح الكعبة اليه . ثم أعلن توبته وطاعته للأمير طفنكيين عن تلك التصرفات التى بدرت منه ، كما أعلن تعهده بالالتزام بجميع الأوامر والقرارات التى تملئها عليه الدولة الأيوبية . عندئذ عا^(١) عنه طفنكيين وأقره على إمارته من جديد ، ثم غادر الأمير الأيوبي مكة المكرمة متوجهاً الى بلاد اليمن بعد أن استطاع أن يعيد السيادة الأيوبية والعباسية على مكة ، وأن يقضى على جميع الفتن والاضطرابات الموحدة بها ، وأن يعيد الأمن والأمان لحجاج بيت الله الحرام ، كما أن هذا الأمير قد قدم قبيل مغادرته مكة ببعض الأعمال الخيرية التى تعود على سكان

(١) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
 (٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
 (٣) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٢ .
 (٤) الفاسى : العقد الشمين ، ٦٢/٥ - ٦٣ : العماسى : سبط
 النجوم العوالى ، ٢٠٦/٤ .

(١)
مكة بالخير والمنفعة .

وعلى الرغم من أن الايوبيين قد أقروا أمراء الهواشم على إمارتهم إلا أنهم كانوا محل متابعة ومراقبة السلطان صلاح الدين الايوبي لهم دائما وذلك للتأكد من مدى تطبيقهم للشروط والمواثيق المعقودة بينهما ، فتذكر بعض المصادر أن السلطان صلاح الدين الايوبي قد استقبل في صفر سنة ٥٧٩هـ / ١١٩٣م بعض الحجاج الشاميين القادمين من مكة وسألهم عن مكة المكرمة وعن أميرها وأحوالها السياسية والإدارية ،^(٢) فهذا بالطبع يؤكد حرمة السلطان صلاح الدين واهتمامه الكبير بمكة المكرمة وأحوالها الداخلية .

والحقيقة أن أهالي مكة والحجاج القادمين إليها قد عاشوا حياة هادئة ومستقرة في ظل السيادة الايوبية على مكة لأن السلاطين الايوبيين قد اهتموا اهتماما كبيرا بأمور الحرمين الشريفين فقد قام السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م بإصلاح جميع الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة وقام بتأمين تلك الطرق من هجمات الأعراب عليها ، حيث صرف للأعراب القاطنين على هذه الطرق أموالا كثيرة ليكفوا عن الاغارة على الحجاج وليفدموا لهم أقصى ما يستطيعون من مساعدة ، هذا بالإضافة إلى أنه قد أصدر أوامره إلى أمير مكة مكش بن عيسى بإمره بتوفير الأمن لحجاج بيت الله والاعتناء بهم ، وقضاء حوائجهم ، وتوفير سبل الراحة لهم ،^(٣)

-
- (١) الجزيري : الدرر العرائد ، ٥٧٤/١ .
(٢) أبو شامة : الروضتين ، ٢١١/٢ - ٢١٢ .
(٣) ابن فهد : أضياف الوري ، ٥٥٣/٢ ؛
بقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٨ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ .

كما أمره برفع الظلم عنهم هذا الظلم المتمثل فى فرض المكوس والضرائب التى عانوا منها كثيرا وأثقلت عواتقهم ولاقوا بسببها الكثير من المتاعب والمصائب ، فقام السلطان صلاح الدين بتمويؤ أمير مكة بمال يصرف له سنويا ، كما قرر له صرف ثمانية آلاف اردب من القمح ترسل اليه كل عام .

ولم يكتف السلطان صلاح الدين بتلك الاعمال الخيرية بل انه كان يرسل الى أهالى مكة والمجاورين الصلوات والاموال وجميع ما يحتاجونه من مواد غذائية ، وأوقف بعض الأوقاف فى معبد مصر ومن ريعها كان يحمل القمح سنويا الى جدة تعويضا لأمير مكة بعد اسقاط المكس عن الحجاج ، وكذلك للمجاورين والفقراء بالحرمين . اذن فلاغربة أن يقال السلطان صلاح الدين الأيوبي محبة سكان مكة من مقيمين وحجاج ومجاورين لذلك يقول ابن جبير : "وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء تخفق الأكسنة بالتأمين عليه من كل مكان وحق ذلك عليهم لما يبذله من جميل الاعتناء بهم وحسن النظر لهم ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم " .

كما أنه كان للأيوبيين فى اليمن أوقاف جليلة على الحرمين فى مكة والمدينة ، فقد أوقف السلطان طغتكين بن

-
- (١) ولمزيد من المعلومات عن تلك المكوس انظر الفصل الرابع ، ص ٢٧٣ .
 (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٩٩/١٢ ؛ البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ٣٠ .
 (٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣٦٨/٢ .
 (٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
 (٥) أبو شامة : الممدر السابق نفسه ، ٣/٢ ؛ عبد اللطيف ابراهيم : ورائق الوقف فى الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٢ .
 (٦) ابن جبير : الممدر السابق نفسه ، ص ٧٣ .

(١) (٢)
أيوب وادى الجريب والحرب والمسلم، فى اليمن، على البيت
الحرام وذلك فى عهد اماره الهواشم وبقي دخلها يرفع الى
مكة فترة من الزمن ، كما أنه أوقف عددا من الاراضى فى اليمن
(٣)
على المسجد النبوى الشريف .

-
- (١) الجريب : تصغير جرب وهى من مخاليف اليمن بمنطقة زبيد
وهى سوق لاهل تهامة ومكة وعشر .
انظر عمارة : تاريخ اليمن ، ص ٢٥٠-٢٥١ ؛ الحموى :
معجم البلدان ، ١٣١/٢ .
- (٢) الحرب : بسالفتح ثم السكون وباء موحدة وهى بلدة بين
يبنيم وبيشة على طريق حاج صنعاء .
انظر ابن عبد الحق : مرامد الاطلاع ، ٣٨٩/١ .
- (٣) عسيري : العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن فى عهد
الايوبيين ، ص ١١٨ .

جهود السلطان صلاح الدين الايوبي في حماية الحرمين الشريفين
من الخطر المليبي .

كان للسلطان صلاح الدين دور كبير في تطهير الساحل
الحجازي وحماية المقدسات الاسلامية من الغارات والحملات
المليبية التي اخذت تتجه نحو البحر الاحمر ، والتي كانت
تستهدف محاصرة مصر اقتصاديا وذلك بمصرف التجارة المتجهة
اليها نحو الموانئ المليبية في بلاد الشام ، كما ان هذه
الحملات المليبية كانت تسعى الى الحيلولة دون وصول الحجاج
الى مكة المكرمة وضرب المسلمين في مقدساتهم وذلك بمهاجمة
الحرمين الشريفين والاستيلاء عليهما ، كما كانت تهدف الى
القضاء على السيادة الاسلامية على البحر الاحمر وتحقيق
السيادة المليبية على هذا البحر .^(١)

ولقد تعرضت الموانئ الحجازية للخطر المليبي في تلك
الفترة ، وقام المليبيون بعدة محاولات بغية الاستيلاء عليها
فكانت المحاولة الاولى في عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م وذلك حينما قام
ارناط ، صاحب امارة الكرك ، باعداد اسطول بحري كبير وابحر
به في مياه البحر الاحمر ، ولكن تلك المحاولة المليبية^(٢)

- (١) القوسى : تجارة مصر في البحر الاحمر ، ص ١٥٣ .
- (٢) أبو شامة : الروضتين ، ٣٧/٢ ، المالكي : بلاد الحجاز ،
ص ٤٤ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٧٠ .
- (٣) حسنين ربيع : بحر الحجاز في العصور الوسطى ، (مجلة
كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الاول ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ،
ص ١٠٣ .
- (٤) الكرك : اسم قلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي
البلقاء بين ايلة والبحر الاحمر وبيت المقدس .
- انظر : الحموى : معجم البلدان ، ٤/٤٥٣ .
- (٥) القوسى : المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٤ .

سرعان مامسات بالفشل الذريع وذلك بسبب ظروف الجو القاسية
التي واجهتهم تلك الحملة أثناء وجودها في واحة تيماء ،
هذا بالإضافة الى أن قائد الحملة أرناط قد جاءته الأخبار
بأن نائب صلاح الدين في دمشق عز الدين فرخشاه قد قام
بمحاصرة أعمال الكرك بغية الاستيلاء عليها فاضطر أرناط الى
العودة بأسرع وقت ممكن وذلك لابقاد أمارته . وهكذا فشلت
تلك الحملة ، ولكن ذلك العشل لم يعطل الفكرة التي كانت
تدور بخاطر أرناط فقد عزم على اكمال المخطط الصليبي
السابق حيث قام في اعام التالي ، بمحاولته الثانية سنة
٥٧٨هـ / ١١٨٢م باعداد أسطول بحري كبير هاجم به ميناء عيذاب
وقام بسلب ونهب المراكب التجارية الراسية بذلك الميناء ،
وأشار الرعب والخوف والغزع في قلوب الناس ونهب الصليبيون
عدة سفن قدمت من جدة وعدن والهند ، ووصف ابن جبير في
رحلته تفاصيل ذلك الهجوم فقال : وانتهوا الى عيذاب
فأخذوا فيها مركبا كان يأتي بالحجاج من جدة ، وأخذوا أيضا
في البر قافلة كبيرة تسأى من قوص الى عيذاب ، وقتلوا

- (١) هو الملك المنصور عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن
أيوب كان فاضلا متواضعا سخيا كريما شجاعا فصيحا شاعرا
عالميا كثير الادب. استنابه عمه السلطان صلاح الدين على
بلاد الشام وتوفي بدمشق في جمادى الاولى سنة ٥٧٨هـ /
١١٨٢م . انظر :
أبو شامة : الروضتين ، ٣٣/٢ ؛ ابن تغرى بردى :
النجوم الزاهرة ، ٩٣/٦ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٥٢/٩ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ،
ص ٤١ .
(٣) أبو افدا : المختصر في أخبار البشر ، ٦٥/٣ ؛ جميل
حرب : الحجاز واليمن ، ص ٧١ .
(٤) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ٣٧/٢ .

الجميع ولم يحيوا أحدا . وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن ، وأحرقوا أطمعة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة أعزهما الله ، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها في الاسلام " .^(١)

ثم واصل أرناط وقواته مسيرهم باتجاه السواحل الحجازية حتى وصلوا الى ساحل الحوراء . وقاموا بغزو المناطق المجاورة لذلك الساحل ، وأغاروا على القوافل التجارية المارة ، وأشاعوا الرعب في قلوب الناس وخاصة أهل المدينة المنورة الذين أدركوا أن القوات المليبية لم يبق عليها الا مسيرة يوم واحد وتصل الى المدينة ، وكان أرناط وفواته عازمين على دخول المدينة وذلك للقيام بنشر قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونقل جسده الكريم الى بلادهم ودفنه هناك وبالتالي لايسمح لاي مسلم بزيارته الا بعد أن يدفع مكسا مقابل ذلك .^(٥)

ولكن تلك الاهداف والمخططات المليبية لم تتحقق وذلك بفضل الله ثم بفضل جهود السلطان صلاح الدين الايوبي الذي سارع باصدار أوامره الى أخيه العادل أبي بكر بن أيوب

-
- (١) ابن حبير : الرحلة ، ص ٣٤ .
 (٢) ابن الاثير : الكامل ، ١٥٩/٩ .
 (٣) الحوراء : كانت قديما أشهر ميناء بحري وتقع شرقي البحر الاحمر بالقرب من بلدة أملج . انظر : الحموي : معجم البلدان ، ٣١٦/٢ ؛ حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٧٢ .
 (٤) أبو شامة : الروفتين ، ٣٥/٢ ؛ القوصي : تجارة مصر ، ص ١٥٥ ؛ فتحية النبراوي : العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ، ص ٢١٨ .
 (٥) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤-٣٥ ؛ جميل حرب الحجاز واليمن ، ص ٧٠ ؛ باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٤٣ .

- نائبه بممر - بتجهيز أسطول بحرى كبير لمطاردة الصليبيين والحيلولة دون ومولهم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجهر ذلك الاسطول وعهد بقيادته الى أمير البحر الممري الحاجب حسام الدين لؤلؤ الذى سار متتبعا للصليبيين حتى لحق بهم عند ساحل الحوراء ، على شاطئ، الحجاز ، فدارت بينهما معركة كبيرة كان النصر فيها لقوات حسام الدين حيث انهزم أرناط وقواته، وقتل عدد كثير منهم وأسر الباقين ، وأرسل اثنين منهم الى منى وقت الحج لينحروا كما تنحر البدن . أما بقية الأسرى فقد عاد بهم حسام الدين معه الى مصر ، فصدرت الأوامر من السلطان صلاح الدين بقتلهم جميعا ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه التجرد والاعتداء على الاراضى المقدسة والعبث بها .^(٤)

أما عن موقف أمراء الحجاز من هذا الخطر الصليبي فلم يكن لهم أى دور فى الدفاع عن بلادهم ، والسبب فى ذلك واضح وهو قلة الامكانيات العسكرية والمادية التى تؤهلهم للمجابهة والوقوف أمام القوات الصليبية الحاقدة .

-
- (١) ابن الأثير : المصدر السابق نفسه ، ١٥٩/٩ - ١٦٠ ، القوسى : تجارة ممر ، ص ١٥٥ .
 (٢) أبو الفدا : المختصر ، ٦٥/٣ ، عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة فى أواخر العمر العباسى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٨٠ .
 (٣) أبو شامة : الروضتين ، ٣٥/٢ ، ابن فهد : اتحاد الورى ٥٤٥/٢ ، الجزيرة : الدرر الفرائد ، ٥٧٣/١ .
 (٤) أبو شامة : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٤٤ .
 (٥) أبو شامة : المصدر السابق نفسه ، ٣٧/٢ ، جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ٧٥ .

ولما تقاعس أمراء الحجاز عن ذلك الدور قام به الأيوبيون خير قيام، فحسموا بحر الحجاز من الخطر المليبي وعملوا على أن يظل بحرا إسلاميا خالصا ، كما أنهم استنظعوا (١) حماية المقدسات الإسلامية من تلك المخططات المليبية العابثة، فكانت سيادة الأيوبيين على بلاد الحجاز في تلك الفترة خيرا لأمراء مكة والمدينة وللمسلمين في جميع أنحاء الأرض ، فاستطاع المسلمون تأدية فريضة الحج بكل أمن ويسر وسهولة ، وذلك مما دفع الكثير من المسلمين في تلك الفترة الى المسارعة الى حج بيت الله الحرام ، وشهدت مكة ابان السيادة الايوبية عليها قدوم أعداد كثيرة من الحجاج الشاميين واليمنيين والعراقيين لاداء فريضة الحج . (٢)

أما عن دور الأيوبيين الاقتصادي والثقافي فقد كان لهم دور كبير في ذلك الانفراج الاقتصادي الذي شهدته أسواق مكة المكرمة بعد عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م وهو العام الذي أمر فيه السلطان الايوبي صلاح الدين باسقاط جميع المكوس والضرائب عن الحجاج والتجار القادمين الى مكة المكرمة ، ولاشك في أن ذلك الاجراء كفيل بتشجيع الكثير من التجار على القدوم الى مكة والمشاركة في حركتها التجارية طالما أن جميع الظروف الامنية قد تهيأت لهم .

-
- (١) حسنين ربيع : بحر الحجاز في العمور اوسطى ، ص ٤٠٦ .
 (٢) ابن حبير : الرحلة ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ؛ ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٥٠/٢ .
 (٣) أبو شامة : الروشتين ، ٣/٢ .
 ولمزيد من الايفاح انظر الفصل الرابع من ٢٧٦-٢٧٧ .

كما كان للإشراف الأيوبي على مكة دور كبير في نهضتها العلمية وذلك بسبب حزم وشدة الأيوبيين مع كل الذين كانوا يقفون حائلا دون وصول الحجاج والعلماء الذين عادة ما يفدون إلى مكة مع ركب الحجيج أمام الحج ، فقد أصدر السلطان صلاح الدين الأيوبي أوامره إلى أمير مكة مكش بن عيسى يأمره بمعاينة العبيد وجميع المفسدين الذين يحاولون تعطيل شعيرة الحج. وإشارة الاضطرابات داخل مكة والمشاعر المقدسة .^(١)

ولاشك أن تلك الأوامر والإجراءات الأمنية التي اتخذها السلطان صلاح الدين قد شجعت الكثير من علماء وأدباء الدول الإسلامية على أن يفدوا إلى مكة، ويشاركوا في نهضتها العلمية^(٢)

لموحدة بها في تلك الفترة .^(٣)

-
- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٨٨/٨ ؛ ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ٧٤-١٠٠ .
- راجع ص ٢١٦ من هذا البحث .
- (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٥٠/٢ .
- (٣) ولمزيد من الايضاح انظر الفصل الرابع ، ص ٣٣٩ .

(ب) اعتداءات الأعراب على الحجاج
وموقف الهواشم منها

المخاطر التي يواجهها الحجاج فى طرق الحج المؤدية الى مكة .

لقد كانت قريفة الحج فى عهد أسرة العواشم مليئة بالمخاوف والمخاطر ، فالحجاج منذ مسيرهم من بلدانهم وهم فى فزع وخوف وذلك بسبب تسلط الاعراب القاطنين على طرق الحج والذين كانوا يقومون بالاغارة و لهجوم على قوافل الحجاج والاعتداء على ما بها من أموال وأمتعة للحجاج .

فكانت بداية هذه الغارات على حجاج بيت الله منذ أن تسوق العباسيون عن دفع ماكان يعطى لهذه القبائل من نفقات وأعطيات ، وقد تفنن زعماء هذه القبائل فى احداث كثير من الحيل والأساليب لقطع الطريق ، فتارة يتربصون للقوافل ويقومون بمهاجمتها علانية ، وتارة أخرى يقومون بالتحكم فى مصادر المياه الواقعة على طريق الحج حيث انهم كانوا يمنعونهم من ورود بعض الابار اما بمحاصرتهم لها او وضع الحنظل بها حتى لا يتمكن الحجاج من الشرب منها .^(١)^(٢)^(٣)

وقد نتج عن تلك الغارات هلاك العديد من الحجاج، وفقد أموالهم. وعدم انتظام ركب الحج فى الذهاب الى مكة، فقد^(٤)

(١) ابن لجوزى : المنتظم ، ٣٠٢/٨ ، الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٣١/١ ، الزيلعى : مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ١٠٤ .

(٢) الحنظل : هو شجر مر المذاق واحدته حنظلة والحنظل يطلق عليه أيضا اسم الشرى . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٨٣/١١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ٢٦٤/٧ ، الزيلعى : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٤) الجزيرى : الممدر السابق نفسه ، ٥٣٩/١-٥٥٣ : الرشيدى حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٣ .

انقطع ركب الحج العراقي سنوات عديدة وذلك بسبب الغارات والاعتداءات التي يجدها الحجاج العراقيون من القبائل الواقعة على طريق العراق كقبيلة طيء ، وبنى هلال ، وخفاجة (١) وغيرهم .

وكانت هذه القبائل تُخِير الحجاج بين امرين اما أن يدفعوا لهم مبالغ كبيرة من الاموال، وإلاستعرض قوافلهم وأمتعتهم للسلب والنهب . (٢)

هذا بالنسبة لطريق الحج العراقي ، أما الطريق الممري فلم يكن بأحسن حالا من الطريق العراقي فقد كانت تعتريه كثير من المصاعب والاعتداءات من وقت لآخر ، وذلك مما أدى الى توقف قدوم الحجاج المصريين فترة طويلة من الزمن ، هذا وقد تعرض الحجاج المصريون ، أبان حكم الهواشم على مكة ، لهجوم عليهم من احدى القبائل العربية القاطنة على الطريق الممري وذلك سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، وقد نتج عن ذلك الهجوم هلاك الكثير من المصريين وعودة بعضهم ممن تمكن من الفرار الى مصر دون أن يؤدوا فريضة الحج ، هذا اضافة الى ماكان يلقاه الحجاج المصريون من خداع ومكر قبائل البجاة الذين كانوا

-
- (١) ابن الاثير : المصدر السابق نفسه ، ٥٨/٧ ؛ الجزيري : المصدر السابق نفسه ، ٥٢٩/١ ؛ العمامي : سمط النجوم العوالي ، ١٩٦/٤ .
- (٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ١٣٩/٤ .
- (٣) الزيلعي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
- (٤) الرشيدى : المصدر السابق نفسه ، ص ١١٣ .
- (٥) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٥٥٣/١ .
- (٦) البجاة : هم نسوع من السودان يسكنون عيذاب ويقومون بنقل الحجاج القادمين من مصر والمغرب والاندلس وغيرها من البلدان الافريقية من ميناء عيذاب الى ميناء جدة . انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨-٤٩ .

يقومون بنقل الحجاج القادمين من بلاد افريقيا على مراكبهم
فى البحر الأحمر فيسلكون بهم غير الطريق المعتاد حتى
يموتوا جوعاً وعطشاً، وبالتالي يسهل عليهم سلب ماع هؤلاء
(١)
الحجاج من أموال وامتعة .

أما الطريق اليمنى فلم يسلم هو الآخر من هجمات الأعراب
فقد تعرض الحجاج القادمون من اليمن الى كثير من المتاعب
والمخاطر، وذلك بسبب تربص القبائل المسيطرة على هذا الطريق
كقبيلة بنى شعبة التى كانت تعتبر مصدر فزع وخوف للحجاج
اليمنيين ، وقد وصفهم ابن المجاور بقوله : "ولم يكن فى
جميع العالم أفضل من هؤلاء القوم ولا أسرف ولا أجرم ولا أجسر منهم
فى أخذ مال الحاج" . وكانوا ينظرون الى الحاج نظرة كسب
وغنيمة لهم فكانوا يقولون : "إذا حضر جفنة الله - ويقعدون
بها الحاج - أكل منها الماد والوارد" .
(٢)

ولم يكن تسلط تلك القبيلة على حجاج اليمن فقط بل
كانت مصدر قلق وخوف لجميع حجاج بيت الله الحرام لأنهم
كانوا يهاجمون هؤلاء الحجاج فى المشاعر المقدسة أثناء

-
- (١) ابن جبير : المصدر نفسه ، ص ٤٦ .
(٢) بنو شعبة : هم فرع من كنانة ، وقيل انهم من تغلب
كانوا يسكنون جنوب مكة على طريق الليث حالياً فى
منطقة تسمى درب بنى شعبة فى وادى عتود ، وكان الدرب
قبل أن يملأوا اليه يعرف بدرب ملوح ، وقد اتصفت تلك
القبيلة بالقوة والشجاعة . انظر :
محمد بن أحمد العقيلي : قبيلة بنى شعبة (مجلة العرب
ج ١١-١٢ ، ١٣٩٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ٨٩٢-٨٩٣ ، عاتق البلادى :
بين مكة وحضرموت ، ط ١ ، مكة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ١٧٧ ؛
البلادى : بين مكة واليمن ، ص ٢٣٦ .
(٣) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ٥٢ ؛ الزيلعى :
مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ١٠٧ .
(٤) ابن المجاور : المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ الزيلعى
المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٨ .

(١) تأديتهم لمناسك الحج ، وكانوا يتربصون للحجاج فى المضيّق
 الواقع بين عرفة ومزدلفة ، ويقومون بمهاجمتهم وسلب مالههم
 من أمتعة وأموال ، ولقد هبّ الله الأمير عثمان الزنجيلي
 لمحاربة تلك القبيلة ومنعها من الاعتداء على حجاج بيت الله
 فيذكر ابن جبير أنه قد علم أثناء حجه سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م أن
 بنى شعبة قد تربصوا للحجاج فى مكانهم المعتاد بانتظار
 مرورهم بذلك المضيّق فحينما علم الأمير عثمان أمر رجاله
 واتبعه بالتجهز بالسلاح لمحاربة تلك القبيلة التى كانت
 تشكل خطرا على حجاج بيت الله ، فعسكر الأمير عثمان بذلك
 المضيّق وصعد رجاله الى الجبال لمحاصرة هؤلاء اللصوص ، وتم
 (٤)

- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٩/٢ : الزيلعى : المرجع
 السابق نفسه والصفحة نفسها .
- (٢) وهو المعروف بطريق المازمين وهو عبارة عن مضيّق ينحصر
 بين جبلين هما المازمان ، وأصل المازم لغة هو الطريق
 الضيق ، ويستحب سلوك هذا الطريق للمقيفر من عرفات الى
 مزدلفة كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعرف
 ذلك الطريق اليوم عند بادية ذلك المكان باسم "ريع
 المرار" . انظر :
 ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٠ ، عبد الله بن محمد بن
 خميس : المجاز بين الإمامة والحجاز ، ط ٣ ، جدة
 ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ، ص ٢٩٦ .
- (٣) هو الأمير فخر الدين عثمان بن على الزنجيلي نسبة الى
 زنجيلة وهى قرية من قرى دمشق ، ولقد عينه توران شاه
 بن أيوب مخدوم دخوله الى اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م نائبا
 عن صلاح الدين فى عدن ، وبعد خروج توران شاه من اليمن
 خرج هو ومن معه من النواب الآخرين عن طاعة السلطان
 صلاح الدين الايوبي الذى أرسل اليهم أخاه طفتكين بن
 أيوب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، وحينما علم الزنجيلي بقدومه
 هرب من اليمن متجها الى دمشق . وتوفى بها سنة
 ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، وأثناء توجهه الى دمشق مر بمكة وأوقف
 بها رباطا ومدرسة عند باب العمرة . انظر :
 القاسى : العقد الشمين ، ٣٥-٣٤/٦ .
- (٤) ابن جبير : المصرب ، ص ١٥٠ .

تأمين الحجاج من تلك الفئة الفاسدة حيث استطاع الحجاج في ذلك العام أن يؤدوا فريضتهم وهم آمنون مطمئنون .^(١)

ولقد كانت القبائل الحجازية المحيطة بمكة المكرمة والقاطنة على الطريق المؤدى الى المدينة المنورة - كقبيلة بلى ، وجهينة ، وحرب ، ومظير ، وبنو سليم - تشكل أيضا خطرا على الحجاج المتجهين الى المدينة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد تعرض الحجاج العراقيون أثناء سيرهم من مكة الى المدينة ، في الرابع عشر من محرم سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م لهجوم واعتداء من قبيلة زغب وبعض القبائل التي انضمت اليهم في مكان يسمى الغرابي ، فقامت تلك

- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ص ٥٤٩ .
- (٢) الجزيري : الدور ، ٢٣٠/١ .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ، ٢٧/٩ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ٣٦٥/٢ .
- (٤) قبيلة زغب: هي فرع من قبيلة سليم التي تسكن فيما بين مكة والمدينة، وهي منتشرة من وادي القرى الى خيبر الى شرقى المدينة الى حد الجبلين (أجا وسلمى بالقرب من حائل) الى ماينتهي الى الحرة المعروفة باسم حرة بنى سليم ، ولقد انتقل ذلك الفخذ من بنى سليم الى رأس الخيمة وسكنوا بجزيرة تعرف باسم جزيرة زغب نسبة الى سكانها ، وتقع تلك الجزيرة على بعد ١٩ كيلو متر من رأس الخيمة . انظر :
- عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني : الانساب ، صححه عبد الرحمن المعلمي ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ٣٠٥/٦ ، عز الدين ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب ، بيروت ، ٧١/٢ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ٤٧٤/٢ ، عبد القدوس الانصاري : بنو سليم ، ط ١ ، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ٤٤٠، ٢٢، ١٦ .
- (٥) الغرابي : جبل رأسه كالغراب من شدة الحمرة المتحولة الى السواد ، محدد الرأس يشرف على ميعات دى الحليفة ويمر الطريق بين مكة والمدينة بسفحه من الشرق . انظر البلاذري : معجم معالم الحجاز ، ٢٣٢/٦ .

القبائل بنهب أموال الحجاج وأمتعتهم وجميع مامعهم مما أدى إلى هلاك الكثير من الحجاج بسبب الجوع والعطش الذي لاقوه أثناء هروبهم من هذه العصابة المفسدة ، حتى قيل أن النساء قد وضعن الطين على أجسادهن وذلك لستر عورتهن لأن تلك العصابة قد نهبت جميع ماكن يلبسهن من ملابس .^(١)

أما ما يواجهه حجاج بيت الله في مكة من مصاعب ومخاطر فكان أشد وأعظم وذلك بسبب ما يلاقونه من اعتداءات متكررة من عبيد الأشراف الموجودين بمكة المكرمة .

وقد كان للعلاقات السياسية بين أمراء الهواشم والدول الإسلامية في تلك الفترة أثر على الأوضاع الأمنية للحجاج داخل مكة المكرمة ، ففي سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م تعرض الحجاج العراقيون للنهب والسلب أثناء طوافهم بالمسجد الحرام ، وذلك بسبب الخلاف الدائر بين أمير مكة في تلك الفترة هاشم بن فليحة وبين أمير الحاج العراقي قطز الخادم .^(٢)

وفي عام ٥٥٧هـ / ١١٦١م قامت فئة من عبيد أشراف مكة بالاعتداء على الحجاج العراقيين أثناء وجودهم في منى بمحاولة منهم لنهب أموالهم ولكنه لم يتحقق لهم ذلك بسبب تمرد قوات أمير الحاج العراقي برغش التركي لهم ، ولما أحس هؤلاء العبيد بالهزيمة رجعوا إلى مكة وذلك لاستنهاض هممهم

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٠/١٤٢-١٤٣ .
 - (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٢/٥١١-٥١٢ .
 - (٣) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، ٢/٤٥٥ .
 - (٤) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٢/٥٠٨ .
 - (٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩/٨٠ .

العبيد الآخرين واطمأعنهم بالأموال التي يحملها الحجاج العراقيون معهم ، ولقد نجح هؤلاء العبيد في تحرير أعداد كبيرة أخرى. فاتجهت تلك الجموع الى منى مرة ثانية. وهاجموا الحجاج العراقيين وهم في غفلة من أمرهم ، وقاموا بنهب أعداد كبيرة من جمال الحجاج قُدرت بألف جمل ، ولكن أمير الحج برغش عزم على مواجهتهم والتمدى لهم واسترداد ماسلبوه من الحجاج المرافقين له. فدارت بينهما موقعة شديدة قتل فيها عدد كبير من الطرفين ، فغادر الحجاج العراقيون مكة دون أن يكملوا فريضة الحج ، ولقد حدثت تلك الفتنة في عهد الأمير عيسى بن فليته الذي لم يكن راضيا عن تلك الاعمال والتصرفات التي بدرت من عبيده بدليل أنه حينما علم بذلك الاعتداء سارع بإرسال مبعوث من قبله الى أمير الحج العراقي الذي وصل معه بقية الحجاج العراقيين الى الزاهر وقدم هذا المبعوث الى أمير الحج كامل اعتذار وأسف أمير مكة عيسى بن فليته عما حدث للحجاج العراقيين فطلب منه الرجوع الى مكة لاكمال فريضة الحج ، ولكن أمير الحج رفض ذلك العرض وفعل المسير الى العراق خوفا من تفاقم المشكلة .

ولاشك في أن هؤلاء العبيد لم يجدوا رادعا قويا من أمراء الهواشم بل ان بعض هؤلاء الأمراء قد شجعهم على مواصلة الاعمال الوحشية والاجرامية ضد الحجاج وأحيانا يتولى الأمير بنفسه قيادة هؤلاء العبيد للتعدي على الحجاج ونهب أموالهم

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٨/١ .
 (٢) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٦ .
 (٣) الجزيرى : الدرر الغرائد ، ٥٦٥/١ .

ففى سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م أصدر الامير محمد بن جعفر أوامره الى رجاله وعبيده بأن يقوموا بالتعرض لركب الحجاج القادمين من بلاد الشام والذين كانوا قد أدوا فريضة الحج وخرجوا من مكة عائدين الى بلادهم ولكن عبيد ورجال الامير محمد بن جعفر قد تمكنوا من ايقاسهم بالقرب من مكة وقاموا بنهب أموالهم وجمالهم وجاءوا بها الى مكة وسلموها للامير محمد بن جعفر فرجع حجاج الشام الى مكة ليستنجدوا بأمرها محمد بن جعفر وطلبوا منه أن يعيد اليهم ما أخذ منهم ، وشكوا اليه بعد ديارهم . ولكنه لم يرد لهم الا بعض ما أخذ منهم . فلما يئسوا منه غادروا مكة عائدين الى بلادهم وهم غير راغبين عن أعمال وتمرفات الامير محمد بن جعفر .

والحقيقة التى يمكن أن نستشفها من دراستنا لتاريخ الهواشم هى أن أمراء الهواشم لم يكن لهم أى دور بارز فى منع الاعراب والعبيد من الاعتداء والتعرض لحجاج بيت الله بل انهم كانوا هم أيضا يسيئون للحجاج خاصة فى الفترة التى يتأخر فيها وصول المعونات والامدادات الفاطمية أو العباسية أو الايوبية عن مكة المكرمة ، وقد ذكر ابن جبير فى رحلته أن الأمير مكثر قد قام بارهاب الحجاج وعاملهم معاملة سيئة وتشدد فى جمع الضرائب والمكوس منهم وذلك حينما تأخرت الامدادات والمعونات التى كانت تصله من السلطان صلاح الدين الايوبى بمصر .

- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٨٦/٢ .
- (٢) الفاسى : شعاع الفرام ، ٣٦٤/٢ .
- (٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٦٨/٨ : ابن فهد : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .
- (٤) القوسى : تجارة مصر ، ص ١٦٦ .
- (٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ .

ولكن حينما بدأ التقمير من جانب أمراء مكة فى تأمين الحجاج وتوفير سبل الراحة والاطمئنان لهم كان للقوى الخارجية ممثلة فى الدولة العباسية والايوبية دور كبير فى القيام بتلك المهمة فقد عملت على نشر الأمن بمكة المكرمة والقضاء على جميع الاسباب التى تؤدى الى الاخلال بالأمن ، فحينما قام الأمير داود بن عيسى بنهب أموال الكعبة وطوقها أصدر الخليفة العباسى الناصر أوامره بعزل ذلك الأمير الذى لم يعمل على استتباب الأمن فقام أمير الحاج العراقى طاشتكين سنة ٥٨٧هـ / ١١٩٠م بعزله وعين أخاه مكشرا مكانه .^(١)

كما أن السلطان صلاح الدين الايوبى قد كلف أخاه طغتكين بالقيام بتوفير الأمن والأمان لحجاج بيت الله فرأى طغتكين أن تحقيق ذلك لا يتم الا بالقضاء على مبيد الأشراف الذين كانوا مصدر شغب وقلق وفزع لحجاج بيت الله فقام بقتل الكثير منهم واشترط على البقية عدم القيام بأى أعمال تضر بحجاج بيت الله ، هذا اضافة الى أن السلطان صلاح الدين قد أرسل الى أمير مكة مكشرا بن عيسى عدة رسائل يحثه فيها على بذل أقصى جهده فى الرفق بحجاج بيت الله وتوفير سبل الراحة لهم ، وحمايتهم من اعتداءات الأعراب والعبيد^(٢)

-
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٥٨/٢ - ٥٥٩ ، ابن فهد : غاية المرام ، ٥٣٦/١ - ٥٣٧ .
 (٢) راجع ص ٢١٣ من هذا البحث .
 (٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٨٨/٨ ، الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٤/٢ - ٣١٥ .
 (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ، ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٦٧/٢ - ٥٦٨ .
 ولمزيد من الايضاح راجع ص ٢١٣ - ٢١٥ من هذا البحث .

المتكررة عليهم بمكة . وقد نفذ الأمير مكثراً بن عيسى تلك التوجيهات الأيوبية، وأظهر شدته وحزمه على كل من حاول الإخلال والعبث بأمن البلاد. وكان نتيجة ذلك أن توقفت الاعتداءات التي كان يواجهها حجاج بيت الله بمكة ، ونعم الحجاج بأمن^(١) واستقرار لم يعهده من قبل .

(١) ابن جبير : المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٠ .

(ج) نهاية نفوذ هواشم بمكة المكرمة

لقد كانت الحالة الأمنية بمكة المكرمة فى أواخر عهد
الهواشم متدهورة للغاية ، فالقوى والاضطرابات والقلق
كانت تسود البلاد ، ولم يلاحظ أى تحرك من جانب أمراء
الهواشم لمواجهة تلك الاضطرابات والقضاء عليها. والعمل على
نشر الأمن بين أهالى البلاد والحاج والتجار والمجاورين
(١)
القادمين الى مكة المكرمة .

ولقد بات اهتمامهم واضحا بالعمل على تحقيق مصالحهم
الخاصة ، وأصبح الوصول الى كرسى الإمارة فى نظرهم وسيلة
للثراء السريع وسبيلا للحصول على الأموال ، ولكنهم لم
يسخروا هذه الأموال لتوفير الأمن والاستقرار فى ربوع بلادهم
ولم يسخروها أيضا لاقامة المشروعات والاملاحة الداخلية بمكة
المكرمة ، وعلى الرغم من وصول الأموال الكثيرة والملا
(٢)
والامانات اليهم من خلفاء وأمراء وسلاطين الدول الإسلامية الا
أن بعضهم قد قام بمصرف هذه الأموال على القبائل التى
استعانوا بها فى الخلافات والمنازعات الدائرة بينهم ،
(٣)
والتي أصبحت فيما بعد عاملا من عوامل سقوط امارتهم على مكة
المكرمة لأن تلك الخلافات والمراعات كانت سببا فى تدخل
القوى الخارجية فى شئونهم الداخلية ، فأصبح العباسيون
يعزلون من لارغبة فيه من أمراء الهواشم ومن يرون أنه لا يخدم
مصلحتهم ولا يحقق لهم طلباتهم ، ويمينون مكانه من يحقق لهم
ذلك حتى ولو لم يكن من الأسرة نفسها .

(١) الفاسى : العقد الشميين ، ٣٩/٧ - ٤٠ .
(٢) سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٢ .
(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه ، ٣٤/٧ - ٣٥ .

فتذكر المصادر أنه في عام ٥٧١هـ/١١٧٥م قام أمير
الحاج العراقي طاشتكن بعزل أمير مكة مكشر بن عيسى وعين
الأمير قاسم بن مهنا الحسيني ، أمير المدينة ، بدلا منه ،^(١)
كما قام العباسيون أيضا بعزل داود بن عيسى عن إمارة مكة
سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وعينوا مكانه أخاه مكشر .^(٢)

والحقيقة أن أمراء الهواشم الذين تولوا إمارة مكة
منذ عهد الأمير عيسى بن فليحة حتى نهاية إمارتهم على مكة
(٥٥٦ - ٥٩٧هـ/١١٦٠ - ١٢٠٠م) هم الذين فتحوا المجال للقوى
الخارجية لكي تتدخل في شؤونهم الداخلية فلو كانوا وحدة
مترابطة ومتماسكة لما استطاعت أي قوة خارجية أن تتدخل في
شئون إمارتهم، وذلك كما حدث في عهد أسلافهم السابقين الأوائل
الذين تميزت سياستهم بالقوة والشدة والحزم، فلم يتركوا
مجالا للقوى الخارجية لكي تتدخل في شؤونهم الداخلية. فكان
الخلافاء العباسيون والفاطميون يتوددون اليهم ويستميلونهم
ليقيموا لهم الخطبة على منابر المسجد الحرام والمشاعر
المقدسة ، فقد أرسل العباسيون إلى أمير مكة محمد بن جعفر
مبعوثا من قبلهم وهو أبو الغنائم الزينبي سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م^(٣)
وأخذ ذلك المبعوث يتقرب إلى الأمير محمد بن جعفر ويتودد
ويتوسل إليه في أن يقيم الخطبة على منابر مكة للعباسيين
كما أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان قد قدم للأمير محمد بن

(١) العمامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٥/٤ .

(٢) ابن فهد : تحاف الوري ، ٥٥٨/٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٠٠/٨ .

جعفر كامل الاغراءات والوعود الجميلة وذلك فى حالة ابقاءه الخطبة للعباسيين ، كما أن الدولة الفاطمية هى الأخرى كانت تتوحد وتتوسل لامراء الهواشم الاوائل الذين كانوا يقيمون الخطبة للخليفة الذى يمدهم بالاموال والاعطيات ويسارعون يقطعها عن الخليفة الذى يقصر ويتمادى فى ذلك دون خوف أو خشية من ذلك الخليفة سواء كان عباسيا أو فاطميا. ولم تستطع أى من القوتين العباسية والفاطمية فى ذلك الوقت أن تستخدم القوة مع أمراء مكة لاجبارهم على قبول سيادتهم على مكة المكرمة، ولو حاولت أى من تلك القوتين الاستيلاء على مكة وفرز نفوذها وسيادتها بالقوة، فإنه سرعان ماتنتهى تلك المحاولة بالفشل الذريع فحينما استطاع القائد العباسى أمهيد بن سارتيكين أن يستولى على مكة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م (١) اجتمع أمراء مكة وأشرافها ورؤساء القبائل المحيطة بمكة واتحدوا جميعا فيما بينهم وعزموا على مواجهة ذلك الخطر الخارجى على بلادهم فاستطاعوا أن يجبروا القائد العباسى على ترك بلادهم ومغادرتها . (٢)

وهكذا كانت مكة المكرمة قوية فى فترة قوة أمراءها وتحالفهم وترابطهم أما حينما بدأ الخلاف والتفكك يدب فى صفوف أمراء الهواشم فقد صاروا فريسة سهلة ومطمعا للقوى الخارجية التى استغلت الخلاف الدائر بين أمراء الهواشم فى

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ١٧٢/١ ، الجزيرى : الدرر الفرائد ، ٥٥٤/١ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١٢/٢ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ ؛ جميل حرب : العجاز واليمن ، ص ٢٦ .

تحقيق أهدافها المرسومة، كما أن القوى الخارجية قد استغلت أيضا تلك الحالة الأمنية المتدهورة التي عانى منها أهالي مكة في أواخر عهد الهواشم وذلك بسبب شيوع وانتشار الرعب والخوف والعز في قلوب الكثير من سكان مكة المكرمة سواء في ذلك أهلها والمهاورون بها ، لقد أصبحوا لايأمنون على أنفسهم ولاعلى أموالهم أو اعراضهم، وذلك بسبب الفساد الذي استشري بها من جراء ضعف أمراء الهواشم وانشغالهم بصراعاتهم الداخلية وعدم اهتمامهم بمصالح رعييتهم ومصالح حجاج بيت الله الحرام ، فكان من البديهي أن يتطلع أهالي مكة المكرمة الى اماراة جديدة تخلفهم من حكم تلك الاسرة وتنعذهم من ذلك الظلم والجور والهوان الذي يعيشون فيه ابان حكم الهواشم ، فلاشك في أن تلك الاوضاع المتردية بمكة قد شجعت الطامعين في اماراة مكة على التحرك وخاصة بعد أن أدركوا أن اماراة الهواشم في تلك الفترة قد أصبحت لقمة سائغة في أيديهم وهذا مادفع الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني ، الذي كان يحكم منطقة ينبع في ذلك الوقت ، الى أن يعقد العزم على التوجه الى مكة المكرمة. ولقد وصف المؤرخ تقي الدين الفاسي السبب الرئيسي الذي جعل الامير قتادة تتجه أنظاره الى الاستيلاء على مكة المكرمة فقال : "كان سبب طمعه في امرة مكة على مابلغني مابلغه من انهماك أمراءها الهواشم بنى فليحة على اللهو

(١) جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥ .

(٢) ابن عنبه : عمدة الطالبية ، ص ٢٣٩ .

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ٢٧٢/٤ .

وتبسطهم فى الظلم واعراضهم عن صونهم من يريدها بسوء
اغترارا منهم بما هم فيه من العز والعصف لمن عارضهم فى
مرادهم ، وان كان ظلما أو غيره " (١) .

ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد الذى شجع قتادة على
التوجه الى مكة والاستيلاء عليها بل كانت هناك عدة أسباب
منها :

- (١) تحقيق حلمه الذى كان ينشده ويتطلع اليه دائما وهو
توسيع رقعة امارته حتى تشمل بلاد الحجاز كلها وخاصة
المدينتين المقدستين مكة والمدينة وذلك نظرا
لاهميتهما الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية ،
ومما شجعه على التحرك لتحقيق ذلك العلم وامطاه
احساسا كبيرا بأنه قادر على تحقيق طموحاته وأحلامه هو
استيلائه على منطقة ينبع ، وعلى وادى المفسراء
وانتمصاره على قبائل الاشراف التى تحكم تلك المناطق
كبنى عيسى ، وبنى حراب ، وبنى يحيى ، وهم جميعا من
بنى الحسن بن على بن أبى طالب . (٢) (٣) (٤) (٥)

-
- (١) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩/٧-٤٠ .
 - (٢) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٥ .
 - (٣) العمامى : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٨/٤ .
 - (٤) وادى المفسراء : هو واد من أكبر أودية الحجاز يقع فى
الطريق بين مكة والمدينة ويبعد عن المدينة بـ ٥٤
كيلو متر ، ويكثر فى هذا الوادى المزارع والبساتين
المليئة بالنخيل .
 - انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤١٢/٣ ؛
البلادى : معجم معالم الحجاز ، ١٤٨/٥-١٥١ .
 - (٥) ابن فهد : غاية المرام ، ٥٥٠/١ ؛ العمامى : المصدر
السابق نفسه والمفحة نفسها .

- (٢) قوة نفوذ الأمير فتادة وكثرة أتباعه ومؤيديه الذين لمس منهم الاخلاص له والاستعداد التام لتنفيذ أوامره والوقوف الى جانبه في جميع تحركاته .^(١)
- (٣) ومن الاسباب التي جعلت الأمير فتادة تتجه أنظاره نحو مكة المكرمة تشجيع بعض القادة التابعين للأمير مكة مكثر بن عيسى وحشهم المتواصل له على الاستيلاء على بلادهم ، وكان هؤلاء القادة قد أظهروا له استياءهم وغضبهم من السياسة التي يسير عليها أمراء الهواشم ، ومن الظلم الذي أصبح صفة من صفاتهم ، ومن اعراضهم عن مواجعة أى خطر خارجي قد يداهم مكة المكرمة ، وعدم وقوفهم أمام القوى الخارجية التي باتت تتدخل في شؤون بلادهم الداخلية . فقام هؤلاء القادة بتسهيل أمر الاستيلاء على مكة للأمير فتادة وقدموا له أنجح السبل والخطط لدخول مكة المكرمة ، كما عرضوا عليه استعدادهم التام وقدموا خدماتهم الكاملة له في حربه مع الهواشم وفي المقابل فان فتادة قد شكر لهم تلك الخدمات الجليلة التي قدموها له ومناهم بالوعود الحميلة اذا تحقق له ما يريد .^(٢)
- وكان لهؤلاء القادة دور كبير وهام في الاستيلاء على مكة فقد اتفقوا مع الأمير فتادة على أنه حال دخوله لمكة

(١) الجزيرة : الدرر الفرائد ، ٥٥٧/١ ، دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٦ .
 (٢) القاسمي : العقد الثمين ، ٤٠/٧ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٥ .
 (٣) ابن قهد : اتحاف الوري ، ٥٦٦-٥٦٧ .
 (٤) جميل حرب : المرجع السابق نفسه والمصحة نفسها .

فانهم سيتخلون هم وجنودهم عن الأمير مكشر بن عيسى ومما يؤكد ذلك ماذكرته بعض المصادر من أن الأمير قتادة قد استطاع أن يدخل مكة المكرمة ويستولى عليها دون أن يجد أية مقاومة تذكر .^(١)

(٤) ومما شجع قتادة أيضا على توجهه الى مكة ادراكه موقف أهالى مكة المعارض لسياسة الهواشم وتضجرهم من الظلم الذى وجدوه من أمراء الهواشم ودعواتهم المستمرة الى أن يتخلصوا من حكم تلك الاسرة بأسرع وقت .

ولقد أدرك أهالى مكة المكرمة أن القوة الوحيدة التى سوف تخلصهم من ذلك الظلم قوة الأمير قتادة بن ادريس الحسمى الذى ذاع صيته بين قبائل الحجاز فى تلك الفترة مما دفع أحد تجار مكة الى التوجه الى الأمير قتادة شاكيا له وممثلا عن أهالى مكة ليصف له الصورة السيئة التى يعيشها سكان مكة ابان حكم الهواشم ، فقد أخبره بأنه قد سلبت منه أمواله وبضائعه بمكة المكرمة ولم يجد بها من ينمقه ويميد اليه حقوقه فقال له قتادة : "إذا كان موسم العام المقبل فائتني بمكة تجد متاعك والنمقة فشكره الرجل على ذلك" .^(٢)

فصمم قتادة بعد ذلك على انصاف ذلك المظلوم والاستيلاء على مكة . فكانت بداية تحركاته نحوها أنه اجتمع بكبار قواده

(١) محمد بن على بن عبد الله الحسمى الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن وولاية قتادة ، مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ١٠ ، ٢٩/١-٣٠ .
(٢) ابن قهد : المصدر السابق نفسه ، ص ٣٦ .
(٣) الطبرى : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
(٤) المصدر نفسه والمفحة نفسها .

وأصحابه ومستشاريه وأظهر لهم عزمه وإصراره على محاربة
الهواشم والاستيلاء على مكة واستشارهم فى ذلك وقال لهم :
"خطر ببالى أخذ مكة فان ولائها جاروا وظلموا فأجابوه جميعا
بالسمع والطاعة وقالوا نحن منقادون لما تأمرنا به " .^(١)

وهكذا وجد الأمير قتادة التأييد لتام من قومه الا
أنهم قد اشتكوا اليه قلة مابأيديهم من خيل ومؤن وسلاح ولكن
قتادة كان رجلا شريفا لذلك فقد تكفل بتجهيز قومه بكل
مايريدونه من مستلزمات القتال ، كما أنه قام باستمالة بعض
القبائل المجاورة له كقبيلة بنى ابراهيم ، وبنى أحمد ،
وبنى مطاعن ، فزحف بهم جميعا نحو مكة المكرمة وذلك سنة
٥٩٧هـ / ١٢٠٠م وكانت مكة فى تلك لفترة بحكمها الأمير مكث
ابن عيسى الذى رأى خطورة الموقف وأدرك أنه لا يستطيع مواجهة^(٢)

-
- (١) الطبرى : الممدر السابق نفسه والمصفحة نفسها .
(٢) الممدر نفسه والمصفحة نفسها : جميل حرب : الحجاز
والبحرين ، ص ٣٦ .
(٣) العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٢٠٨/٤ .
(٤) أطلق اسم بنى ابراهيم على قبائل جهينة التى تسكن فى
شمال غرب المملكة العربية السعودية ، ويذكر الجاسر
بأن ذلك الاسم فى الواقع يطلق على فخذ من قبيلة جهينة
وليس اسم للقبيلة كلها . انظر :
حسين بن سرحان : قبيلة جهينة (مجلة العرب ، ج ١٢ ،
السنة الثانية جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ / ١٣٨٨هـ ،
ص ١١١٢-١١١٣ .
(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، ٢٧٢/٤ .
(٦) السنجارى : مناخ الكرم ، ٢٧٩-٢٧٦/١ .
ولقد أورد ابن عذبة رواية انفرد بها عن بعيرة
المؤرخين حيث ذكر بأن دخول قتادة الى مكة كان فى عهد
الأمير منصور بن داود بن عيسى الذى أطاح بحكم عمه
مكش وأجلاه عن مكة واستولى على إمارتها سنة ٥٩٣هـ /
١١٩٦م ولم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها مايدعم
تلك الرواية .
انظر ابن عذبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٧ .

(١)
قوات قتادة التى كانت تفوق قواته عددا وعدة ، لذلك فقد
فُتِلَ الحرب عن مكة خوفا على نفسه وأهله ، أما قتادة ورجاله
فقد استطاعوا الدخول الى مكة ولم يجدوا أى صعوبة أو عائق
أمامهم فى الاستيلاء عليها ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الفاسى
من قوله : "وتحضر قتادة الى مكة فى جماعة من قومه ، فما
شعر به أهل مكة ، الا وهو بها معهم ، وولاتهم على ما هم فيه
من الانهماك فى اللهو ، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة فملكها
(٢)
دونهم " .

وهناك رواية أخرى فى قصة استيلاء الأمير قتادة بن
ادريس الحسمى على مكة المكرمة ، وقد انفرد بهذه الرواية
(٤)
بعض المؤرخين حيث ذكروا أن قتادة قد دخل مكة فى السابع
والعشرين من رجب سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م وكان دخوله اليها فى
الوقت الذى كان فيه الأمير مكثرا قد خرج هو وأتباعه الى
(٥)
التنعيم لاداء عمرة الاكمسة وذلك اتباعا لعمرة

-
- (١) الفاسى : العقيد الثمين ، ٣٩/٧ - ٤٠ : العصامى : سمط
النجوم العوالى ، ٢٠٨/٤ .
(٢) الجزيرى : الدرر ، ٥٧٧/١ .
(٣) الفاسى : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
(٤) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ٢٩/١ - ٣٠ : أيوب مبرى
باشا : مرآة جزيرة العرب ، ٩٢/١ - ٩٣ .
(٥) التنعيم : هو المكان الذى يحرم منه من أراد العمرة
حيث يوجد به مسجد عائشة رضى الله عنها وسمى التنعيم
لأن الجبل الذى عن يمينه يقال له نعيم والذى عن يساره
يقال له ناعم ، ويقع التنعيم على بعد ٦ كيلو متر
شمالا من المسجد الحرام على طريق المدينة المنورة
وأصبح التنعيم اليوم حيا من أحياء مكة الجميلة ويعرف
بـ بحي العمرة .
انظر : الحسين بن محمد الورثيلانى : الرحلة الورثيلانية
٢٤ ، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ٣٨٤ : البلادى : معالم
مكة التاريخية ، ص ٥٠ - ٥١ .

(١)
عبد الله بن الزبير ، فاستغل قتادة تلك الفرصة ودخل مكة
واستولى عليها ، وكان هذه الرواية قد خالفها المؤرخ
العمامي حيث ذكر أنه لم يجد لها أى أصل فى الكتب التى رجع
اليها . (٢)

وقد اختلفت الروايات التاريخية أيضا حول السنة التى
استولى فيها قتادة على مكة فذكر بعض المؤرخين أن دخوله
اليها كان فى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ، وذهب آخرون الى أن ذلك قد
تم سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م . كما أن بعض المؤرخين قد أرخ ذلك
الحدث سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م . (٣)
(٤)
(٥)

(٦)
ولقد ذكر بعض لمؤرخين أن الذى دخل مكة واستولى
عليها ليس قتادة وإنما هو ابنه حنظلة حيث ذكروا أن الأمير
قتادة قد أسند الى ابنه حنظلة مهمة قيادة الجيوش والاتحاح

-
- (١) هذه العمرة قام بها عبد الله بن الزبير فى مثل ذلك
اليوم حيث خرج الى التنعيم بعد أن فرغ من بناء
العمرة المشرفة فبقيت تلك العمرة عادة دينية عند
أهالى مكة فى مثل ذلك اليوم . انظر :
ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٤-١١٥ ؛ باشا : مرآة حزيمة
العرب ، ٩٢/١-٩٣ .
ولمزيد من الايضاح حول تلك العادة الدينية انظر الفصل
الرابع ، ص ٣٠٠ .
- (٢) العمامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٠٧/٤ .
- (٣) بن عتبة : عمدة الطالب ، ص ٢٣٩ ؛ الفاسى : العقد
الشمين ، ١٧٣/١ ؛ السنجارى : مناجى الكرم ، ٢٧٩/١ ،
المباغ : تحصيل المرام ، ص ٢١٩ .
- (٤) قاسم بن يوسف التجيبى السبتي : مستفاد الرحلة
والاغتراب ، ص ٣٠٥ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، ٤٩٤/٣ ؛
الفلقشندى : مآثر الانافة ، ٦٦/٢ ؛ ابن العماد
الحنبلى : شذرات الذهب ، ٣٢٣/٤ .
- (٥) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ص ١٦٢ ؛
الطبرى : اتحاف قلاء الزمن ، ٢٩/١-٣٠ .
- (٦) المقرئى : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ؛
القوصى : تجارة مصر ، ص ١٦٦ .

الى مكة فاستطاع حنظلة أن يدخل مكة ويستولى عليها .
والحقيقة التي أجمع عليها المؤرخون هو أن قتادة هو الذى
قاد لجيوش بنفسه واستولى على مكة فذكر الفاسى قصة دخول
قتادة الى مكة فقال : "فما شعر به أهل مكة الا وهو بها
معهم" (١) ، كما أن المؤرخ الطبرى ذكر أن قتادة دخل مكة من
أعلاها ففر مكثرا الى وادى نخلة ، وقد نص المؤرخ ابن خلدون
بمراحة على أن انقضاء حكم الهواشم على مكة كان على يد
الأمير قتادة الحسنى ، وبذلك ينتفى الشك فى ذلك ولكن يمكن
القول بأنه ربما كان قتادة قد أوكل الى ابنه حنظلة قيادة
بعض الفرق العسكرية المتجهة الى مكة ، أو ربما يكون قد
التبس الأمر عليهم بين ذلك وبين قصة محاربة حنظلة للأمير
محمد بن مكثر الذى عقد العزم على استرجاع ملك آبائه
وأجداده من الأمير قتادة فقام سنة ٦١٠هـ / ١٢٠٣م بالتحالف مع
أمير المدينة سالم بن قاسم الحسينى الذى كان هو الآخر قد
خشى على أمارته من الزوال، وكان معارضا وغير راض عن سلب
قتادة لحكم الهواشم. فتحالف هذان الأميران وقاما بمراقبة
وترصد جميع تحركات الأمير قتادة. وذلك فى محاولة منهم
لاستغلال أية فرصة للانقضاء عليه وإعادة حكم الهواشم على مكة .
فجاءتهم الأخبار بأن قتادة بنوى التوجه الى ينبع عندئذ

-
- (١) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩/٧ - ٤٠ .
(٢) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ٢٩/١ - ٣٠ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ .
(٤) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٦-٣٧ .
(٥) الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكي ، ص ٩٠-٩٥ .
(٦) جميل حرب : المراجع الحديث نفسه ، ص ٣٧ .
القوسى : تجارة مصر ، ص ١٦٦ .

فاما بنحريش بعض قبائل الاشراف الفاطنة على الطريق المؤدى الى ينبع، كقبيلة بنى يحيى وغيرها، على قتل قتادة. ولما فشلت محاولة قتل قتادة قام هذا الأميران بتجهيز قوة كبيرة هاجما بها مكة المكرمة. عندئذ أصدر الأمير حنظلة، الذي كان نائباً عن أبيه في إمارة مكة، وأمره الى قائده الشريف بن هاشم لتمدّد لقوات الأمير محمد بن مكشور فتقابل الطرفان عند موقع يعرف بالمتكأ فجرت بينهما معركة كبيرة كان النصر فيها لقوات حنظلة التي استطاعت أن تقتل الأمير محمد بن مكشور ومعه ثلاثون شخصاً من كبار قواده وأتباعه فتفرق جيش محمد بن مكشور وولى هارباً .

ولم تكن لأمراء الهواشم بعد تلك المعركة أية محاولة

- (١) ابن الحسين : غاية الأمانى ، ٣٦٢/١ - ٣٦٣ .
- (٢) ابن الحسين : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .
- (٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩/٧ - ٤٠ ؛ جسيميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٣٧ .
- والمتكأ : هو المكان الذى يتكأ فيه الإنسان ، وهو يقع فى شعب أجباد الصغير الملاصق لجبل أبى قبيس ، والمتكأ أو المتكأ معروف عند أهل مكة اليوم فى شعب أجباد الصغير ويرعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اتكأ فى ذلك المكان ، ويطلق الأزرقى اسم المتكأ على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقع فى أجباد ، ولكن التجيبي يذكر فى رحلته أن المتكأ يطلق على مسجد يقع فى طريق التنعيم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جلس قرب ذلك المكان مستريحاً عند عودته من العمرة . انظر :
- الأزرقى : أخبار مكة ، ٢٩٠/٢ ؛ البلاذى : معجم معالم الحجاز ، ٢٣٢/٦ ؛ الجاسر : مكة المكرمة فى القرن السابع كما فى رحلة التجيبي الاندلسي (مجلة العرب ج ١ - ٢ ، ص ١١ ، رجب ، شعبان ١٣٩٦هـ) ، ص ٦٥ .
- (٤) ابن الحسين : المصدر السابق ، ٣٦٢/١ - ٣٦٣ ؛ ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٢٣٩ .

لاسترجاع امارتهم على مكة ، فاستتبّت الامور بعد ذلك للامير
 قتادة الذي أخذ يوسع نفوذ امارته التي امتدت من بلاد ينبع
 شمالا حتى حلى والقنفذة على حدود اليمن جنوبا ، كما أنه قد
 ضم أيضا بلاد الطائف الى امارته بعد أن خاض معارك عنيفة جرت
 بينه وبين قبائل ثقيف ، واستولى كذلك على بعض مناطق من
 نجد وضمها الى امارته .^(١)

ودارت بينه وبين الحسينيين حكام المدينة عدة معارك
 وذلك بغية الاستيلاء عليها ولكنه فشل في تحقيق ذلك .^(٢)

واستمر قتادة يحكم مكة حتى وفاته سنة ١٦١٧هـ / ١٢٢٠م
 فخلفه أبناؤه من بعده واستمرت الامارة في أيديهم حتى نهاية
 حكم الاشراف بمكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م على يد المغفور
 له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه^(٣)

-
- (١) جميل حرب : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
 (٢) أبو الفدا : المختصر ، ١٣٠/٣ ، الفاسي : العقد
 الثمين ، ١٧٣/١ ، أحمد شلبي : موسوعة التاريخ
 والحفارة الاسلامية ، ٢٠٨/٧ .
 (٣) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٧ .
 (٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، ٢٧٢/٤ .
 (٥) الفاسي : المصدر السابق نفسه ، ٤٠-٣٩/٧ .
 (٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٩/٦ .
 (٧) ابن خلدون : العبر ، ١١٣/٤ .
 (٨) السباعي : تاريخ مكة ، ٦٤٠/٢ ، المالكي : بلاد الحجاز
 ص ٥٠ .

الفصل الرابع

أثر العلاقات الخارجية على النواحي العامة بمكة المكرمة

(أ) أثر العلاقات على الحياة الاقتصادية
بمكة المكرمة .

(ب) أثر العلاقات على الحياة الاجتماعية
بمكة المكرمة .

(ج) أثر العلاقات على الحياة العلمية والثقافية
بمكة المكرمة .

(أ) أثر العلاقات على الحياة الاقتصادية

- * الموقع الجغرافي لمكة المكرمة وأثره على الناحية الاقتصادية .
- * التجارة بمكة وأثر العلاقات على توافد التجار إلى مكة .
- * الزراعة والصناعة بمكة المكرمة .
- * المرائب والمكوس التي فرضها أمراء الهواشم على الحجاج والتجار وأثرها على حياة الاقتصادية بمكة المكرمة .

الموقع الجغرافى لمكة المكرمة وأثره على الناحية الاقتصادية

كان للموقع الجغرافى الذى كانت تتمتع به مكة المكرمة أثر عظيم على نشاطها التجارى ، فقد كانت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من اليمن والمتجهة الى الشام أو العكس ، وكانت مكة المكرمة من أهم المراكز التجارية فى شبه الجزيرة العربية فى القرن السادس الهجرى ، حيث أشار الرحالة ابن جبير الى تلك الأهمية بقوله : "والطريق اليها ملتقى المادار والوارد" لذلك كانت مكة محطة تجارية تتزود منها القوافل التجارية بالماء والمؤن والبضائع ثم تتابع تلك القوافل سيرها شمالا أو جنوبا .^(٢)

ومما ساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية بمكة قدوم مئات الآلاف من المسلمين اليها كل عام لاداء فريضة الحج والعمرة ، فكان لهؤلاء الحجاج دور كبير فى تنشيط حركة البيع والشراء فى أسواقها ، ومما زاد قى أهميتها الاقتصادية أيضا موقعها القريب من ميناء جدة الواقع على ساحل البحر الأحمر الذى يبعد عن مكة أربعين ميلا فقط من جهة

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٦-٩٧ ، باقاسى : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبي ، ص ٦١ .

(٢) ابن جبير : الممدر نفسه ، ص ٩٧ ، قريال عبد المجيد الشريف : مكة كما جاءت فى كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٩٥ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٢٢/١٠ ، ابن جدير : المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها ، على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١٥٩ .

(١) الغرب ، وكان ميناء جدة يستقبل أعدادا كثيرة من المراكب التجارية القادمة من موانئ ممر والحبشة والهند والصين (٢) واليمن .

وهكذا كان للموقع الجغرافي الذي تمتعت به مكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم أثر كبير في حرص الخلافة الفاطمية على فرض سيادتها ونفوذها على مكة المكرمة لأن الفاطميين كانوا حريصين على حماية مصالحهم التجارية في البحر الأحمر الذي تتحكم إمارة مكة في ساحله الشرقي . (٣)

وقد نجح الفاطميون في تحويل تجارة الشرق الأقصى من الخليج العربي إلى البحر الأحمر سعيا وراء هدف واحد هو إضعاف الخلافة العباسية من الناحية الاقتصادية ، وذلك مما يؤثر بالطبع على سيادة العباسيين على بلاد الحجاز .

لذلك باتت أهمية مكة الاقتصادية واضحة ، وأصبحت لها علاقات اقتصادية مع كثير من البلدان الإسلامية في تلك الفترة . (٥) ولقد اهتم أمراء مكة بمدينة جدة اهتماما كبيرا وذلك بسبب قربها من مكة ولمركزها المرموق في التجارة الدولية ، هذا إضافة إلى أهميتها كبوابة لبلاد الحجاز مامة بالنسبة

-
- (١) السبتي : مستفاد الرحلة والاعتراب ، ص ٢١٨ .
 (٢) السبتي : نفس المصدر السابق والمفحة ؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس ، باريس ١٨٨٩م .
 ص ١٤ .
 (٣) القوصي : تجارة ممر في البحر الأحمر ، ص ١٠٨ .
 (٤) حسنين ربيع : بحر الحجاز في العمور الوسطى ، ص ٤٠١-٤٠٢ .
 (٥) السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٥٧ .

(١)

للقادمين اليه من مصر و افريقيا والمغرب وبلاد السودان .

ولقد كانت مدينة جدة فسى تلك الفترة تابعة لأمرأء
الهواشم الذين كانوا يعينون عليها نائباً لهم تكون مهمته
مقصورة على ادارة أحوال البلاد ، وتحصيل المكوس من الحجاج
والتجار ، واستقبال كبار الشخصيات الاسلامية القادمة الى
مكة عن طريق ميناء جدة ، فقد ذكر ابن جببر فى رحلته أن
نائب الأمير مكثر بن عيسى القائد على بن موفق قد استقبله^(٢)
حال وصوله الى جدة وأسكنه فى داره عدة أيام حتى غادرها
الى مكة المكرمة .^(٣)

وكانت تصل الى جدة جميع أنواع البضائع القادمة من
شتى الاقاليم الاسلامية ، وخاصة فى موسم الحج حيث تزداد
مواردها المالية فتتسع بها حركة البيع والشراء ، وتزدهر
أسواقها ، وتعقد فيها الصفقات التجارية الكبرى ، ويكثر
القادمون اليها والخارجون منها فيستفيد أهلها من ذلك^(٤)
استفادة كبيرة ، وفى خاناتها كان يسكن الحجاج والتجار ،
ومن أسواقها كانت تشتري البضائع الثمينة والذخائر النفيسة
التي تجلب اليها من شتى بلدان العالم .

ومما يؤكد مدى الأهمية التجارية التي كانت تتمتع بها
مدينة جدة التابعة لامارة مكة فى عهد الهواشم ، هو ماورد

-
- (١) ريتشارد مورتييل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة ،
ص ١٧٥ .
(٢) لم أجد له ترجمة فى المصادر التي تم الاطلاع عليها .
(٣) ابن جببر : الرحلة ، ص ٥٢-٥٧ .
(٤) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩٢-١٩٣ .

(١) فى وثائق الجنيزة من أن تجار المغرب والاندلس كانوا يبيعون بضائعهم كالحريير والنحاس وغيرها من منتجات بلادهم فى مصر والشام، ولكن اذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحا أو سواق رائجة لتصرف بضائعهم فيها فسرعان مايتجهون بتلك البضائع الى ميناء جدة لتصرفها هناك . (٢)

ثم ننقل بعض هذه البضائع من جدة الى مكة المكرمة لتباع فى أسواقها العامة التى يفد اليها التجار من جميع الاقطار وهم يحملون معهم شتى أنواع البضائع والمنتجات المتنوعة فى بلدانهم فيبيع هؤلاء التجار بأسواق مكة

(١) وثائق الجنيزة : هى عبارة عن خطابات أرسلت من عدن وجدة وغيرها من موانئ الجزيرة العربية الى المدن المصرية أو العكس ، وقد وصلت هذه الوثائق الى مجموعة وثائق مهمة أصبحت مصدرا لمن يريد دراسة تجارة مصر فى البحر الأحمر والمحيط الهندى فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية . وقد حفظت هذه الوثائق فى حجرة الجنيزة التى يحتفظ فيها اليهود بأوراقهم الخاصة لذلك سميت هذه الوثائق باسم تلك الحجرة ، ولقد أطلق الباحثون مصطلح وثائق الجنيزة القاهرية على مجموعة الوثائق التى عثر عليها فى حجرة مظلمة فى سيناجوج (معبد اليهود) بالقسطة ، كما أطلقت أيضا على مجموعة وثائق عثر عليها فى مقبرة البساتين قرب القاهرة ، ويُقدّر عدد هذه الوثائق الموجودة الآن حوالى عشرة آلاف وثيقة ، وهى متفرقة فى مكاتب العالم ، وكانت هذه الوثائق تحتوى على خطابات وقوائم حسابات وموارد مالية متنوعة وإيجارات دور وحوانيت وأثمان السلع والمتاجر المختلفة . انظر : حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانئ الحجاز واليمن فى العصور الوسطى (ضمن مجموعة الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فى ٥ - ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ - ٢٤ ، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ١٣١-١٣٢ ؛ القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٨٤ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٢، ١٨١ .

(٢) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

مايجلبونه معهم من بلادهم ويشترون منها مايجدونه رائجاً في أسواق بلادهم ، ولقد وصف لنا الرحالة ابن جبير الحالة الاقتصادية التي تمتعت بها مكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم حيث قال : "إنها كانت ملتقى للصادر والوارد وملقى لأهل المشرق والمغرب من المسلمين فالثمرات تجبى إليها من كل مكان ، فهي أكثر البلدان نعماً وفواكه ومنافع (١) ومراقق ومتاجر " .

أما عن الأسواق التجارية بمكة فقد كان بها عدة أسواق فمن أهمها السوق المعروف بسوق المسعى الذى كان يعتبر من أكبر وأهم الأسواق التجارية بمكة حيث كان يمتد على جانبي المفا والمروة . (٢)

وكانت تكثر على جانبيه حوانيت الباعة ، ولكن مما يلاحظ على تلك السوق هو عدم التنظيم ، فقد كان الساعون بين المفا والمروة يجدون صعوبة بالغة فى السعى وذلك بسبب كثرة الزحام فى ذلك السوق ، وكان يباع فى تلك السوق جميع أنواع البضائع الواردة من الشرق والغرب ، كالجواهر ، والذخائر النفيسة ، والأحجار الكريمة كما يباع فيها أيضاً جميع أنواع الطيب كالمسك ، والكافور ، والعنبر ، والعود ، والعقاقير الهندية وغير ذلك مما هو محبوب من الهند والحبشة وغيرها

-
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٦-٩٧ .
 (٢) خسرو : سفرنامه ، ص ١٢١-١٢٢ ، ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٨٥ ، أبى عبد الله محمد بن محمد العبدري : الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسى ، الرباط ١٩٦٨م ص ١٧٦ .
 (٣) ابن جبير : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ، العبدري : نفس المصدر السابق والمفحة .

(١) من البلدان كاليمن والعراق وخراسان والمغرب ، وبيع فيها أيضا جميع أنواع الخضروات والفواكه والحبوب واللحوم والتمور وسائر المواد الغذائية .^(٢)

وكسنت توجد بمكة أيضا أسواق تجارية اختصت ببيع سلع معينة كسوق العطارين ، الذي اختص ببيع جميع أنواع العطاراة على اختلاف أنواعها ، وسوق البزازين الذي اختص ببيع الأقمشة والنسيج ، وسوق الحجامين ، والحدادين ، وسوق الحطب ، وسوق السورّاقين ، وسوق الغنم وغير ذلك من الأسواق الملتشرة بأحياء مكة المكرمة في تلك الفترة .^(٣)

كما كانت توجد بمكة المكرمة سوقا تعرف بسوق ابن يزيد حيث ذكر أبو عبيد البكري أن رجلا عمانيا قدم الى مكة وباع بها في سوق ابن يزيد لؤلؤتين لم ير مثلهما وقد باعها بألفي دينار من الذهب .^(٤)

فربما يكون ذلك السوق كان مخصصا لبيع المجوهرات والاحجار الكريمة . أما عن سبب تسميته بذلك الاسم فلم

-
- (١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٩٦-٩٧ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٣٧-١٣٨ .
 (٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٨٥ .
 (٣) خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٣ ؛ الفاسي : العقد الشمين ، ١٣٣-١٣٢/٢ .
 (٤) شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٧ ، ليدن ١٩٠٦م ، ص ١٠٢ ؛ سعاد ابراهيم الحسن : النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٢٧١ .
 (٥) الأزرقى : أخبصار مكسة ، ٢٠١/٢ ، ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٣ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ، ٤١٨/١ .
 (٦) البكري : جزيرة العرب من كتاب الممالك والممالك ، تحقيق عبد الله الغنيم ، ص ٣٦ .

تسعفنا المصادر في ذلك ولكن يبدو أنه سمى بذلك نسبة الى أحد التجار المشهورين به في تلك الفترة .

وكانت تقام بالمشاعر المقدسة ، كمنى وعرفات ومزدلفة أثناء وجود الحجاج بها أسواقا تجارية تباع فيها شتى أنواع البضائع التي يجلبها الحجاج معهم من بلادهم كما يباع فيها جميع ما يحتاجه حجاج بيت الله الحرام في تلك الفترة من أطعمة ومواد غذائية وهدايا يحملونها معهم الى أهلهم وذويهم عند عودتهم الى بلادهم .

فلقد سجلت الاسواق الموسمية في منى وعرفة نشاطا تجاريا ملحوظا فالتجمع الاسلامي الكبير كان يماحبه دائما حركة هامة ونشطة في البيع والشراء ، ففي هذه الاسواق الموسمية كان يلتقى عدد غفير من التجار والوكلاء وغيرهم ، وتعد فيها الصفقات التجارية الكبرى .^(١)

فهذه الاسواق التجارية الموجودة بمكة سواء الشاذلية بها أو الموسمية توضح لنا طبيعة الحركة التجارية الهائلة فيها . فالاسواق المتخصصة بتجارة العطاراة والبخور كانت تعج بشتى أنواع التوابل والعقاقير الطبية والعطور المختلفة ، والاسواق المتخصصة ببيع النسيج كانت تمتلئ بمختلف المعروضات من شتى أنواع الاقمشة والسجاجيد الفارسية الفاخرة .^(٢)

-
- (١) العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٨٥ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٣٧-١٣٨ .
 (٢) سعاد الحسن : النشاط التجاري في مكة في العصر المملوكي ، ص ٢٧٨-٢٨٠ .
 (٣) سعاد الحسن : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨٠ .

وكانت هناك صلات وعلاقات تجارية واقتصادية بين تجار مكة وتجار العراق ومصر واليمن ، وتزداد هذه الصلات نشاطا فى مواسم الحج والعمرة ، وكانت قوافل التجار من العراق والشام تتردد باستمرار على مكة المكرمة .^(١)

ومما لاشك فيه أن رحلات الحج التى كان يقوم بها المسلمون من شتى أقطار العالم الإسلامى قد زادت من حجم التجارة الأمر الذى دفع الخلافة العباسية الى أن تهتم بتنظيم الطرق وخاصة الطرق التى تربط عاصمتها بغداد بمكة المكرمة .^(٢)

وكان لمكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم علاقات اقتصادية وتجارية مع بلاد اليمن حيث كانت معظم المواد الغذائية ترد الى مكة من بلاد السراة وأهلها من القبائل اليمنية الموالية لمكة المكرمة كقبيلة بجيلة وغامد وزهران وغيرهم والذين عرفوا بتلك الفترة باسم قبائل السرو ، ولقد كان أهالى مكة المكرمة يستبشرون بقدوم تلك القبائل الى بلادهم وذلك ليحصلوا منهم على جميع مايريدونه من الأطعمة التى يجلبونها معهم كالحنطة والشعير والقمح والسمن والعسل والزبيب الأحمر والأسود واللوز وغيرها من المواد الغذائية والتى كانوا يبيعونها لأهالى مكة ومجاوريها ولكنهم كانوا

-
- (١) حسين على المسرى : تجارة العراق فى العصر العباسى ، الكويت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٧٧ .
 (٢) المسرى : نفس المرجع ، ص ٣٨١ .
 (٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٠ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٦ .
 (٤) سبق تعريف هذه القبائل فى الفصل الأول ص ٧١ ، حاشية (١) .
 (٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٨/٢ .

لا يبيعون ذلك بدراهم أو دنانير وإنما كانوا يأخذون بدلا منها الاقمشة والعباءات والشمل والملاحف المتان التي اعتاد أهالي مكة تجهيزها لهم .^(١)

والحقيقة أن أهالي مكة المكرمة في تلك الفترة قد اعتمدوا في وارداتهم من المواد الغذائية على تلك القبائل كما اعتمدوا على تجار العراق في الحصول على الدنانير الذهبية ، فيروى لنا ابن المجاور أن أهل مكة كانوا يقولون عن حجاج العراق وحجاج اليمن "حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منهم القوت" .^(٢)

وكانت مكة المكرمة أيضا تربطها بمصر في عهد الخلافة الفاطمية روابط اقتصادية قوية إذ كان أهالي مكة المكرمة وتجارها يعتمدون اعتمادا كبيرا على التجار المصريين القادمين من بلاد مصر . ومما يؤكد ذلك القول تلك الآثار الاقتصادية السيئة التي تعيشها مكة المكرمة وقت توقف قدوم التجار المصريين إليها إما بسبب ظروف بلادهم الاقتصادية ، أو بسبب سوء علاقة أمراء مكة الهواشم بالدولة الفاطمية ، فيظهر أثر ذلك التوقف على تدهور الناحية الاقتصادية بمكة المكرمة .^(٣)

ولقد أدرك الخلفاء الفاطميون مدى أهمية وصول الحجاج والتجار المصريين إلى مكة فأصبحوا يسامون بهم أمراء

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١١٠ .
(٢) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة ، ص ٢٧ ؛ الزيلعي مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٧ .
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٢٩/٢ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٢٢/١١ ؛ الجزيرة : الدرر الفرائد ، ٥٦٧/١ .

الهواشم وذلك ليقيموا لهم الخطبة على منابر مكة المكرمة فإذا رفض أحد هؤلاء الأمراء قبول السيادة الفاطمية فانه سمرمان ما يصدر الخليفة الفاطمي أمرا يمنع فيه السفر الى مكة المكرمة لأي غرض سواء كان تجاريا أو دينيا . وهذا مما (١) يؤثر بالطبع على أوضاع مكة الاقتصادية ، كما أنه كان لسوء علاقة أمراء الهواشم بالمليحيين في بعض الفترات أثر على تردى الأوضاع الاقتصادية داخل مكة المكرمة ، فقد كان أمير اليمن على بن محمد المليحي يدرك تمام الإدراك مدى الأهمية الاقتصادية التي كانت تلعبها قبائل السرو في أسواق مكة المكرمة لأنه كان يعلم أن عدم قدوم هذه القبائل اليمنية الى مكة يعنى عدم وصول المواد الغذائية اليها والتي عادة ما يحملها هؤلاء معهم أثناء قدومهم الى مكة لاداء فريضة الحج أو العمرة .

فأراد المليحي أن يستغل ذلك في تحقيق مصالحه وأهدافه السياسية . فتذكر بعض المصادر أن المليحي حينما علم بخروج أمير مكة محمد بن جعفر عن طاعة الفاطميين سنة ٤٥٨هـ / (٢) ١٠٦٥م أصدر قراره الذى يقضى بعدم سفر الحجاج والتجار (٣) اليمنيين الى مكة . فظهر أثر ذلك القرار على تردى الأوضاع الاقتصادية بمكة المكرمة في تلك الفترة ، حيث انعدمت بها (٤)

-
- (١) المقرئى : اتحاف الحنفاء ، ٩٠/٢ .
 (٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ ، راجع الفصل الثانى ١٦٤ .
 (٣) الرشيدى : حسن المفا والابتهاج ، ص ١١٤ .
 (٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ، ٤٧٠/٢ .

(١)
 المؤن وارتفعت أسعار السلع فى أسواقها ، وخاصة أسعار
 المواد الغذائية التى كانت تستورد من بلاد اليمن .
 وقد نشطت حركة البيع والشراء بمكة المكرمة وقامت بها
 حركة استيراد وتمدير واسعة النطاق بينها وبين كثير من
 البلدان الإسلامية ، فكانت أهم السلع الواردة الى مكة هى
 التوابل كالقفل ، والقرنفل ، والقرفة (الدارسينى) ،
 والزنجبيل ، والكافور ، والعود الهندى ، والزعفران ،
 والبحار ، وجميع أنواع التوابل الأخرى التى اعتاد تجار
 الكارمية جلبها الى ميناء جدة ومن ثم نقلها الى مكة
 المكرمة لتباع فى أسواقها ، لأن تجار الكارم يعتبرون مكة

-
- (١) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٤٠/١ ، ابن فهد : غاية المرام ، ٥١٠/١ .
 (٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٩٢ .
 (٣) القوسى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١٠٣ ، باقاسى بلاد الحجاز ، ص ٦٨ .
 (٤) تجار الكارمية : هم فئة من التجار تخصصوا فى تجارة التوابل ، وكانت مدن مركزا لتجارة الكارم وذلك طوال العصر الفاطمى ، حيث أن توابل الهند كانت تصل الى عدن ومنها تصدر الى بقية الموانئ كميناء جدة وعيذاب وغيرها . أما عن سبب إطلاق ذلك الاسم على هؤلاء التجار فقد اختلف المؤرخون به فالبعض ذكر أن كلمة الكارمية مأخوذة من الكارم وهى منطقة فى السودان الغربى وأن هذا الاسم قد انتشر بين من اشتغل بتجارة البحار ، وبعضهم نسبها الى كلمة كاريام وهى كلمة هندية معناها الأعمال والاشغال ، كما نسبها بعضهم الى كلمتين وهما "كار" بمعنى الحرفة أو العمل أو التجارة و "يم" معناها المحيط أو البحر ثم سقط حرف الياء من كارييم فأصبحت كارم فيصبح معنى الكلمة حسب ذلك التفسير هو حرفة التجارة فى البحار ، كما ذكر البعض أن كلمة الكارم تعنى العنبر الأصفر ، وكيفما كان الأمر فإن ذلك الاسم أطلق على تجار التوابل والبحار وسمى تجارها بالكارم أو الكارمية . انظر :
 محى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى (المجلة التاريخية المصرية مجلد ٤ ، عدد ٢ ، ١٩٥٢م) ، ص ٧٠٦ ، ٥ : القوسى : المرجع السابق ، ص ١٠٠-١٠١ .

(١)

من أهم مراكزهم للاستثمار والاتجار على أوسع نطاق .

وكانت ترد الى مكة أيضا المواد الغذائية والمحصولات الزراعية ، والجلود ، والثياب ، والملاحف القطنية ، والصمغ العربى ، والمواد التى تدخل فى صناعة الألوان كالورس الذى يستخدم فى صباغة الملابس ، ويستخدم أيضا كمادة للتجميل تستخدمه النساء فى تلك الفترة . كما كان يرد الى مكة كثير من منتجات بلاد الشام ومصر كالزيتون ، والفلال ، ولاصباغ ، والمنسوجات وغير ذلك من البضائع الثمينة التى تجد لها رواجاً فى أسواق مكة المكرمة .

(٤)

ولم تكن هذه هى البضائع الوحيدة التى كانت ترد الى مكة بل انه كان يرد اليها كثير من المنتجات الهندية والحبشية والعراقية والخراسانية والمغربية والأندلسية ، وقد وصف ابن جبير ذلك بقوله : "فما على الأرض سلعة من السلع ولا ذخيرة من الذخائر الا وهى موجودة فيها مدة الموسم (٥) فهذه بركة لاخفاء بها وآبة من آياتها التى خصها الله بها".

-
- (١) مبحى لبيب : نفس المرجع السابق ، ص ١٩ .
 (٢) الورس : نبات كالمشمم أصفر اللون يزرع فى اليمن ويبقى بعد زراعته عشرين سنة نافع للكف طلاء ، وللبهق شرباً ، وينبت أيضا فى بلاد الحبشة ولكنه أقل جودة من ورس اليمن ، ويتخذ منه الاصباغ التى تضعها النساء على وجوهها ، كما تمبغ بها الملابس لتعطيها اللون الأصفر . انظر : مجد الدين الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ط ٣ ، القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م ، ٢٥٧/٢ ؛ البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ، ص ١١٩ .
 (٣) البكرى : المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٦-١٢٧ .
 (٤) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ٤٦-٤٧ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٩٥-٩٦ .
 (٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .

ولقد كان هؤلاء التجار الذين يفدون الى مكة يعودون الى بلادهم وهم محملون بكثير من البضائع التى وجدوها بأسواق مكة المكرمة حيث كانوا يشترون مايرونها رائجا فى أسواقهم ويحرصون على شراء شيلان الكشمير وثياب المسلمين المنسوبة الى الموصل والاقمشة الفاخرة التى ترد الى ميناء جدة حيث يتم توزيعها وبيعها بمكة المكرمة .

وكانت القوافل التجارية تحمل عند عودتها من مكة السنن المكى الذى كان يستخدم فى صبغة الشعر حيث يقوم النساء بخلطه بالحناء فيعطى اللون الاسود لشعر المرأة . وقد كانت هذه القوافل التجارية العائدة من مكة تحدث تغيرات فى الأسواق الدولية فلقد ورد فى وثائق الجنييزة نصائح من كبار التجار لشركائهم فى بعض البلدان بعدم التسرع فى شراء بضائعهم ومتاجرهم حتى يعود التجار من مكة بعد موسم الحج من كل عام ، حيث تكثر البضائع التى يجلبها التجار معهم من مكة وذلك مما يؤدى بدوره الى رخص أسعار هذه البضائع فى البلدان الأخرى . فهذا يدل دلالة واسعة على مدى الأهمية التجارية التى كانت تتمتع بها مكة المكرمة فى عهد أمراء الهواشم .^(٤)

-
- (١) السنن المكى : هو نبات كانه الحناء ، له زهر مائل الى الزرقة وحبه مقرطع الى الطول ، ومنه نوع عريض الأوراق أصغر الزهر . انظر : غوستاف لوبون : حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص ٤٢ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٢٤ .
- (٢) البكرى : الممدر السابق ، ص ١٢٧ .
- (٣) ربيع : وثائق الجنييزة ، ص ١٣٥ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٢ .
- (٤) نفس المرجعين السابقين ونفس المفحات .

الزراعة بمكة المكرمة .

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : "ربنا انى أسكنت
من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
لصلاة فاجعل أكثدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون" .^(١)

فمن هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن منطقة مكة المكرمة
تقع فى واد غير صالح للزراعة ، فأرضها جرداء شحيحة المياه
ومناخها جاف وحار ، فابن حوقل يقول : "وليس بمكة ماء جار
الا شيئا أجرى اليها من عين كان قد عمل فيها بعض الولاة ...
وليست لهم آبار يشربون منها ... ولكن اذا جُزَّتْ الحرم فهناك
عيون وآبار وحوايط كثيرة ، وأودية ذات خضر ، ومزارع
ونخيل" .^(٢)

وقد استجاب الله عز وجل دعوة ابراهيم الخليل عليه
السلام فرزق أهل مكة والحجاج القادمين اليها بالثمرات
والمواد الغذائية التى كانت تجلب اليها من المناطق
المجاورة لها والتابعة لامارتها فى تلك الفترة كمناطق
عسقلان ، ومصر الظهران ، ووادى نخلة ، وحداء ، والطائف ،
^(٣)

-
- (١) سورة ابراهيم : ٣٧
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥-١٢٦ .
(٣) أبو القاسم محمد بن على بن حوقل : صورة الأرض ، بيروت
١٩٧٩م ، ص ٣٧ : العلاقات الحجازية المصرية
ص ١٧١ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٧ .
(٥) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٩ ، ابن بطوطة :
المصدر السابق ، ص ١٢٤-١٢٦ : شرف البركاتى : الرحلة
اليمانية ، ص ١٤١ .

(١) (٢) وأدم ، وبرقة ، وغير ذلك من القرى والمناطق المجاورة لمكة المكرمة والتي تكثر فيها الآبار والعيون كعين سليمان (٣) وغيرها .

وكانت تلك القرى المحيطة بمكة تصدر اليها الخضروات ، والفواكه كالتين ، والرمان ، والعنب ، والسفرجل ، والخوخ والأترج ، والجوز ، والبطيخ ، والقثاء ، والخيار ، والبادنجان ، واليقطين ، واللفت ، والجزر ، والكرنب ، والحناء ، وجميع أنواع الرياحين والورود والأزهار المعطرة ، والرطب الذى كان أهالى مكة يجففونه ثم يضعونه فى السلال (٤) ليقوموا بأكله طوال العام . (٥)

كما كان يجلب الى مكة من بلاد تهامة والسراة الحنطة ، واللوبياء ، وسائر أنواع الحبوب ، والزبيب بنوعيه الأحمر والأسود ، واللوز ، وقصب السكر وغير ذلك من الخضروات (٦) والفواكه .

-
- (١) أدم : هى قرية من قرى الطائف اشتهرت ببراعة أنواع عديدة من الفواكه وتبعد عن مكة مسيرة يوم واحد .
انظر : يا قوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٦/١ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .
- (٢) خسرو : سفرنامه ، ص ١٣٤ .
وبرقة : هى عين كانت تقع بطرف وادى فاطمة من جهة الجنوب . انظر :
البلادى : معجم معالم الحجاز ، ٢٠٦/١ .
- (٣) ابن جبير : نفس المصدر السابق والمقحة .
عين سليمان : هى عين تقع فى وادى فيم جنوب مكة وتبعد عنها بـ ٤١ كيلو متر يربطها درب المعرفات بعرفة ، والعبادية شمالا ، ودفاق وادام جنوبا . وتعرف اليوم باسم عين الباشه او عين فيم . انظر :
البلادى : نفس المرجع السابق ، ٢٠٤/٦-٢٠٥ .
- (٤) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٩٧ .
- (٥) نفس المصدر السابق ، ص ٩٩ .
- (٦) ابن جبير : نفس المصدر ، ص ١١٠ .

وكان يوجد فى الاحياء القريبة من مكة بعض المزارع والبساتين القليلة ، وفى منطقة الزاهر كان يوجد بها بعض المزارع التى كانت تزرع فيها الفواكه والخضروات والنخيل (١) حيث يُجلب منها الرطب الى مكة المكرمة ، وكان بمنطقة المسفلة الواقعة جنوب مكة بستان كبير تحف به أشجار النخيل (٢) والعنب والرمان . (٣)

(٤) كما أن مكة المكرمة قد اشتهرت بوجود نبات القرض بها ونظرا لاهمية ذلك النبات فى دباغة الجلود فقد كانت القوافل التجارية تحرم عند مغادرتها للأراضى المكية بحمل ذلك النبات لبيع فى المدن التى تشتهر بدباغة الجلود . ومما تنبغى الإشارة اليه أن أهالى مكة المكرمة قد استعانوا بخبرة المزارعين المغاربة الذين استخدموهم فى زراعة بعض الأراضى . ولقد أشار الرحالة ابن جبير الى ذلك حيث قال : 'والفواكه تجلب اليها من الطائف ، ومن بطن مر ، وهو على مسيرة يوم أو أقل ، ومن نخلة ، وهى على مثل هذه المسافة ، ومن أودية بالقرب من البلد كعين سليمان وسواها ، قد جلب الله اليها من المغاربة ذوى البمارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع ، فكانوا أحد الأسباب فى خصب هذه الجهات ، وذلك بفضل الله ، عز وجل

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ ، ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٧ .

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٤) أحمد فاروق : دباغة الجلود وتجارتها عند العرب فى مستهل الإسلام (مجلة العرب ، السنة العاشرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ج ٧-٨) ، ص ٥٤٢ .

(١)

وكريم اعتنائه بحرمه الكريم ، وبلده الأمين" .

وهكذا كان لهؤلاء المغاربة دور كبير في إخصاب بعض
الأراضي المالحة للزراعة في المناطق القريبة من مكة
المكرمة .^(٢) فهذا يدل دلالة واضحة على أن أهالي مكة المكرمة
كانت تنقسمهم الخبرة الكاملة في الزراعة ولاغربة في ذلك
لأنهم يعيشون في بلاد معظم أراضيها محدبة قليلة المياه
وذلك مما أدى إلى قلة المزارع بها والذي أدى بدوره إلى
جهل الكثير من أهالي مكة بالأمور الزراعية .

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .
(٢) فريال عبد المجيد : مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة ، ص ١٠٤ .

الصناعة بمكة المكرمة .

كانت الصناعة بمكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم تعتمد على جهد الانسان وقوته وطاقته ، فمن أهم الصناعات التي اشتهرت بمكة المكرمة في تلك الفترة صناعة دبغ الجلود حيث كان يوجد بها صناع مهرة متخصصون في هذا المجال وقد ذاع صيتهم في البلدان الاسلامية ، فيذكر ابن المجاور أن سكان بلاد المشرق كانوا يشترون جلود البغال والبقر من الموصل واربل وينقلونها الى مكة لتدبغ هناك ، وكانت جلود الحيوانات التي تدبغ بمكة المكرمة تجلب اليها من بلاد اليمن ، وعمان . وهرق وبقيّة المدن الاسلامية الاخرى ثم تدبغ بها وتصدر الى مصر والحبشة وقارس وماوراء النهر .^(١)

ولقد كان يصنع من هذه الجلود المدبوغة بمكة القرب التي كانت تستخدم لحفظ الماء والعسل والزيت واللبن وبقيّة السوائل ، كما يصنع منها أيضا الالبسة الشتوية والاحذية التي يلبسها الرجال والنساء ، وكان الاعراب أيضا يضعون التمر في جوارب من الاديم .^(٢)

اذن فلانغالى اذا قلنا ان دباغة الجلود كانت من أهم الصناعات الموجودة بمكة المكرمة وبالقرى المحيطة بها ،

-
- (١) جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الايوبي ، ص ١٢٦ .
 (٢) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة ، ص ١٣ .
 (٣) أحمد مازوق : دباغة الجلود وتجاريتها عند العرب ، ص ٥٣٨-٥٤٠ .
 (٤) الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٩ .
 (٥) جميل حرب : المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٧ .

ومما ساعد على النهوض بتلك الصناعة بمكة توفر نبات القرض
الذى يستخدم فى دباغة الجلود ، بوفرة فى مكة المكرمة .^(١)
كما أن أهالى مكة المكرمة قد عرفوا أيضا صناعة
الحلوى وقد تفننوا فى هذه الصناعة كشيرا . وكان^(٢)
أهالى مكة يستخدمون سعف النخيل الذى كان يجلب اليهم من
مزارع النخيل الموجودة بكثرة فى المدينة وينبع ، فى صناعة
المراوح اليدوية ، والحمير ، والزناويل وهى من السلع
المتداولة بمكة فى تلك الفترة .^(٣)

-
- (١) أحمد فاروق : دباغة الجلود ، ص ٥٤٢-٥٤٨ .
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ ؛ المالكى : بلاد الحجاز ،
ص ١٠٣ .
(٣) محمد طاهر الكردى : التاريخ القويم لمكة وبيت الله
الكريم ، ط ١ ، مكة ١٣٨٥هـ ، ١٣٥/٢ ؛ سعاد الحسن :
النشاط التجارى فى مكة ، ص ١٩٥ .

الضرائب والمكوس التى فرضها أمراء الهواشم على الحجاج والتجار وأثر ذلك على الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة .

لقد كان أمراء الهواشم مصدر قلق للحجاج والتجار القادمين الى مكة المكرمة وذلك بسبب السياسة التى انتهجها هؤلاء الأمراء ضدهم وذلك حينما فرضوا عليهم الضرائب والمكوس، فأمرأء الهواشم اعتبروا أنفسهم مستقلين بامارتهم ومن حقهم ان يتمتعوا بجميع المقومات التى كانت تتمتع بها الدول المستقلة كفرض الضرائب والمكوس والعشور ، وجباية الزكاة الى غير ذلك من المقومات الأخرى .^(١)

وكان أمراء الهواشم قد فرضوا تلك الرسوم لسد العجز المالى الذى كانت تعاني منه امارتهم فى تلك الفترة . ومما يؤكد ذلك تلك المحاورة التى جرت بين أمير مكة مكثر بن عيسى وبين المبعوث الايوبى علوان الاسدى الذى سأل الأمير مكثر عن سبب فرضه الرسوم غير الشرعية على الحجاج القادمين الى مكة فقال له الأمير مكثر : "نحن قوم ضعفاء ، ومالنا الا هذه الجهة ، والملوك قد استولوا على البلاد ولايؤدون لنا شيئاً" .^(٢)

وكان أمراء الهواشم يصرفون تلك الايرادات على متطلبات امارتهم كرواتب الموظفين والخدم والعسكريين ، وأجور الضيافة لكبار الشخصيات القادمة الى مكة بالإضافة الى أجور

(١) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن قهد : اتحاف الوري ، ٥٤٠/٢ .

اقامة الحفلات والمناسبات العامة في بلادهم .
 (١)
 والمكوس نوع من الضرائب غير الشرعية وهي تعنى في
 اللغة الفريسية التي كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق
 (٢)
 الجاهلية .

أما المكوس في مطلق مؤرخي العصور الوسطى فكانت تعنى
 كل ماتحمل من الاموال لديوان السلطان أو لاصحاب الاقطاعات أو
 لكبار موظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي ، كما أن هذه
 الضريبة كانت تعرف باسم الهلالي ، وذلك لانها كانت تستأدى
 على حكم الشهور الهلالية ، وقد عرفت هذه الرسوم بمصر منذ
 عهد الدولة الفاطمية باسم المكوس ، وكانت تلك المكوس تفرض
 على المراكب التجارية القادمة الى بلاد مصر ، كما كانت
 تفرض على جميع أنواع المحاصيل الزراعية ، والحيوانية ،
 (٣)
 والممائد ، وجميع أنواع المناعات .
 (٤)

أما المكوس في مكة المكرمة فكانت تستحمل من جميع
 الحجاج والتجار القادمين اليها وكان هذا المكس يجبي من
 الحجاج القادمين عن طريق البحر من بلاد مصر والمغرب والاندلس

-
- (١) المقرئى : الذهب المسكوك ، ص ٨٨ .
 (٢) بطرس البستاني : محيط المحيط ، بيروت ١٩٧٧م ، ص ٦٨٥٩
 جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٢٨ .
 (٣) المقرئى : السلوك ، ٢٦٧/١ ، جميل حرب : نفس المرجع
 السابق والمفحة .
 (٤) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ،
 ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣م ، ١١٧/١ ، توفيق اليوزبكى : تاريخ
 تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، الموصل
 ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ١١٦ .
 (٥) جميل حرب : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسه .
 (٦) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها

وغيرها من البلدان الافريقية في ميناء عيذاب ومن لم تجب
منه في عيذاب جبيت في جده ، فقد كانت أسماء هؤلاء الحجاج
تكتب في كشوف وبؤشر المسؤول عن جمع هذه المكوس بعدد
أمام اسم كل من دفع الرسم المطلوب منه ومن لم يدفع هذا
الرسم عليه تسديد المبلغ كاملاً في ميناء جدة ، فهذا يدل
دلالة واضحة على أن حاكم عيذاب التابع للفاطميين كان
يتقاسم هذه المكوس مع أمير مكة لأنه كان يرسل الكشوف إلى
أمير مكة برفقة الحجاج وذلك لمعرفة عدد هؤلاء الحجاج
ومعرفة نصيبه وحتمه من تلك المكوس .

أما بالنسبة للحجاج القادمين من بلاد العراق والمشرق
الاسلام فلم يعفوا أيضاً من دفع تلك المكوس حيث كانوا
يدفعونها بالقرب من مكة في مكان يسمى سطح ، بين مكة
المكرمة ووادي نخلة ، أما عن مقدار المكس المقرر على كل
حاج فكان سبعة دنائير ونصف يجب على كل حاج قادم إلى مكة
المكرمة أن يقوم بدفعها كاملاً ومن لم يدفعها يعاقب بأشد
العقوبات حيث كان يحرم من أداء فريضة الحج التي جاء
لادائها. فقد كان يوضع في سجن عام قد أعد لهذا الغرض ويبقى

-
- (١) المقريري : السلوك ، ٦٤/١ ، ابن فهد : انحاف الوري ،
٥٣٨/٢ ، الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٨ .
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١ ، القاسي : العقد الثمين ،
٢٧٤/٧ .
(٣) البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٠ .
(٤) ابن عبد الحق : مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
٧١٣/٢ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ١٢٩ .
(٥) القاسي : الممدر السابق ، ٢٧٧/٧ ، الجزيري : الدرر
القرائد ، ٥٧٢/١ ، الرشيدى : حسن المفا ، ص ١١٨ .

(١) مسجوناً به طيلة أيام الحج ثم يسمح له بعد ذلك بالخروج والتوجه الى بلاده . ولم يكن أثناء اقامته فى ذلك السجن يعامل معاملة طيبة بل كان يعذب بشتى أنواع العذاب حتى ان الواحد منهم كان يعلق من أنثييه أو غير ذلك من الامور الشنيعة .^(٢)

ولقد استمر ذلك المكس يجبى من الحجاج فترة طويلة من الزمن حتى سقطت الدولة الفاطمية وقامت على أنقاضها الدولة الايوبية بمصر . فأمر السلطان صلاح الدين الايوبي وقت ان كان مشرفاً على شؤون الحرمين الشريفين سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م باسقاط جميع المكوس التى كانت مفروضة على حجاج بيت الله لانه اعتبر تلك المكوس غير شرعية طالما تتسم بطابع الظلم والقسر فالغائها وكان سبب الغائه انه حج فى ذلك العام الشيخ علوان بن عبد الله بن علوان الاسدى الحلبي وهو أحد المقربين لدى السلطان صلاح الدين الايوبي ، فلما وصل الى جدة طوّل بدفع المكس وجرت بينه وبين متولى قبض المكس مناقشة ومناظرة طويلة حيث قال له ادوا الحق . فقال له علوان ويلك ، ما الحق ؟ فقال : الحق على كل رأس سبعة

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٩٩/١٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
 (٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١ .
 (٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٣٨/٨ ؛ أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ٣/٢ ؛ المنجارى : مناجى الكرم ، مخطوط ، ٢٧٦/١ .
 (٤) محمود ياسين أحمد التكريتى : الايوبيون فى شمال الشام والجزيرة ، بغداد ١٩٨١م ، ص ٣٨٢ .

(١) دنانير ونصف فلطمه وقال : ويلك تسمون المظالم حقا !! فهم الشيخ علوان بالرجوع وترك الحج فلاطفوه وطلبوا منه التريش حتى يخبروا الأمير مكثر بن عيسى بالامر ، فحينما علم الأمير بذلك أصدر أمره باطلاقه واکرامه وإيصاله الى مكة معزرا مكرما فلما وصل الى مكة اجتمع به واعتذر اليه ووضح له (٢) الأسباب التي أجبرته على فرض تلك المكوس . (٣)

واقتنع الشيخ علوان بذلك العذر وأرسل الى السلطان صلاح الدين كتابا يخبره فيه بحاجة أمير مكة وأهلها الى المساعدة . فأرسل اليه السلطان صلاح الدين ثمانية آلاف اردب من القمح وأمر بأن ترسل تلك الملة الى مكة كل عام لتكون عوناً لأميرها وأتباعه ، كما قرر أيضا حمل الغلات والملاط الى المجاورين والفقراء بالحرمين الشريفين وأوقف بعض الأوقاف بمصر لتكون تلك الاعطيات خالدة ومستمرة لهم . (٤) (٥) (٦)

ولقد نعم أهالي مكة المكرمة بتلك الخيرات ، كما نعم أيضا جميع الحجاج القادمين الى مكة باسقاط المكوس التي كانت مفروضة عليهم فزالت بذلك أكبر العقبات التي كانت

-
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣٨/٢ - ٥٣٩ ، السنجاري : مناثع الكرم ، ٢٧٦/١ .
 (٢) الكردي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ١٧٩/٢ .
 (٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .
 (٤) دحلان : أمراء البلد الحرام ، ص ٣٥ .
 (٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٨٨/٨ ؛ أبو شامة : الروضتين ، ٣/٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٩/١٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
 (٦) أبو شامة : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

تواجهه حجاج بيت الله وخاصة الفقراء منهم الذين لا يستطيعون دفع تلك المكوس .

هذا بالنسبة لحجاج بيت الله . أما ما يواجهه التجار القادمون الى مكة من محن وشدائد وفرائب فلانقل ضررا عما يواجهه حجاج بيت الله فكانت المكوس المفروضة على التجار تجبى منهم في ميناء جدة والذي يعتبر المورد الرئيسي لدخل مكة من الفرائب في تلك الفترة فقد كان يؤخذ على القوافل التجارية القادمة الى مكة على كل حمل حنطة نصف دينار، وكييل من فرد الزاملة ، وعلى سفت شيا ب الشطوى ثلاث دنانير ، وعلى سفت الديقى - المنسوب الى مدينة دبيق بممر - ديناران . وحمل الصوف ديناران وعلى سلة الزعفران دينار وكذلك على رؤوس الرقيق .

وكان التجار القادمون الى مكة يدفعون تلك الفرائب لامراء مكة ليحققوا لانفسهم وبضائعهم الحماية الكاملة من اللصوص وقطاع الطرق الذين عادة مايتربصون للتجار في الطرق

- (١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٣٠٤/٨ .
- (٢) الزيلعي : مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ١٧٠ .
- (٣) الكيل : هو المكيال كيل البر ونحوه والمكيال هو الصاع الذي يتعلق به وجوب الزكاة والكفارات والنفقات انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٥/١٤ .
- (٤) الزاملة : هو البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع انظر : ابن منظور : المصدر السابق نفسه ، ٣١٠/١١ .
- (٥) السفت : هو الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . انظر : ابن منظور : المصدر السابق ، ٣١٥/٧ .
- (٦) الشطوى : هي نوع من شيا ب الكتان تصنع في شطى وهي قرية بناحية مصر . انظر : ابن منظور : المصدر السابق ١٦٢/١٩ .
- (٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٤ ، آدم مئزر : الحضارة الاسلامية ، ٢٢٤/١ .

(١)
المؤدية الى مكة وخاصة الطريق الواقع بين مكة وجدة .
ولم يكن ميناء جدة هو المكان الوحيد الذى كانت تجبى
به الضرائب على التجار بل ان أمراء مكة قد وضعوا على الطرق
المؤدية الى مكة عدة مرامد لتقوم برصد القوافل التجارية
القادمة الى مكة المكرمة .
(٢)
وقد ذكر المقدسى أنه كان يوجد بمكة المكرمة مرصدان
لرصد القوافل التجارية أحدهما بمنطقة القرين. والآخر ببطن
سر وكان يؤخذ على كل حمل جمل يمر فى أحد هذين المرصدين
مبلغ نصف دينار .
(٣)
كما أن ابن الجاور قد ذكر أنه كان يوجد فى منطقة
حداء مرصد لجباية الضرائب على القوافل التجارية المارة
عمر تلك المنطقة .

-
- (١) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٧٠ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) القرين : هو جبل عرفة الذى يصعد اليه الناس يوم
الوقفة ويسمى جبل الرحمة ، أو جبل عرفة ، وهناك مكان
آخر يعرف بالقرين وهو اسم للاكمة الصغيرة البارزة
التي بطرف بلدة بحرة من الشرق ، بين مكة وجدة وكانت
تلك المحطة تعرف بالقرين ذكرها ابن جبير فى رحلته
فقال ان ذلك الموضع هو منزل الحاج ومحط رحالهم ومنه
يحرمون .
انظر : ابن جبير : رحلة ، ص ٥٧ ؛ البلاذى : معجم
معالم الحجاز ، ١٢٦/٧ .
فيبدو أن المرصد المذكور أعلاه كان يقع فى ذلك القرين
الذى ذكره ابن جبير وذلك نظرا لأهمية موقعه فهو على
طريق التجار القادمين من جدة الى مكة واستبعد أن
يكون المقصود من كلام المقدسى هو القرين الواقع
بعرفات .
(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٤-١٠٥ ، الزيلعى :
المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

وكانت هذه المراصد قد وضعت فى أماكن مرتفعة وبنيت على شكل حصون مربعة الشكل مزودة بأبراج عالية وذلك لمراقبة القوافل التجارية التى تحاول أن تتحاشى المرور بهذه المراصد تفاديا لدفع المكس المقرر عليها .^(٢)

وكانت الضرائب التى فرضت على التجار فى عهد أمراء الهواشم لم تكن ثابتة وإنما كانت قابلة للزيادة والنقصان بالنسبة لحاجة أمراء الهواشم الى المال من ناحية ، وبالنسبة لازدياد قدوم التجار من ناحية أخرى ، وقد ذكرت بعض المصادر أن الضرائب بمكة قد ارتفعت فى عهد الأمير هاشم ابن قليطة (٥٢٧ - ٥٤٩هـ) الذى أصدر قرارا يقضى بزيادة الضرائب على القوافل التجارية القادمة الى مكة بحيث أصبح يؤخذ على كل حمل جمل يمر بأحد المراصد المكية دينار^(٣) كامل .

ومما سبق يتضح لنا أثر علاقات مكة الخارجية على أوضاعها الاقتصادية فى عهد أمراء الهواشم ، حيث ان المتخصص فى دراسة الحياة الاقتصادية بمكة فى تلك الفترة يجد أن جميع السلع الواردة اليها والموجودة فى أسواقها لم تكن ثابتة الأسعار وإنما كانت متفاوتة من فترة الى أخرى ، وذلك راجع الى أثر علاقاتها بالدول الخارجية وخاصة بلاد مصر واليمن اللتين تعتمد عليهما مكة كثيرا فى أحوالها

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤١ .
(٢) الزيلعى : نفس المرجع السابق والمفحة .
(٣) ابن المجاور : نفس المصدر والمفحة .

(١)
الاقتصادية .

فحينما تمام تلك الدول بأزمات اقتصادية أو سياسية فان ذلك يؤدي الى توقف قدوم السلع والمواد الغذائية الى مكة وبالتالي الى ازدياد أسعار السلع الموجودة بها ، وهذا (٢) تلعب علاقات مكة الخارجية دورا كبيرا فى تخليص مكة من تلك المحن الاقتصادية حيث ان أميرها بظفر الى الاتصال و لاستنجد بجهة أخرى تدعمه وتمده بكامل المؤن والغلال . فحينما حدثت (٣) الأزمة الاقتصادية بمصر سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ساءت الأحوال الاقتصادية أيضا بمكة المكرمة لأن السلع والمواد الغذائية التى عادة ما يحملها المصريون الى مكة قد توقف قدومها ، ففاق الأمير محمد بن جعفر ذرماء واضطر الى الاتصال بالدولة العباسية ببغداد لعلها تخلص بلاده من تلك الأزمات الاقتصادية التى تعيشها . فاستجابت الخلافة العباسية للنداء المكي بشرط اقامة الخطبة للحليفة العباسى القائم بأمر الله وللسلطان السلجوقى الب ارسلان وذلك فى موسم حج عام (٤) ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م فتتابعت بعد ذلك النفقات والاعطيات من حكومة بغداد الى مكة المكرمة ، وبدأت قوافل التجار العراقيين تغد (٥)

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٧٩، ٧٣/٨ ، الفاسى : شفاء الغرام ، ٤٣١-٤٣٠/٢ ، ابن فهد : اتحاف السورى ، ٤٧٢، ٤٦٨، ٤٦٤/٢ .
- (٢) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ، ٢٩٧-٢٩٧/٢ ، ماجد : المجلات المستنصرية ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .
- (٣) ابن فهد : المصدر السابق نفسه والجزء نفسه ، ص ٤٧٢-٤٧٣ ، الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٧٢
- (٤) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
- ولمزيد من التفاصيل حول ذلك الحدث انظر ص ١٥٣ من الفصل الخاتى .
- (٥) ابن فهد : المصدر السابق نفسه ، ٤٧٢/٢ ، ٤٧٣، ٤٧٥ .

الى مكة المكرمة وذلك مما يؤدي بالطبع الى حدوث العراق
اقتصادى وتحرك تجارى كبير داخل أسواق مكة المكرمة .
كما أن الحياة الاقتصادية بمكة كانت تتأثر تأثرا
بالغا وكبيراً بسوء علاقة أمرائها بالدول الخارجية وخاصة
الدول التى تعتمد عليها مكة المكرمة فى اقتصادها ، فتذكر
المصادر أن الأحوال الاقتصادية بمكة سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م قد
تدهورت ووقع الفلاء فى أسعار السلع الموجودة فى أسواقها
ودلك لأن الأمير محمد بن جعفر قد رفض أن يعيد الخطبة على
منابر مكة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله فاضطر الأخير الى
أن يمدد قراراً يقضى بقطع الميرة عن مكة المكرمة مستغلاً^(١)
توقف وصول النفقات والمؤن التى ترسلها بغداد الى مكة فى
تلك الفترة بسبب انشغالها بوفاة الخليفة القائم بأمر الله
والسلطان السلجوقى ألب أرسلان .^(٢)

كما أنه كان لسوء علاقة الأمير محمد بن جعفر بوالى
اليمن الأمير على بن محمد المليحي أثر فى تدهور الأوضاع
الاقتصادية بمكة المكرمة سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م فقد ذكر المؤرخ
تقى الدين الفاسى أن المليحي قد منع حجاج اليمن من التوجه
الى مكة فكان لذلك القرار أثر كبير فى انعدام المؤن^(٣)
والمواد الغذائية التى عادة ماتحملها قنازل السرو اليمنية

-
- (١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٩٤/٨ ، العوفى : العلاقات
السياسية بين الدول الفاطمية والدولة العباسية فى
العصر السلجوقى ، ص ٢١٦ .
(٢) ابن قهد : اتحاف الورى ، ٤٧٧/٢ ، العوفى :
المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٣١١/٢ .

معها الى مكة أثناء تأديتهم لفريضة الحج والعمرة^(١) ، والذي أدى بدوره الى غلاء الاسعار بأسواق مكة المكرمة فى تلك الفترة^(٢) .

وكان لسوء علاقة أمير مكة قاسم بن محمد بن جعفر (٤٨٧ - ٥١٨هـ) بالدولة الفاطمية سنة ٥١٢هـ/١١١٨م أثر كبير جدا فى تدهور أوضاع مكة الاقتصادية لأن الأمير قاسم قد أمر قواته فى ذلك العام بمهاجمة المراكب التجارية المصرية الراسية بميناء عيذاب ونهب ما بها من بضائع وأموال^(٣) ، عندئذ أصدر الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى أوامره بقطع علاقة بلاده السياسية والاقتصادية بامارة مكة المكرمة حيث منع السفر اليها سواء كان للحج أو التجارة^(٤) ، ولاشك فى أن ذلك القرار الذى أصدره الوزير الفاطمى كان يهدف من وراءه الى محاصرة مكة المكرمة اقتصاديا . وقد نجح ذلك الوزير فى خطته ، فحينما ضاق أهالى مكة واشراقها بتلك الازمة الاقتصادية التى عاشوها ابان تلك الفترة استنجدوا بأميرهم وطلبوا منه أن يقدم اعتذاره للحكومة المصرية وأن يتعهد برد جميع الأموال والبضائع التى نُهبت من التجار المصريين^(٥) .

-
- (١) وعن أثر تلك القبائل اليمنية فى ازدهار سوق مكة التجارى راجع ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
 (٢) ابن قهد : الممدر السابق ، ٤٧٠/٢ .
 (٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٩-٢٨/٧ .
 (٤) وعن ذلك الاعتداء راجع الفصل الثانى ص ١٧٤ .
 (٥) المقرئى : اتعاظ الخنفاء ، ٥٩-٥٨/٣ .
 (٦) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١١٥ .
 (٧) الجزيرى : الدرر القرائد ، ٥٥٨/١ .

فاضطرب الأمير قاسم بن محمد الى قبول ذلك الطلب فعادت بعد ذلك الأمور الى مكة كما كانت من قبل وأصبح التجار المصريون يقدون اليها وهم محملون بشتى أنواع البضائع .

كما أنه لا يمكن أن ننسى أن سوء علاقة أمراء الهواشم بالدولة العباسية فى بعض الفترات قد أدى الى حدوث بعض المناوشات الحربية بين الطرفين وذلك مما يؤدى بالطبع الى فقدان الأمن بين التجار الموجودين بمكة المكرمة فى تلك الفترة وبالتالي يؤدى الى تدهور الأوضاع الاقتصادية بها .

فحينما حدثت تلك المناوشات الحربية بين الأمير قاسم بن محمد وبين القائد العباسى امبهيد بن سارتيكين سنة ٤٨٧هـ (١) ١٠٩٤م عاش أهالى مكة وتجارها فى حالة يرثى لها من فقدان الأمن والهدوء والاستقرار . (٢)

وجرت أيضا بين أمير مكة مكشر بن عيسى (٥٧١ - ٥٩٧هـ) وبين أمير الحج العسراقى طاشتكين مناوشات حربية جرت أحداثها بمكة المكرمة سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م فمن البدهى أن يظهر أثر تلك المناوشات على تدهور الأوضاع الاقتصادية بمكة فى تلك الفترة حيث عاش التجار فى ذلك العهد فى رعب وخوف وأصبحوا لا يأمنون على متاجرهم وبضائعهم التى عادة ماتتعرض للنهب والسلب ، فيصف لنا ابن الأثير الحالة الأمنية المضطربة وقت دخول قوات طاشتكين الى مكة فى عهد

(١) الفاسى : العقد الخمين ، ٢٨/٧ ؛ ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٧-٣٠٨ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ، ١٠٤/٤ ؛ سرور : النفوذ القاطمى فى جزيرة العرب ، ص ٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ١٣٧/٩ - ١٣٨ .

مكثر بن عيسى فيقول : "ونهب كثير من الحاج وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا وأحرقوا دورا كثيرة" ^(١) .

ومما لاشك فيه أن تلك الأحداث السياسية الناتجة عن علاقات مكة الخارجية تؤدي أحيانا إلى حدوث الاضطراب العام في البلاد حيث يفطر التحار الموجودون بمكة إلى إغلاق متاجرهم ، هذا فضلا عن توقف قدوم تجار الدول الخارجية إلى مكة وذلك حفاظا على أموالهم وبضائعهم وحماية لأرواحهم ، فتتشل بذلك حركة البيع والشراء بأسواق مكة المكرمة في تلك الفترة .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن تلك الأحوال الاقتصادية المتقلبة بمكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم لا يمكن إسناد أسبابها إلى علاقات مكة الخارجية فحسب وإنما كان للفتن والخلافات التي دارت بين أمراء الهواشم أثر أيضا على الأوضاع الاقتصادية بمكة المكرمة . فتذكر لنا بعض المصادر أن مكة المكرمة قد عانت سنة ١١٧١هـ / ١١٧١م من أزمة اقتصادية حادة فقد غلست الأسعار في أسواقها وذلك بسبب انعدام الأمن والهدوء والاستقرار الناتج عن الخلاف الدائر بين الأميرين عيسى بن فليته وأخيه مالك بن فليته ^(٢) .

وقد اتخذ الأمير مالك في حربه ضد أخيه عيسى وسيلة الحصار الاقتصادي ومنع وصول المؤن والغلال والمواد الغذائية التي ترسلها الدولة الأيوبية في تلك الفترة إلى مكة ، وذلك ^(٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ١٣٨/٩ .
 (٢) ابن فهد : أحقاب النوري ، ٥٣٣/٢ .
 (٣) وعن ذلك الخلاف راجع الفصل الأول ، ص ١١٠ .
 (٤) القاسي : العقد الثمين ، ٦٦٤/٦ .

مما يؤدي بالطبع الى قلة تلك المؤن وانعدامها بأسواق مكة وبالتالي الى ازدياد وغلاء الأسعار بها . وكان هؤلاء المتنافسون يستولون على أموال التجار وبضائعهم ويقومون بمرفها وانفاقها على تلك الحروب الدائرة بينهم . فقد قام أصحاب وأتباع الأمير مالك بن فليته بمهاجمة السفن التجارية الموحودة بميناء جدة واستولوا على ما فيها من بضائع وأموال .^(١)

وهكذا كان لتلك الفتن والاضطرابات أثر سوء على الأوضاع العامة بمكة بما فيها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وكان ينبغي لأمرء الهواشم أن يقوموا بتوفير سبل الأمن والراحة والاستقرار لجميع التجار القادمين الى بلادهم وذلك ليستفيدوا منهم في انعاش اقتصادهم واقامة المشروعات في بلادهم كبنشاء المدارس ، والمستشفيات ، والأربطة ، وغير ذلك من المشاريع الاقتصادية التي تعود منفعتها على أهالي البلاد .

وسبق أن أشرنا في بداية هذا الفصل الى الأهمية الاقتصادية التي كانت تتمتع بها مكة المكرمة امان عهد الهواشم وذلك بسبب موقعها الجغرافي وديني . فلو ضم لهذين العاملين العاملين حسن معاملة أمرء الهواشم للتجار القادمين الى بلادهم وحماية متاجرهم وبضائعهم من الاعتداء عليها ، وتخفيف أو ازالة الضرائب التي كانوا يجيئونها منهم لازدادت أهميتها التجارية والاقتصادية أكثر من ذلك .

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٣٢/٢ ، السنجاري : مناخ
الكرم ، ٢٧٤/١ .

(٢) انظر ص ٢٥٤-٢٥٥ من هذا البحث .

(ب) أشرعلاقات مكة الخارجية
على الحياة الاجتماعية

لقد كان الوافدون الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج أو التجارة أو طلب العلم يشكلون كتلة كبيرة من السكان لأن أكثر هؤلاء الوافدين قد فضل الإقامة والبقاء بمكة لينعموا بجوها الروحاني وليطلبوا العلم على أيدي علمائها .

وكان كثير من هؤلاء الوافدين قد قدموا الى مكة وذلك لبعدها عن الفتن والأحداث السياسية الموجودة في البلدان الأخرى ، فكان طبيعيا أن ينمهر هؤلاء الوافدون مع سكان مكة الأصليين وأصبحوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع المكي .^(١)
^(٢)

أما اذا نظرنا الى أهم الطبقات الاجتماعية التي كان يتكون منها المجتمع المكي فاننا نجد أنه كان هناك عدة طبقات منها طبقة الاشراف ولهم امرة مكة المكرمة ، وهم من بنى الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومن هؤلاء الاشراف تلك الاسرة التي حكمت مكة من عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م الى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م والمعروفة باسم اسرة الهواشم ، والحقيقة أن امراء الهواشم لم يتعالوا أو يترفعوا على المجتمع المكي بل انهم كانوا يشاركونهم في أعيادهم وافراحهم وأحزانهم ، فقد شاهد ابن جبير ، أثناء وجوده بمكة ، الأمير مكث بن عيسى وهو يشارك أهالي مكة في جميع احتفالاتهم وأعيادهم الدينية .^(٣)
^(٤)

-
- (١) جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي : طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
٥٦٢/٢ - ٥٦٣ : باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الايوبي ، ص ١٠٢ .
(٢) مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف ، ص ١٠٩ .
(٣) مالكي : المرجع السابق ، ص ١١٠ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

أما الطبقة الثانية بمكة فكانت تتكون من حاشية الأمير
كالمستشارين والقضاة والسوزراء والقواد والعبيد الذين^(١)
يسمرون على راحتهم وخدمته وحمايته ، وكان لكل أمير من
أمراء الهواشم مجموعة من العبيد تكثر أو تقل حسب مركزه في
الامارة .^(٢)

والطبقة الثالثة بمكة كانت تتمثل في سكان مكة
الأصليين كالقرشيين الذين كان أغلبهم يسكنون في وادي نعمان
بالقرب من مكة المكرمة ، وكان هؤلاء القرشيون يشكلون الربع
أو الثلث من مجموع القاطنين بمكة المكرمة . وكانت تتبع^(٣)
تلك الطبقة بقية القبائل الموجودة بمكة وأطرافها كهذيل^(٤)
ورواحة وغيرهما ، وقد لعبت تلك القبائل دورا كبيرا في
السياسة الداخلية بمكة المكرمة .^(٥)

أما الطبقة الرابعة فكانت تتألف من جميع الوافدين
الى مكة من التجار والعلماء وطلاب العلم وغيرهم من الذين
قدموا الى مكة وفضلوا المجاورة بها ، وقد كان هؤلاء
المجاورون يمثلون جنسيات مختلفة من شتى الاقطار الاسلامية
كالمصريين والشاميين والعراقيين والاندلسيين واليمنيين .
ولقد لعبت علاقات مكة الخارجية دورا كبيرا في نقص وازدياد

-
- (١) المصدر نفسه ، ص ١١٧-١٣٤ .
(٢) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٠ .
(٣) علي السليمان : اسلاقات الحجازية المصرية ،
ص ٣٠٧-٣٠٨ ، باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٨٠ .
(٤) بنو رواحة : بطن من غطفان من العدنانية . انظر :
القلقشندي : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ،
ص ٢٦٦ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٣١/٢ ، ص ١٠٨ - ١١٤ .
ولمزيد من الايضاح راجع الفصل الأول .

أعداد تلك الطبقة ، ففي الوقت الذي تتحسن فيه علاقة أمراء مكة بالدول الخارجية كالعباسية والفاطمية والصليحية يقدم الى مكة أعداد كثيرة من سكان تلك الدول لاداء فريضة الحج والمجاورة بها .

أما اذا ساءت علاقة مكة باحدى تلك الدول فان ذلك يعنى توقف قدوم حجاج تلك الدول الى مكة وبالتالي يؤدى الى قلة أعداد المجاورين بها .

ومما شجع هؤلاء المجاورين على الإقامة بمكة تلك المعاملة الحسنة التى كانوا يجدونها من أهالى مكة المكرمة . يذكر ابن بطوطة أنه كان لأهل مكة الأفعال الجميلة والمكارم التامة والأخلاق الحسنة وإيثار الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ، ومن مكارمهم أنهم متى منع أحدهم وليمة يبدأ فيها باطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ، ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم ^(١) .

والحقيقة أن هؤلاء المجاورين قد اندمجوا مع أهالى مكة وأصبحوا يرتبطون معهم برباط النسب إذ أن بعض هؤلاء المجاورين قد تزوجوا من نساء مكيات ، ولاشك أن ذلك التزاوج قد ترك بصماته على المجتمع المكي وأدى الى تحسين أحوال مكة الاجتماعية والعلمية والثقافية ^(٢) .

أما الطبقة الخامسة بمكة المكرمة فقد كانت تتألف من بقية فئات الشعب كالتجار الذين كانت لهم أصول قديمة بمكة

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ ؛ فريال عبد المجيد : مكة كما جاءت في كتب الرحالة ، ص ١١٦-١١٧ .

(٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٥٠-١٥١ .

المكرمة فكانت أحوالهم قد اتسعت بالشراء لما كان يعود عليهم من الأرباح لاشتغالهم بالتجارة بين الشرق والغرب .^(١)

كما كانت تلك الطبقة تضم أيضا الزراع والفلاحين الذين كانوا قلة قليلة نظرا لقلة المزارع بمكة المكرمة وأطرافها وكان بعض هؤلاء المزارعين من الأسر الميسورة لذلك نجدهم يستعينون ببعض المزارعين من بلاد المغرب الذين لديهم خبرة بالأعمال الزراعية وذلك مقابل اعطائهم راتبا شهريا أو نصيبا من غلال تلك المزارع التي يتم تسويقها في مكة وخاصة في أوقات المواسم .

كما يدخل في هذه الطبقة أيضا بقية أهالي مكة الذين يعملون في الحرف الأخرى كالصناع الذين كانوا يؤلفون فئة قليلة من سكان مكة وذلك لازدراء الناصر في ذلك العهد تلك الحرفة ، والرعاة الذين يقومون برعى المواشى في البراري المحيطة بمكة ويقومون بتسويق ما تنتجه مواشيهم من ألبان وأحبان وسمن في أسواق مكة المكرمة .

ولقد كان تعداد السكان بمكة المكرمة يتأثر بتأثر الأوضاع الاقتصادية الموجودة بها ، ففي الوقت الذي تعاني فيه من أزمات اقتصادية وتنعدم بها الأقوات فإن بعض أهلها والقادمين إليها سرعان ما يهاجرون منها إلى البلدان الإسلامية الأخرى ، وذلك مما يؤدي بالطبع إلى قلة أعداد^(٢)

(١) جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٠ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .

(٣) جميل حرب : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٤) خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٣ .

سكانها في ذلك الوقت وقد يزداد تعداد هؤلاء السكان في بعض
الفترات خاصة في الوقت الذي يفد اليها كثير من الماربيين
من المجاعات والحروب والقتل السياسية الموجودة في
(١)
بلدانهم .

(١) الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، ١٤٩/٧ ؛ الاسنوى
طبقات الشافعية ، ٥٦٢/٢-٥٦٣ ؛ ابن تغرى بسردى :
النجوم الزاهرة ، ١٧٣/٦ ؛ باقاسى : بلاد الحجاز ،
ص ١٠١ .

أثر العلاقات على العادات الاجتماعية لأهالى مكة المكرمة .

لقد بات أثر علاقات مكة الخارجية فى عهد أمراء الهواشم واضحا على عادات وتقاليد المجتمع المكي فقد عرف أهالى مكة الكثير من عادات وتقاليد الشعوب الإسلامية وخاصة الشعوب التى كانت لحكوماتهم علاقة بأمراء مكة المكرمة ، وكان لأهل مكة عادات اجتماعية ودينية كثيرة ، وحيث انها لاتدخل فى نطاق دراستنا هذه لذلك سنتطرق اليها تطرقا سريعا مع التركيز على أثر علاقات مكة الخارجية على ظهور بعض العادات والتقاليد فى المجتمع المكي .

فمن العادات الاجتماعية بمكة الاحتفال بمطلع أول كل شهر هجرى فحينما يرى الهلال يبادر أمير مكة صبيحة أول يوم من أيام الشهر بالاتجاه نحو المسجد الحرام ومعه كبار قواده وحاشيته فعند دخوله المسجد الحرام يتقدمه القراء والعبيد المخلصون لحراسته ويملى عند مقام إبراهيم ركعتين ، ثم يقبل الحجر الأسود ، ثم يطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، وكلما أكمل الأسير شوطا وقرب من الحجر الأسود يرتفع صوت رئيس المؤذنين - الذى يقف أعلى قبة زمزم - فيدعو للأمير ويهتفه بحلول الشهر ويستفتح دعاءه بقوله :

(٢)

"صبح الله مولانا الأمير بسعادة دائمة ونعمة شاملة" .

ثم يقوم بأنشاده ثلاثة أبيات أو أربعة من الشعر فى مدحه ومدح سلفه الكريم ثم يسكت حتى يتم الأمير شوطه الأول ،

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٤ ؛ جميل حرب : الحجاز

واليمن ، ص

(٢) ابن جبير : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

ويطل عليه من جهة الركن اليماني فيندفع بدعاء آخر وينشده أبياتا من الشعر غير الأبيات الأولى ويستمر على تلك الطريقة حتى يكمل الأمير سبعة أشواط ، ثم اذا فرغ من الطواف صلى عند الملتزم ركعتين ثم صلى خلف المقام ركعتين أيضا ثم يغادر هو وحاشيته ولا يظهر في الحرم الا في مستهل هلال آخر .^(١)

وكان أهالي مكة المكرمة عند مستهل كل شهر هجري يقومون بزيارة أقاربهم ومعارفهم ويهنئ بعضهم بعضا ، ويتصافحون في الأسواق وفي الطرقات وأماكن تجمعاتهم . وقد أثنى ابن جبير على أهالي مكة ووصف تلك العادة بأنها حسنة حيث قال : "وتلك طريقة من الخير واقعة في النفوس ، تجدد الاخلاص وتستمد الرحمة من الله ، عز وجل ، بمصافحة المؤمنين بعضهم بعضا وبركة مايتهادونه من الدعاء" .^(٢)

أما عن عادات أهالي مكة في الملابس فقد كانوا يتأنقون في اللباس ، وكان أكثر لباسهم البياض ، فكانوا يلبسون الشياب والعمائم البيضاء الناعمة ويستعملون الطيب كثيرا ، ويكتحلون ويكثرون من استعمال السواك .^(٣)

أما النساء فهن ذات صون وعفاف ، وهن يكثرن التطيب ويقول ابن بطوطة ان النساء : "كن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة ، فيأتين في أحسن زى ، وتغلب على الحرم رائحة طيبهن وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد

(١) ابن جبير : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها ؛
ياقاسي : بلاد الحجاز ، ص ٨٢ .
(٢) ابن جبير : المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٣ .

(١)
ذهابها عبقاً .

ولقد عرف أهالى مكة شياها متنوعة من الحرير والكتان والقطن والصوف وأنواعا براقة تتلألأ اذا انعكست عليها أشعة الشمس ، كما عرفوا أيضا العماهم المزركشة المقصبة .^(٢)
ومما ينبغى الإشارة اليه أنه كان لعلاقة واحتكاك أمراء الهواشم بالدول الخارجية كالعباسية والفاطمية والايوبية أثر كبير على لباس أهالى مكة وأمرائها . ومعروف أن خلفاء وسلاطين تلك الدول كانوا يخلعون على أمرائهم ووزرائهم وكبار قوادهم الخلع الخاصة وذلك فى أوقات الأعياد والاحتفالات والمناسبات الرسمية ، وكانت تلك الخلع توشى بخيوط الذهب والفضة ، وكان لأمراء مكة وأتباعهم نصيب وافر من هذه الخلع ، وقد وصف لنا ابن جبير فى رحلته لباس أمير مكة مكشر بن عيسى فى المناسبات الرسمية فقال : "طلع علينا الأمير مكشر وغاشيته الأقربون حوله وهو رافل فى حلة ذهب كأنها الجمر المتقد يسحب أذيالها وعلى رأسه عمامة شرب^(٣)
^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) ابن بطوطة : نفس المصدر السابق والصفحة .
(٢) السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٧/١ ؛ مالكسى : بلاد الحجاز ، ص ١٢٦ .
(٣) الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى جده ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ١٠١-١٠٢ .
(٤) السباعى : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٥) غاشيته : وغاشية الرجل من ينتابه من زواره وأصدقائه انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٦/١٥ .
(٦) عمامة شرب : أشرب اللون أشبعه وكل لون خالط لون آخر فقد أشربه والأشرب خلط لون بلون ، والمقمود هنا عمامة من نسيج رقيق اشتهرت به مدينتنا دمياط وتونس من مصر . انظر : ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٦ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ، ٤٩١/١ .

رقيق سحابى اللون قد علا كورها على رأسه كأنها سحابة
مركومة وهى مصفحة بالذهب ، وتحت الحلة خلعتان من الدبىقى
المرسوم البديع الصنعة " .^(١)

وكانت تلك الخلعة قد أهداها له الأمير سيف الاسلام
طفتكين بن أيوب حين قدومه الى مكة المكرمة سنة ٥٧٩هـ /
١١٨٣م .^(٢)

وكانت هذه الملابس الموشاة بخيوط الذهب والفضة قد
انتشرت بين سكان مكة وخاصة فى الأوساط الراقية بها وتركزت
أشرا فى أزياء وملايس بقية أهالى مكة الى حد تبدو فيه
ملايسهم قريبة من شبه أزياء أمرائهم ووررائهم .^(٣)

أما القفاة والخطباء فقد تحكمت علاقات مكة بالخلافتين
العباسية والفاطمية فى لباسهم فحينما تقام الخطبة لى
العباس على منابر مكة كان الخطباء يتخذون السواد الذى هو
اللون الرسمى للعباسيين ، وحينما يخطب للفاطميين كان
الخطباء يتخذون اللون الأبيض فى لباسهم لانه كان شعار
الفاطميين .^(٤)

-
- (١) كورها : لوئ العمامة يعنى ادارتها على الرأس ، وكل
دارة من العمامة كور ، والكور هنا الدور منها .
ابن جبير : الممدر السابق والمفحة ؛ ابن منظور :
الممدر السابق ، ١٥٥/٥ .
- (٢) ابن جبير : الممدر السابق ، ص ١٢٦ .
- (٣) الممدر السابق نفسه والمفحة نفسها ؛ ابن فهد : اتحاف
الورى ، ٥٤٦-٥٤٥/٢ .
- (٤) السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٧/١ .
- (٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٥ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ،
ص ١٥٦-١٥٥ .
- (٦) آدم مخر : الحفارة الاسلامية ، ١٠٨/٢ .

ومن عادات أهل مكة أنه إذا أصابهم القحط والجذب والجفاف وانحبس عنهم نزول المطر اجتمع بهم قاضى مكة وحشهم على صيام ثلاثة أيام قبل أن تقام صلاة الاستسقاء ، وفى ليوم الرابع يجتمع أهالى مكة فى المسجد الحرام فيتقدم القاضى الى البيت العتيق ويخرج منه مقام ابراهيم ويخرج أيضا مصحف عثمان رضى الله عنه وينادى فى الناس بالصلاة جامعة فيصلى القاضى بهم خلف المقام ركعتين ثم يخطب خطبة بليغة يحث فيها الناس على الاستغفار وطلب الرزق والغيث .^(١)

وكان لميسل أمراء الهواشم للخلافة الفاطمية بمصر أثر على نظام الادارة والتقاليد العامة بمكة ، ومن المعروف للدارس فى تاريخ الفاطميين ونظمهم أنهم كانوا يرون فى امامهم شخصا مقدسا تحببته هالة من الجلال والذخيرة ، فظهر أثر ذلك على نظرة الناس بمكة الى حكامهم من الاشراف الذين أحاطوا أنفسهم ومراكزهم بشيء من التعظيم ، ومما لاشك فيه أنه كن للخلفاء الفاطميين أثر فى احلال ذلك الشعور فى نفوس الاشراف وذلك بسبب الانقلاب الذى كانوا بمحونها لهم كلقب الشريف الامير فخر المعالى ذى المجدين ، لذلك فقد أمعن الناس بمكة فى تعظيم كل شريف ينتسب الى بيت الامارة ، واستمر ذلك الامعان فى التعظيم حتى أصبح الرجل منهم يعتقد أنه يستحق الميزة الشرعية على سائر الاجناس من غير

-
- (١) ابن حبير : الرحلة ، ص ٨٠-١٣٨ ؛ جميل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .
 (٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٥٥-٣٥٦ . السباعى : تاريخ مكة ، ص ٢١٤ .
 (٣) السباعى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
 (٤) ماجد : السجلات المسننصرية ، ص ٥٦ .

(١)

الاشـراف .

وكان أمراء مكة قد تأشروا بمظاهر الفخامة والابهة
التي عاشها الحلفاء الفاطميون حيث ظهرت الابهة في مجالسهم
ومواكبهم وحفلاتهم وأعيادهم . (٢)

وعرفت امارة مكة المكرمة بعن التقسيمات الادارية التي
كانت معروفة عند الفاطميين فانضمت بعد وظيفة القاضى وبيت
المسال وصاحب البريد وظيفه المحتسب الذى كان يشرف على
الاسواق ، وصاحب الشرطة المسؤول عن الامن ، والذى كان يتبعه
كثير من الجنود الذين عرفوا فى عهد الهواشم باسم الحراية
وكانت معظم هذه الاعمال الادارية تدار فى قصور خاصة بها
بالقرب من دار أمير مكة الذى كان مجاورا للمسعى . (٣)

ونظرا لشدة الحر الذى كان يحتاج مكة المكرمة فى فترة
المبف فقد كان أمراء مكة الاشراف وأتباعهم وبعض الاسر
الميسورة يتجهون الى الطائف ليقيموا بها فترة المبف
وليتنعموا بجوها البارد الممتع . (٤)

-
- (١) السباعى : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
(٢) ابن حبيب : الرحلة ، ص ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٤ : السباعى :
تاريخ مكة ، ٢١٥/١ .
(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤٦ .
(٤) السباعى : المرجع السابق نفسه والمفحة نفسها .
(٥) ابن حبيب : الرحلة ، ص ١٠٩ ، ٧٤ .
(٦) الممدر السابق نفسه ، ص ٨٤ : السباعى : المرجع السابق
ص ٢١٥ .
(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ : البتوني :
الرحلة الحجازية ، ص ٥١ .

أثر العلاقات على ظهور بعض الأعياد والبدع بمكة المكرمة .

لقد كان لأهالى مكة المكرمة احتفالات دينية متعددة فى مختلف المناسبات فمن أهم هذه الاحتفالات الاحتفال بظهور هلال شهر رجب الذى يعتبر من أكبر أعيادهم لأنهم يعتبرونه من الشهور المباركة وهو أحد الأشهر الحرم ، فعند ظهور هلال ذلك الشهر تضرب الطبول والأبواق اشعارا بدخول الشهر فيستعد الناس للعمرة فى بداية ذلك الشهر لأنهم يعتبرون العمرة فى رجب تعادل وقفه فى عرفة ، فيتجه جميع أهالى مكة الى التنعيم ومعهم أميرهم الذى يشاركون فى ذلك الاحتفال وبعد قضاء العمرة يذهب أهل مكة للسعى بين الصفا والمروة لاكمال العمرة . وقد وصف لنا ابن جبير - وهو ممن شارك أهالى مكة فى ذلك الاحتفال الدينى - مدى الازدحام الذى كان يجده الناس فى السعى حيث يقول : " فلما قفينا العمرة وطفنا وجئنا للسعى بين الصفا والمروة ، وقد مضى هدى من الليل ، أبصرناه كله سرجا ونيرانا وقد غص بالساعين والساعيات على هوداجهن ، فكنا لانتخلص إلا بين هوداجهن وبين قوائم الابل لكثرة الزحام واصطكاك الهوداج بعضها على بعض" (٤) .

ولم تكن العمرة فى هذا الشهر مقصورة على أوله بل كانت تمتد طوال الشهر ليلا ونهارا ، وبالأخص ليلة أوله

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٦ ؛ السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ ؛ المالكي : بلاد الحجاز ، ص ١١٨ .
 (٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
 (٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
 (٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

(١) ونصفه والسابع والعشرين منه ، ففر ليلة ذلك اليوم يحتفل أهالي مكة احتفالا عظيما ويعتَمرون بها ويسمور تلك العمرة بالعمرة الاكمية لانهم كانوا يحرمون فيها من أكمة مسجد عائشة رضى الله عنها ، والامل في هذه العمرة انهم يحتفلون بذكرى اتمام بناء البيت زمن عبد الله بن الزبير . (٣)

كما أن أهالي مكة المكرمة كانوا يحتفلون أيضا بليلة النصف من شهر شعبان من كل عام حيث يخرج الرجال والنساء عامة الى المسجد الحرام فيوقدون السرج والمصابيح ويملئون وبطوفون ويقرأون القرآن حتى الصباح . (٤)

وكان أهالي مكة يحتفلون بقدوم شهر رمضان الكريم حيث يقومون بتجديد الحمر وتكشير الشموع وذلك لاضائتها طوال ليالى رمضان وخاصة العشر الاواخر منها التى كانوا يحيونها بالصلاة والطواف وقراءة القرآن . (٥)

وبعد أن ينقضى شهر رمضان يحتفل أهالي مكة المكرمة بعيد الفطر المبارك حيث يلبسون فيه أحسن الثياب ويسارعون لصلاة العيد بالمسجد الحرام وكان أمراء الهواشم يشاركون أهالي مكة فى احتفالهم بعيد الفطر المبارك اذ يؤدون معهم صلاة العيد ثم يغادر الجميع المسجد الحرام ويقومون بزيارة

-
- (١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٨ .
 (٢) ابن حنبل : الرحلة ، ص ١١٤-١١٥ .
 (٣) ابن جبير : نفس المصدر والمفحة ، باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٨٣ .
 (٤) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١١٩-١٢٠ : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٦١ .
 (٥) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

بعضهم البعض ويتبادلون التهنئة بذلك العيد .^(١)

وكان بعض الفئات بمكة المكرمة تحتفل باحتفالات دينية أخرى كانت وليدة للاتصالات المكية الفاطمية فى عهد أمراء الهواشم ، وهذه الاحتفالات ماهى الا بدع انتقلت من بلاد مصر زمن الفاطميين الى مكة ، فمن هذه البدع والأعياد الشيعية عيد مولد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يقام فى ١٢ من ربيع الأول من كل عام ، وعيد مولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد السيدة ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وعيد مولد السيدة خديجة والسيدة آمنة ، ومولد الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فكل هذه المناسبات كان يحتفل فيها بممر فى عهد الخلافة الفاطمية .^(٢)
^(٣)

وكان أمراء الهواشم الذين تأثروا بالفاطميين كثيرا قد أمروا جميع أهالى مكة المكرمة بضرورة صيام يوم الشك وهو اليوم الأخير من شهر رمضان فهم بذلك يسيرون على المذهب الشيعى الذى ينص على أن صيام يوم الشك يعتبر فرضا وواجبا على كل فرد .^(٤)

فهكذا كان لعلاقة أمراء الهواشم بالخلافة الفاطمية أثر كبير فى امتداد المذهب الشيعى نحو مكة المكرمة . ومما يدل على ذلك إضافة "حى على خير العمل" الى الأذان فى مآذن

-
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٣٤ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ .
(٢) ولقد استمرت تلك البدع والأعياد بمكة المكرمة حتى دخلت مكة تحت الحكم السعودى سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م فأبطلت تلك البدع وحوربت . انظر السباعى : تاريخ مكة ، ٢١٦/١ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٤٨ .
(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢٢ .

المسجد الحرام والمشاعر المقدسة وهو تقليد شيعى كان يعمل به العاطميون ويحرمون على اقامته فى المناطق التى تخضع لنفوذهم وسيادتهم ، ولقد حرص أمراء الهواشم على ابقاء ذلك (١)
الاذان حتى فى السوق الذى كانت فيه مكة خاضعة للنوعون (٢)
العباسى واستمر ذلك الاذان الشيعى بمكة المكرمة حتى العهد (٣)
السلطان صلاح الدين الايوبى سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م .

-
- (١) السباعى : تاريخ مكة ، ص ٢١٦ .
(٢) ابن حبير : الرحلة ، ص ٧٨ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٧٨/٦ ، ابن فهد :
اتحاف الورى ، ٥٥٣/٢ .

(ج) أثر العلاقات على الحياة العلمية بمكة المكرمة

- * المسجد الحرام ودوره العلمى .
- * نظام الدراسة بمكة - الحلقات العلمية
الرحلات - الاجازات .
- * المجاورون بمكة ودورهم العلمى
وأثر العلاقات على جذب هؤلاء المجاورين الى مكة .
- * ٦ الأربطة ودورها العلمى .
- * الكتاب والمدارس والمكتبات بمكة ودورها العلمى .
- * مشاهير العلماء بمكة وأهم العلوم التى نبغوا فيها
وأهم مؤلفاتهم العلمية .
- * المرأة بمكة ودورها فى الحركة العلمية .

المسجد الحرام ودوره العلمى .

لقد كان للمكانة الروحية التى تمتعت بها مكة المكرمة أثر عظيم فى استقطاب عدد كبير من المسلمين الذين قدموا إليها لاداء فريضة الحج التى أمرهم الله بها ، فكانت مكة المكرمة عبارة عن بوثقة يجتمع بها العلماء والمفكرون الوافدون إليها من شتى الاقطار الاسلامية حيث كان هؤلاء العلماء يترددون الى مكة المكرمة وهى المركز الاسلامى العظيم وبها يلتقى رجال العلم والفقه والادب والتاريخ الذين يأتون إليها من أرجاء العالم الاسلامى ويأخذ عنهم ، اذ فيها كانت تعقد الحلقات العلمية والمناظرات الفقهية .^(١)

ولاشك بأن المسجد الحرام قد لعب دورا كبيرا وهاما فى النهوض بالحركة العلمية والثقافية بمكة المكرمة ، لان المسجد فى تلك الفترة لم تكن وظيفته قاصرة على الصلاة فقط وانما كان مركزا للتوجيه الفكرى والاخلاقى والتربوى والاجتماعى . فالمسجد هو المدرسة الاولى التى يخرج منها المسلم ، وهو بيت الاتقياء ، ومكان اجتماع المسلمين يوميا^(٢)

-
- (١) تاج الدين أبى نصر السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطنحافى ، ط١ ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، ١٥٣/٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ؛ الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٣٧ .
 - (٢) أحمد بن عبد الله الرازى المنعاني : تاريخ مدينة منعاء ، تحقيق حسين عبد الله العمري وعبد الجبار زكار ط١ ، اليمن ١٩٧٤م ، ص ٢٧ .
 - (٣) حمزة يونس : رسالة المسجد (بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ص ٥١١ .
 - (٤) محمد حسين الذهبي : رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ (بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ص ٤٥٧-٤٦٠ .

ومركز مؤتمراتهم ، ومحل تشاورهم وتناصحهم ، والمنتدى الذى فيه يتعارفون ويتآلفون وعلى الخير يتعاونون، فمن المسجد خرجت الجيوش الاسلامية ففتحت مشارق الارض ومغاريها ، ومن المسجد تخرج العلماء والفقهاء والمحدثون والقسراء والمفسرون وغيرهم من العلماء . وبذلك يعتبر المسجد بمثابة الجامعة الشعبية المفتوحة الابواب لكل راغب فى العلم والمعرفة لا يُقيد بدوام معين ولا تُفرض عليه مادة دون أخرى ، بل يختار الطالب الاتجاه الذى يتلاءم مع ميوله واستعداداته (٢) وقدراته .

وكانت الحلقات العلمية التى تعقد فى المسجد الحرام تضم الجميع بلا تفرقة بين على أو فقير صغير أو كبير ، وكانت هذه الحلقات تدور فيها الدراسات الدينية والمناظرات والمحاضرات العلمية ويتدارس العلماء بها أحوال المسلمين ويأخذون عن بعضهم كثيرا من العلوم فيتدارسون علوم القرآن والحديث ، والتفسير ، والفقه ، وعلوم اللغة العربية ، والادب ، والتاريخ . (٤)

وقد كانت اسطوانات وسوارى المسجد الحرام مستندا لظهور العلماء والفقهاء والادباء والمحدثين والمفسرين وكان

-
- (١) خير الدين وانلى : المسجد فى الاسلام ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٥ .
 (٢) محمد المجذوب : رسالة المسجد قديما وحديثا (بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ص ٤٨٣ .
 (٣) المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف ، ص ١٨٧ .
 (٤) الفاسي : العقد الثمين ، ١١٩/٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٢٨ ؛
 السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٦٣-٦٢/٢ ، محمد الحسيني :
الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ، الكويت ١٩٧٣م ، ص ٣٧-٣٨ ؛ حمزة يونس : رسالة المسجد ، ص ٥١١ .

الطلاب يتحلّقون حولهم ويذهلون من علمهم وفقهم ، وقد وصف
ابن جبير فى رحلته الى مكة هذه الحلقات العلمية التى كانت
تُعقد فى المسجد الحرام حيث قال : "والحرم مُحَدَّقٌ بحلقات
المدرسين وأهل العلم" .^(٢)

كما أن كتب التراجم قد حددت الأماكن التى كانت تُعقد
فيها هذه الحلقات : فيذكر الفاسى أن العالم أحمد بن على
القيسى ، وهو أحد علماء القرن السادس الهجرى ، قد درس على
يديه كثير من العلماء فى قبة الشراب داخل المسجد الحرام .^(٣)
وكانت ساحات المسجد الحرام تُعج بالكثير من الطلاب
والمدرسين والعلماء الذين قدموا الى مكة للاستفادة
والدراسة على أيدي علمائها وفقهائها . فكان لكل هؤلاء دور
كبير فى النهوض بالحركة العلمية .

كما أن مكة المكرمة كانت محطة لمرور العلماء
القادمين من شتى الاقطار الاسلامية فقلما نجد ترجمة لاي عالم
من علماء المسلمين فى تلك الفترة الا وقد ذكر أنه جاور أو

-
- (١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٧ : خير الدين وانلى :
المسجد فى الاسلام ، ص ١٦٥ .
- (٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٨ : باقاسى : بلاد الحجاز ،
ص ١٠١ .
- (٣) الفاسى : العقد الثمين ، ١٠٦-١٠٥/٣ .
وقبة الشراب هى قبة كانت تقع فى الجهة الشرقية من
المسجد الحرام بجوار قبة زمزم كان يستقى منها الناس
فى رمضان ويجرى اليها الماء فى قناة تحت الارض من قبة
زمزم وبازائها بيت صغير هو مخزن الكعبة وليس فى
المسجد الحرام فى تلك الفترة بنية سوى هذه الثلاث .
انظر : الجاسر : فى رحاب الحرمين ، (مجلة العرب
السنة العاشرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ج ٩-١٠) ، ص ٧٣٦ .
- (٤) ابن الابار : تكملة الصلة ، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ،
محضه عزت العطار الحسينى ، ١٦٧-١٦٨ : السبكى :
طبقات الشافعية الكبرى ، ٢٩/٤ .

مر بمكة المكرمة ليتلقى العلم بها أو ليحصل على إجازة علمية من أحد علمائها الذين كانت لهم حلقات علمية بالمسجد الحرام .^(١)

وقد كان نظام الحلقات هو النظام المتبع في الدراسة في معظم البلدان الإسلامية في تلك الفترة ، وكانت هذه الحلقات وسيلة هامة من وسائل نشر العلم والثقافة بطريقة سهلة وميسرة وذلك مما أوجد الرغبة لدى الكثيرين من الناس في تلقي العلم ونشره .^(٢)

فكان الطلاب يقبلون على الحلقة التي يريدونها وعلى الشيخ الذي يريدون السماع منه ، فلم تكن الدراسة تسير على منهج معين ومقرر بل كان الشيخ الذي يعقد الحلقة هو الذي كان يقرر ما يريد تدريسه لطلبته ، وهو الذي يختار المنهج الملثم لهم ، فكانت الحلقات العلمية تكبر أو تمغر على حسب قدر المعلم أو تبحره في العلوم التي يلقيها على الطلاب ، ولم يكن هؤلاء المعلمون أو الشيوخ الذين نصبوا أنفسهم للتدريس في المسجد الحرام يحتاضون راتباً معيناً من أمير مكة أو من أي حاكم آخر لقاء تدريسيهم في المسجد الحرام ،

-
- (١) أبو القاسم خليف بن عبد الملك ابن بشكوال : كتاب النملة ، القاهرة ١٩٦٦م ، ٧٤/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٨/١٢ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة العباسية ، ص ٥٢٠ .
- (٢) حسن عبد العال : التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة ، ص ١٢٩ .
- (٣) المالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الإشراف ، ص ١٨٧
- (٤) لطيفة محمد البسام : الحركة العلمية في الحجاز من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العباسية ، رسالة ماجستير جامعة الملك سعود ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٥٤ .

ولم يأخذوا أيضا من الطلبة راتبا أو صدقة أو زكاة بل كان تعليمهم لله وفى سبيل الله ، فأصبح التعليم فى تلك الفترة فى متناول الجميع ، وذلك مما شجع الكثير من أهالى مكة و لمناطق المجاورة لها على الاقبال على هؤلاء المدرسين للدراسة على أيديهم .

كما أن المسجد الحرام كان مقرا ومكانا للقاء المحاضرات والنشاطات الثقافية التى يشارك بها كبار العلماء الوافدين الى مكة ، حيث كان هؤلاء العلماء يقومون بالقاء المحاضرات العديدة ، فكل واحد منهم يلقي محاضرة فى المجال الذى كان متخصصا فيه ، وقد شهدت ساحات المسجد الحرام كثيرا من هذه المحاضرات والخطب الدينية والثقافية (٢) وقد ذكرت كتب التراجم والوفيات أسماء كثيرين من العلماء الذين قدموا الى مكة للمشاركة فى نهفتها العلمية ، فلقد قدم اليها العالم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م وقام بالقاء بعض المحاضرات والخطب وعقد مجلسا للوعظ والارشاد بالمسجد الحرام وذلك طوا فترة اقامته بمكة (٣) المكرمة .

كما أن الامام عبد الملك بن عبد الله الجويى قدم الى مكة فى القرن الخامس الهجرى وكرّس معظم وقته بها فى

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، ص ١٤٠ ، ج ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٣٩ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ٥٢/٢ ، ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب ، ١٤٨/٤ ، الرشيدى : حسن المقابلات والابتهاج ص ١١٦ .

(٣) الجزيرى : الدرر الفرائد ، ١٨١٥-١٨١٦م ، الرشيدى : المصدر السابق نفسه والصحة نفسها .

(١)

التدريس والافتاء والقاء المحاضرات بالمسجد الحرام .

وقدم الى مكة أيضا الامام أبو حامد الغزالي والذي كان لمشاركته لعلماء مكة أثر عظيم في النهوض بالحركة العلمية (٢)
الموحدة بها .

لذلك كانت مكة المكرمة في عهد أمراء الهواشم من أهم البلدان والمناطق التي كان يقمدها العلماء من شتى الاقطار اذ كان العلماء يتنقلون بين العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس والحجاز واليمن وخراسان والهند وفارس وماوراء النهر . وكان هؤلاء العلماء يقومون بهذه الرحلات لياخذوا العلم على أيدي كبار العلماء والائمة الذين كانوا قد تفرقوا في الامصار الاسلامية . وكانت قيمة الطالب في تلك العترة تُقدَّر بما قام به من رحلات وبما قام به من لقاء لكبار الشيوخ والعلماء . وكان من بين هؤلاء الطلاب الذين قدموا الى مكة لتلقي العلم على أيدي شيوخها وعلمائها المؤرخ أبو بكر الخطيب صاحب كتاب تاريخ بغداد حيث قرأ صحيح البخاري في خمسة أيام فقط على يد عالمة مكة المشهورة كريمة المروزية . (٥)

- (١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ١٩٦/٢ ، الفاسي : العقد الثمين ، ٥٠٧/٥ .
 - (٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٨٩/٢ .
 - (٣) ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ط ٣ ، ٣٧٦/٢ .
 - (٤) حسن عبد العال : الضريبة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ١٥٦ .
 - (٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ٢٩/٤ .
- كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية أم الكرام كانت عالمة ومتبحرة في العلم سمع منها جماعة من الاميان منهم الخطيب البغدادي ، وماتت وهي بكر لسم تزوج سنة ٤٦٥هـ/١١٦٩م ، وقيل سنة ٤٦٣هـ بعد أن بلغت مائة عام .
- انظر الفاسي : العقد الثمين ، ٣١٠/٨ .

كما قدم اليهما أيضا بطلال بن أحمد الرُّكْبِي من اليمن حيث استمر مجاورا بها أربع عشرة سنة قضاها في تلقى العلم بها فلم يترك أحدا من القادمين والمقيمين بمكة لديه علم ومعرفة الا وقد أخذ العلم عنه . وكثيرا ما يقرأ في كتب تراجم علماء تلك الفترة هذه العبارات : كان رحالا في طلب العلم - وطاف في البلدان - ورحل حاجا فحضر مجالس الحديث بالحرمين الشريفين - وتلقى العلم على أئمة العلماء والفقهاء في أمهات العواصم الاسلامية من أمثال مكة وبيت المقدس وبغداد والبصرة ، وكان لهذه الرحلات ، التي قام بها العلماء أشرف في سرعة انتقال العلوم والمعارف والمؤلفات العلمية الى جميع أنحاء العالم الاسلامي . وقد كان الدارسون بالمسجد الحرام وبمدارس مكة في تلك الفترة لا يحصلون بعد دراستهم على شهادات دراسية بل كانوا يحملون على اجازات علمية من أساتذهم وشيوخهم ، وكانت هذه الاجازة عبارة عن الاذن الذي يمنحه الشيخ أو المدرس لطالبه ليقوم بمهنة التدريس أو رواية الاحاديث المأذون له في روايتها ، ويشترط

-
- (١) الفاسي : العقد الشميين ، ٣/٣٧٦ ؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط ١ ، القاهرة ١٣٢٦هـ ، ص ١٧-١٨ .
 (٢) حسن عبد العال : التربية الاسلامية في القرن الرابع ، ص ١٥٦ .
 (٣) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ١/١٦٧-١٦٨ .
 (٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٢٠ .
 (٥) حسن عبد العال : المرجع السابق والصفحة .
 (٦) أحمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٢١٩ ؛ مالكي : بلاد الحجاز ، ص ١٨٨ .
 (٧) ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٤٧٧ ؛ حسن عبد العال : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

أن يكون المجيز عالما بما يجيز به ثقة في دينه ، معروفا
بالعلم والمعرفة كما يشترط في طالب الاجازة أن يكون من طلاب
العلم المجدين والمثابرين وذلك حتى لا يوضع العلم الا عند
(١)
أهله .

وكان بمكة في تلك الفترة كثير من العلماء والمشايخ
المشهورين بالعلم والمعرفة حيث كان الطلاب يفدون اليهم من
جميع أرجاء العالم الاسلامي وذلك حتى يستجيزوهم في العلوم
التي برعوا فيها ، أما الطالب الذي يتعذر حضوره فانه كان
يرسل الى الشيخ أو العالم ، الذي يريد منه الاجزة ، رسالة
يطلب منه منحه تلك الاجازة بالمراسلة فكان العالم لا يمانع
في ارسال ذلك له طالما أنه يرى أنه جدير بتلك الاجازة .
(٢)
وكانت هذه الاجازات تتضمن التعريف بالعالم وموطنه وشيوخه
الذين درس عليهم ، وموضوع الاجازة ، كما تحمل اسم طالب
العلم المحاز ، وتوقيع العالم وخاتمه ، وتاريخ الاجازة .
(٣)
كما أن الطلاب المقيمين بمكة المكرمة كانوا يجدون في
فريضة الحج فرصة لهم للالتقاء بعلماء وأئمة العالم الاسلامي
المشهورين والاختذ عنهم والحصول منهم على اجازات علمية
(٤)
تؤهلهم للتدريس في ساحات المسجد الحرام .

-
- (١) الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ص ٣٩ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ١٥٣-١٥٢/٢ .
(٣) عبد الكريم كريم : بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية
المدونة (دراسات في تاريخ الجزيرة ، الجزء الاول) ،
ص ٤١٣ .
(٤) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ٤٢٦/٢ ؛ ابن الأبار :
تكملة الصلة ، ٨٢-٨٣/١ .

وهكذا كان للمسجد الحرام دور علمي كبير لم تقتصر
فائدته على المكيين أنفسهم ، بل نهل من هذه المدرسة علماء
(١)
من شتى البلدان الاسلامية .

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة
المكرمة ، ص ٣٩ .

المجاورون بمكة المكرمة ودورهم العلمى .

كان العلماء يفتدون الى مكة من شتى الاقاليم الاسلامية ليؤدوا لفريضة التى امرهم الله بأدائها ، لذلك أصبح موسم الحج فرصة للقاء العلماء من كافة الاقطار الاسلامية ان انهم كانوا يتدارسون العلوم فيما بينهم ويأخذون عن بعضهم كثيرا من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والعربية . ثم يعود أكثر هؤلاء العلماء الى بلادهم وهم حاملون معهم ما وجدوه بمكة من كتب وعلوم ومعارف وأحاديث . أما بعض هؤلاء العلماء فكان يُفَضَّلُ الإقامة والبقاء بمكة بجوار بيت الله الحرام ،^(١) ومن هنا نشأ ما عرف فى التاريخ الاسلامى باسم المجاورة فكانت الغاية من هذه المجاورة الانقطاع للعبادة والطاعة وطلب العلم والمعرفة بجوار بيت الله الحرام . ولقد كان لهؤلاء المجاورين أثر علمى كبير بمكة المكرمة حيث أسهموا فى الحركة العلمية الموجودة بها وهذا ما جعل مكة المكرمة فى تلك الفترة تمبج واحدة من البلدان التى تُشَدُّ إليها الرحال^(٢) لطلب العلم والمعرفة .^(٣)

ومما ينبغى الإشارة اليه أنه كان لعلاقات مكة الخارجية أثر فى اجتذاب عدد كبير من المجاورين اليها وخاصة المصريين وذلك بسبب الارتباط الوثيق الذى كان يربط أمراء

-
- (١) على حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٢ .
 (٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ١٣٣/٩ ، السزلى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٣٧-١٣٩ .
 (٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ٢١٩/٨ ، الفاسى : العقد الشميين ، ٥٥/٥ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٣٠٤/٤-٣٠٥ .

الهواشم بالخلفاء الفاطميين حكام مصر فى تلك الفترة . هذا
بالإضافة الى قرب المسافة التى كانت تربط مكة المكرمة
بالقاهرة ، ولكن ذلك لايعنى أن المجاورة كانت قاصرة على
المصريين فقط وإنما كان هناك مجاورون قد قدموا الى مكة من
العراق والشام والمغرب والأندلس والجزائر واليمن وبلاد
ماوراء النهر .^(١)^(٢)^(٣)^(٤)^(٥)

وكان السبب فى قدوم هؤلاء المجاورين الى مكة والمدينة
بالذات العامل الدينى وهو وجود الحرمين الشريفين بهما
فكان هؤلاء المجاورون يقضون معظم وقتهم فى الصلاة والعبادة
فى هذين الحرمين ، كما أن هاتين المدينتين المقدستين
كانتا بعيدتين عن الحروب والفتن السياسية التى كانت
موجودة فى المناطق الأخرى . فتذكر بعض المصادر أن الفقيه
زيد بن عبد الله اليفاعى قدم الى مكة هاربا من اليمن وذلك
بسبب الفتن والاضطرابات التى كانت موجودة بها وكان قدومه
إليها فى عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م واستمر بعد ذلك مجاورا بها اثنى
عشر عاما . كما أن هناك عدة عوامل أخرى قد شجعت علماء
وأدباء البلدان الإسلامية على القدوم الى مكة والمجاورة بها

- (١) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٧ .
- (٢) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٩ .
- (٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٤٢٦/٤ ، ٥٢٠/٥ ، ١٤/٦ ؛ ابن
العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٢٥٣، ١٠٦/٤ .
- (٤) الاسنوى : طبقات الشافعية ، ٢١٣/١ ، ٢١٤ .
- (٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ١١٤/٨ .
- (٦) باقاسى : بلاد الحجاز فى العصر الأيوبي ، ص ١٠٢ .
- (٧) الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٩-١٢٠ ؛ الاسنوى :
المصدر السابق ، ٥٦٢/٢ ، ٥٦٣ ؛ الفاسى : المصدر السابق
، ٤٨١-٤٨٠/٤ .

وهى أن هؤلاء العلماء قد أرادوا أن يكون لهم نصيب وافر من تلك النفقات والمدقات التى كان يرسلها خلفاء وأمراء وسلاطين وتجار اسدول الاسلامية الى مكة المكرمة ، هذا (١) بالإضافة الى أن هؤلاء الأمراء والسلاطين والتجار قاموا ببناء كثير من الأربطة والمدارس بمكة المكرمة فكان ذلك حافزا لهؤلاء المجاورين على القدوم الى مكة طالما أنهم قد وجدوا بها المدارس التى يدرسون بها والأربطة التى يعيشون فيها ، (٢) ولم تكن هذه الأربطة مجرد اقامة لهؤلاء المجاورين فقط وإنما كانت تعقد فيها حلقات التدريس وتوضع بها الكتب القيمة (٣) والنفيسة وهذا ما جعل علماء مكة وطلابها يرتادون هذه الأربطة ليطلعوا على ماتحويه مكتباتها من كتب وعلوم هامة . ومن بين الأربطة الموجودة بمكة فى تلك الفترة :

(١) رباط السِّدرة :

ويعد هذا الرباط من أقدم الأربطة التى بنيت بمكة فقد ذكر أنه كان موقوفا فى عام ١٠٠٩هـ / ١٠٠٩م وكان هذا الرباط (٥) يقع بالجانب الشرقى للمسجد الحرام .

- (١) السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٢٢ .
- (٢) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .
- (٣) الفاسي : العقد الشمين ، ١٨٢/٣ .
- (٤) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٦٤/٢ ، عبد الله الماجد : المكتبات فى جزيرة العرب (مجلة العرب ، السنة الثانية ، رجب ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) ، ص ٨٩٤ .
- (٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٢٧/١ .

(٢) رباط الخزامية :

ويعرف أيضا باسم رباط الدمشقية وهو خاص بالعلماء والقراء والفقراء القادمين من دمشق والعراق وقد تأسس ذلك (١)
الرباط سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م .

(٣) رباط السبئية :

(٢)
كان هذا الرباط موجودا بمكة منذ عام ٥٢٩هـ / ١١٣٤م .

(٤) رباط رامشت :

لقد أوقف هذا الرباط الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين بن شبرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي المعروف (٣)
برامشت ، وقد سمي هذا الرباط برباط رامشت نسبة الى كنيته وقد أوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م وكان هذا الرباط يقع بجانب المسجد الحرام وكان مخصصا ومقصورا على الرجال (٤)
القادمين من بلاد العراق .

-
- (١) الفاسي : المدر السابق ، ٥٣٥/١ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ١٢٢/١ - ١٢٣ .
(٣) رامشت بن الحسين بن شبرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي يكنى أبا القاسم واسمه إبراهيم ، كان من أعيان تجار العجم وخيارهم وله في الحرم مآثر منها الميزاب الذي عمه الكعبة المشرفة والكسوة التي كلفت ثمانية عشر ألف مثقال من الذهب . توفى سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م . ودفن بالمعلاة بمكة المكرمة .
انظر : الفاسي : العقد الثمين ٣٨٥/٤ .
(٤) الفاسي : شفاء القرام ، ٥٣٠/١ ؛ ابن فهد : اتحاف الوري ، ٥٠٤/٢ ؛ محمد القمير : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(٥) رباط الأرسوفى :

يرجع تاريخ انشاء هذا الرباط الى عام ٥٧١هـ/١١٧٥م
(١)
وذلك حينما أمر التاجر عبد الله بن محمد الأرسوفى ببنائه
وايقافه على الفقراء والمساكين ، كما أمر بان يكون خاصا
بالرجال دون النساء واشترط أيضا على ساكنيه أن لا تتجاوز
اقامة كل منهم فى هذا الرباط ثلاث سنوات فقط وذلك لإفساح
(٢)
المجال لغيرهم من المحتاجين للسكن فى هذا الرباط .

(٦) رباط المراغى أو القيلانى :

لقد أمر القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن عدد
(٣)
الرحيم المراغى سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م بإيقاف ذلك الرباط الملاق
(٤)
للمسجد الحرام من جهته الشرقية والواقع عند باب الجنائز .

- (١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بالعفيف
 والمعروف بالأرسوفى وذلك نسبة إلى مدينة أرسوف بالشام
توفى سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م . انظر :
الفاسى : العقد الثمين ، ٢٤٧/٥ .
(٢) الفاسى : شعاع الغرام ، ٥٣٦/١ .
(٣) هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم القاضى صدر
الدين أبو بكر المراغى كان من أعيان أهل زمانه فضلا
وتقدما اشتهر بكثرة ماله وحسن هيئته . كانت له آثار
حسنة بالحرمين . توفى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م . انظر :
الفاسى : العقد ، ٦٦/٢ .
(٤) وهذا الباب هو أحد أبواب المسجد الحرام فى تلك
الفترة وقد سمي بباب الجنائز لأن جنائز الموتى كانت
تخرج من ذلك الباب ، أو لأن الجنائز كان يصلى عليها
عند ذلك الباب الذى يعرف اليوم باسم باب السلام .
انظر : الفاسى : شعاع الغرام ، ٣٨١/١-٣٨٢ ؛ الفجر :
تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

وقد عرف هذا الرباط أيضا باسم رباط القيلاني وذلك نسبة الى شخص معروف بمكة يدعى القيلاني حيث كان يقيم فى هذا الرباط طوال وجوده بمكة المكرمة .^(١)

(٧) رباط الخاتون :

أوقفت هذا الرباط الخاتون الشريفة فاطمة بنت الأمير أبى لىلى الحسنى سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م وقد عرف هذا الرباط فيما بعد باسم رباط ابن محمود ويبدو أنه قد سمى بذلك الاسم نسبة الى أحد الأشخاص الذين كانوا يقيمون به . وكان هذا الرباط يقع عند باب العمرة ، وقد أُشْتُرط أن يكون خاصا بالرجال^(٢) المالحين من العرب والعجم .

(٨) رباط قايماز :

وقد أوقف هذا الرباط الأمير قايماز بن عبد الله بن قليج ارسلان السلجوقى وهو أحد أمراء سلاجقة الروم حيث أوقفه عام ٥٧٨هـ / ١١٨٢م وقد اشترط فى وقفه أن يكون خاصا بجميع^(٣) المقيمين والمجاورين والمنقطعين للعبادة بمكة من الأحناف .

(١) القاسى : المصدر السابق ، ٥٢٦-٥٢٧ .
(٢) القاسى : المصدر السابق ، ٥٢٩/١ ، باقاسى : بلاد الحجاز ، ص ٩١ .
(٣) القاسى : العقد الشمين ، ٨٣-٨٤ ، ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٥/٢ .

(٩) رباط أم الخليفة العباسي الناصر :

أوقفت هذا الرباط أم الخليفة العباسي الناصر وذلك سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م وقد اشترطت أن يكون قاسرا على الفقراء والصوفية ومن يثبت أنه من ذوى التقى والعبادة وصلاح .
(١)

(١٠) رباط ابن السوداء :

وقد سمى هذا الرباط بذلك الاسم نسبة الى أحد الأشخاص الذين كانوا يسكنون به وقد أوقفت هذا الرباط كل من خديجة ومريم ابنتى القائد أبى ثمر المبارك بن عبد الله القاسمى وذلك سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م وقد اشترطتا فى وقفيته أن يكون خاصا بالنساء الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب .
(٢)

(١١) رباط ربيع :

أوقف هذا الرباط التاجر ربيع بن عبد الله بن محمود الماردينى وكسان السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن

-
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٥٢٧/١ .
(٢) خديجة ومريم هما ابنتى القائد المعروف بمكة أبى شامر المبارك القاسمى المكنى أبا حسن وألذى توفى يوم السبت التاسع من رمضان لعام ٥٧٥هـ/١١٧٩م ودفن بالمعلاة مقبرة أهل مكة وترجم على حجر قبره بالقائد . والقاسمى نسبة الى أمير مكة القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم . انظر :
الفاسى : العقد الشمين ، ٣٩٤/٣ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ٥٣٧/١ .

(١)
السلطان صلاح الدين الايوبي قد أوكله ببناء هذا الرباط
والإشراف عليه وأمره بأن يكون هذا الرباط وقفا على من نشئت
اعماره وفقره من المسلمين ، وقد تم انشاء هذا الرباط في
(٢)
عام ٥٩٤هـ / ١١٩٧م .

(١٢) رباط الزنجيلي :

لقد أمر بإنشاء هذا الرباط الأمير عثمان بن علي
الزنجيلي نائب السلطان صلاح الدين الايوبي على عدن وتم بناء
هذا الرباط عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م واشترط في وقفيته أن يكون
مأوى ومسكنا لجميع المحتاجين من اتعا مذهب الامام أبي
(٣)
حنيفة المقيمير بمكة المكرمة .

فكان لهذه الاربطة جميعا دور علمي كبير لانها كانت
عاملا من العوامل التي شجعت علماء البلدان الاسلامية الذين
كانت لحكوماتهم علاقة طيبة بأمراء مكة ، على القدوم الى

-
- (١) السخاوي : النفحة اللطيفة ، ٦١/٢ .
علي بن يوسف بن أيوب الملك الأفضل بن السلطان الناصر
صلاح الدين الايوبي ، تولى دمشق بعهد من أبيه واستمر
بها مدة حتى أخرجه منها أخوه الوزير عثمان وعمه
العادل أبو بكر ثم ولي نيابة السلطنة بمصر عن ابن
أخيه العزيز فجاء اليه عمه العادل فأخرجه منها ومكث
بعد ذلك بأحد المدن المصرية حتى توفي سنة ٦٢٢هـ /
١٢٢٥م . وكان سمحا حادبا كريما رحيفا عالما بالعفائل
فعالا للمكارم . انظر :
الفاقي : العقد الثمين ، ٢٧٥-٢٧٦ .
(٢) الفاقي : شفاء الغرام ، ٥٣٤/١ ، باقاسي : بسلاد
الحجاز ص ٩٣ .
(٣) الفاقي : العقد الثمين ، ١١٩/١ - ١٢٠ ، ابن فهد :
اتحاف السوري ، ٥٤٩/٢ ، جميل حرب : الحجاز واليمن ،
ص ١٩٧ .

مكة والمشاركة في نهضتها العلمية ، فكانت تقام في هذه
الأربطة الحلقات العلمية وتُعقد بها الدروس العديدة ، فقد
ذكر أن العالم أبي الفتح الكروخي كان يُدرّس عدداً من الطلاب
في رباط أم الخليفة العباسي الناصر وكان من بين الطلاب
الذين درسوا على يديه العالم أحمد بن سعد التجيبي المعروف
بالأقليشي حيث درس عليه جامع الترمذي واستفاد ذلك العالم
من العلوم والمعارف العديدة التي درسها في أربطة مكة وقت
مجاورته بهاء وأصبح من العلماء الكبار الذين اشتهروا
بتمانيفهم العديدة حيث ألف عدة مؤلفات منها كتاب الكواكب
وكتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم ، وكتاب الغرر من
كلام سيد البشر ، وكتاب فياء الأولياء . ولم تكن هذه هي
المؤلفات الوحيدة للعلماء الذين قدموا إلى مكة وحاوروا بها
بل كان هناك عدة مؤلفات وممنفات لو تَبَعَتْ لاحتاجت لبحث
مستقل بها .

هذا ولم تقتصر الدراسة بمكة على تلك الحلقات العلمية
التي كانت تُعقد في المسجد الحرام وفي الأربطة التي أُوقعت
بها . بل كان للكتاب دور علمي كبير فقد وجد الكتاب حنبا
الرجب مع المسجد الحرام ، وأسهم في الحركة العلمية
الموحودة بمكة . والكتاب كلمة تطلق على تلك المؤسسة
التعليمية التي وجدت في المجتمع الاسلامي لتقوم بتربية صغار
المتعلمين القراءة ، والكتابة ، وتعليم الخط ، وتحفيظ

(١) ابن الأبار : تكملة الملة ، ٦٠/١-٦١ .
(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ١٨٢/٣-١٨٣ .

(١) القرآن الكريم . وتعليم قواعد اللغة العربية . أما القراءة والكتابة فكانت تعلم للمبنيان في دراسة الشعر والأدب التي تعتبر في هذه المرحلة مواد مساعده ، اذ يبدأ تعلمهم بالحروف الهجائية ثم الحروف المحركة بالحركات المختلفة ، ثم دراسة أرقام الحروف الأبجدية . ويتم ذلك بأن يقوم مدرس الكتاب بكتابة ثلاثة أو أربعة أحرف من الحروف الهجائية على لوح الطالب ، وكل حرف مكتوب ثلاث مرات ولكنه مختلف التشكيل فيه علامة الفتح ، والضم ، والكسر ، ويطلب من المبنى قراءة ذلك عدة مرات حتى يتم له حفظها . أما (٢) تعليمهم وتحفيظهم للقرآن الكريم فيبدأ المدرس بتدريس طلابه السور القصيرة من القرآن الكريم وأول سورة يبدأ بقراءتها عادة سورة الفاتحة ثم يندرج في السور القصار حتى يتم جزء عم ، ومن ثم ينتقل الى تعليم بقية الأجزاء . (٣)

-
- (١) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٤٩-٥٠ . محمد الحسن : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية . ص ٣٢-٣٣ .
- (٢) محمد حلمي محمد أحمد : الحياة العلمية في مصر والشام (المجلة التاريخية المصرية مجلد ٧ ، ١٩٥٨م) ، ص ٧ .
- (٣) عبد اللطيف عبد الله بن دهاش : الكتاب في الحرمين الشريفين ، ط ١ ، مكة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٤٧ .
- (٤) نفس المرجع والمفحة .

المدارس بمكة المكرمة ودورها العلمى .

لقد أنشئت المدارس بمكة المكرمة لتسهم فى تربية المقيمين بها وتعليمهم وتشقيفهم .

واذا كانت المدارس الاسلامية قد بدأت فى الظهور منذ منتصف القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى ، فان ظهورها بمكة لم يبدأ الا فى الربع الاخير من القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى .^(١)

وكانت المدارس بمكة منذ انشائها قد اعتنت واهتمت بتدريس العلوم الدينية كالحديث والتفسير ، والفقه ، وعلوم التصوف ، والعلوم العربية وقليلاً ما تذكر كتب التراجم أن عالماً أو طالباً قد درس بمكة الشعر والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة .^(٢)

ومنذ أن بدأ الاهتمام بإنشاء المدارس بمكة كانت تلك المدارس موزعة بين المذاهب الأربعة الرئيسية . هذا وكان يوجد بمكة أبان عهد العواشم ثلاث مدارس هى

(١) مدرسة الأرسوفى :

وتعد هذه المدرسة من أقدم المدارس التى أنشئت بمكة

(١) عبد الرحمن صالح : المرجع السابق ، ص ٥٩ .
(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٣ .

المكرمة ويرجع الفضل في انشاء تلك المدرسة الى العفيف عبد
(١)
الله بن محمد الارسوفى .

ولم توضح المصادر التى بين أيدينا تاريخا محددا
لانشاء تلك المدرسة ولكن يبدو أن الارسوفى قد أسسها في
الوقت الذى بنى فيه رباطه بمكة فى عام ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، وبقد
كانت هذه المدرسة تقع بالقرب من باب العمرة وكان من بين
المدرسين الذين درّسوا بها العالم ناصر بن عبد الله بن عبد
الرحمن المصرى وهو أحد علماء مصر الذين قدموا الى مكة
(٢)
وقضى معظم عمره مجاورا بها .

(٢) مدرسة الزنجيلى :

أنشئت هذه المدرسة سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م . وقد قام الأمير
عثمان بن على الزنجيسى بانشائها فى العام نفسه الذى أوقف
فيه رباطه بمكة وكانت هذه المدرسة قد خصت لتدريس العلوم
الدينية على مذهب الامام أبى حنيفة ، وقد بنيت هذه المدرسة
عند باب العمرة على يمين الداخل للمسجد الحرام ، وكان من
(٣)
بين المدرسين السذين أسندت اليهم مهمة التدريس بتلك
المدرسة العالم والفقهاء صديق بن يوسف بن قريش ، وهو أحد

-
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ٥٢٦/١ - ٥٢٧ ؛ عبد الرحمن صالح
تاريخ التعليم فى مكة ، ص ٥٩ .
(٢) الفاسى : المصدر السابق ، ٥٣٦/١ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٣١٦/٧ - ٣١٧ .
(٤) الفاسى : المصدر السابق ، ٣٤/٦ - ٣٥ ؛ بامخرمة : تاريخ
شجر عدن ، ١٣١/٢ - ١٣٢ ؛ أبو شامة : الروضتين ، ٢٦/٢ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ٥٤٩/٢ .

العلماء الذين قدموا الى مكة لاداء فريضة الحج وفل الاقامة
(١)
والمجاورة بها .

(٣) مدرسة طاب الزمان الحبشية :

لقد أسست هذه المدرسة طاب الزمان الحبشية عتيقة
(٢)
الخليفة العباسي المستضيء وذلك سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م وقد خصت
(٣)
هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية على المذهب الشافعي .

-
- (١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣٥/٥ .
(٢) ابن فهد : الممدر السابق ، ٥٥٣/٢ .
(٣) الفاسي : الممدر السابق ، ١١٧/١ ؛ المالكي : بلاد
الحجاز ، ص ١٩٢ .

المكتبات الموجودة بمكة فى عهد أمراء الهواشم .

لقد كان بمكة فى عهد أمراء الهواشم مكتبتان تذكوران بالكاتب النفيسة التى يجلبها علماء البلدان الإسلامية معهم أثناء قدومهم الى مكة المكرمة ومن أهم المكتبات التى كانت موجودة بمكة فى تلك الفترة مكتبة الحرم المكى الشريف فقد كانت هذه المكتبة تضم العديد من الكتب المتخصصة فى شتى العلوم والمعارف ولكن هذه الكتب لم تحفظ فى غرف خاصة وإنما كانت موضوعة فى دواليب فى دوائر حائط الحرم المكى . وقد كانت هذه الدواليب مكشوفة وهذا ما أثر على الكتب الموجودة بها وخاصة حينما داهمها السيل الذى دخل المسجد الحرام سنة ١٢٦٧هـ / ١٠٢٦م^(١) والذى أدى فى النهاية الى اتلاف جزء كبير من هذه الكتب .

ولاشك أن تلك الحادثة قد جعلت العلماء يتنبهون لذلك فيما بعد ويحرصون على وضع الكتب والمراجع فى خزائن خاصة وذلك لحمايتها من أى طارئ قد يطرأ عليها ، وفى عام ١٢٥٨هـ ١١٩٢م قام امام مقام المالكية بالمسجد الحرام الشيخ محمد ابن عبد الله بن الفتوح بن محمد المكناسى بإنشاء خزانة^(٢) للكتب الدينية الخاصة بالمذهب المالكى وكان من أهم الكتب التى أوقفها بتلك الخزانة كتاب المقرب لابن زمنين المالكى

(١) البحنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٨ .
 (٢) تولى مقام المالكية بالمسجد الحرام سنة ١٢٥٨هـ / ١١٩٢م توفى فى جمادى الاولى سنة ١٢٩٢هـ / ١١٩٥م . انظر :
 القاسى : العقد الثمين ، ٧٤/٢ - ٧٥ .
 (٣) القاسى : المصدر السابق نفسه والمفحة نفسها .

وكان هذا الكتاب مكونا من ست مجلدات ، أما عن مكان تلك الخزانة فقد حققه الرحالة ابن جبير في رحلته حيث ذكر أنها كانت تقع داخل المسجد الحرام بالقرب من باب إبراهيم .^(١)

هذا وكانت بعض الأربطة الموجودة بمكة تضم العديد من الكتب والمراجع التي يحتاجها طلاب العلم والمعرفة فقد كان برباط ربيع مجموعة من الكتب النفيسة ومن بينها الكتب التي أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي في ذلك الرباط كمثال كتاب المجل في اللغة لابن فارس وكتاب الاستيعاب لابن عبد البر .^(٢)

وأصبح رباط ربيع فيما بعد من أحفل الأربطة التي كانت موجودة بمكة من ناحية الكتب ، وأصبح مرتادا لكثير من العلماء والطلاب الذين جاءوا إليه للاطلاع على ما به من كتب نادرة ونفيسة .^(٣)

وكان للمثقفين من الحجاج شغف كبير بالبحث عن الذخائر ونوادر المؤلفات العلمية كما أن بعض الحجاج وخامة حجاج المغرب والأندلس قد نقلوا عن علمائهم في الحرمين ودووا ذلك في مخطوطاتهم ، وقام البعض منهم بشراء العديد من المؤلفات في الموضوعات المختلفة مثل كتاب أخبار مكة للمؤرخ محمد بن عبد الله الأزرقى .^(٤)

-
- (١) ابن فهد : اتحاف السورى ، ٢/٤٨٧-٤٨٨ ؛ عبد الله الماجد : المكتبات في جزيرة العرب ، ص ٨٩٤ .
 - (٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٣ .
 - (٣) ابن فهد : الممدر السابق نفسه ، ٢/٥٦٤ .
 - (٤) الماجد : المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .
 - (٥) محمد المنونى : الجزيرة العربية في الجغرافيا والرحلات المغربية (ضمن أبحاث دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثانى) ص ٣٠١ ؛ عبد الكريم كريم : بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة ، ص ٤١٣ .

مشاهير العلماء والمجاورين بمكة وأهم العلوم التي نبغوا

فيها وأهم مؤلفاتهم العلمية .

لقد كانت العلوم الدينية هي العلوم التي يركز عليها العلماء والطلاب في دراستهم وتدريسهم بمكة المكرمة فقد أقبل الطلاب على دراسة الحديث ، والتفسير ، والفقه ، وعلوم القرآن بالإضافة إلى دراسة العلوم العربية كالنحو والأدب (١) والبلاغة .

وكان المحدثون يعتبرون أكابر العلماء شأنًا وكانوا يعدون من أعظم رجال الإسلام . (٢)

والواقع أن كتب التراجم التي تتعرض للحقبة التاريخية التي نحن بمددها تؤكد لنا على أن هذا العصر كان حافلاً بالشخصيات العلمية العظيمة فكان من بين العلماء الذين برعوا في علم الحديث بمكة المكرمة ، في عهد إمارة الهواشم العالم الحسين بن علي بن الحسين الطبري (ت ٤٩٥هـ/١١٠١م) وكان هذا العالم المكي قد توجه إلى العاصمة العباسية بغداد فأخذ العلم عن كبار شيوخها وعلمائها حيث تفقه على شيخ الشيوخ بغداد في تلك الفترة الإمام أبو اسحاق الشيرازي ، ثم عاد إلى مكة المكرمة ولزم بها التدريس أكثر من ثلاثين عامًا ، وقد تخرج على يديه كثير من العلماء ،

(١) محمد عماد الرحمن الشامخ : التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ، ط ٣ ، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١١ .

(٢) آدم مئز : الحضارة الإسلامية . ص ٣٥٥ .

(٣) الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٤٣ .

(١)

وكان من بين الكتب التي ألفها كتاب "العدة" .

ولقد أقبل عليه طلاب العلم من شتى الاقطار وذلك للاستفادة من علمه والاستحازة منه ، وكان من بين العلماء الذين درسوا على يديه العالم غالب بن عبد الرحمن المحاربى الذى قدم الى مكة ليؤدى فريضة الحج وليلنقى بالعالم الحسين بن على الطبرى وقد تحقق له ما أراد حيث سمع منه صحيح مسلم وعندما أتم الدراسة على يديه طلب منه أن يمنحه اجازة علمية يستطيع بها تدريس ذلك العلم الذى تلقاه منه فحينما رأى الطبرى بأن المحاربى جدير وقادر على تدريس ذلك العلم منحه اجازة علمية بذلك ، كما قدم اليه من الاندلس عبد الله بن محمد الخشنى الذى تتلمذ على يديه وقرأ عليه (٣) صحيح مسلم .

كما نبغ فى علم الحديث بمكة المكرمة أيضا العالم عيسى بن عبد بن أحمد الهروى (ت ٤٩٧هـ/١١٠٣م) الذى درس الحديث على أبيه وعلى عدد من العلماء حتى أصبح عالما ومتبحرا فى علم الحديث فوجد اليه كثير من علماء البلدان الاسلامية وذلك للسمع منه والاخذ عنه وكان ممن قدم اليه الأمير ميمون بن ناسب الصنهاجى ، وهو أحد أمراء المرابطين حيث درس على يديه صحيح البخارى مدة من الزمن ثم عاد الى بلاده . (٤)

-
- (١) القاسى : العقد الثمين ، ٢٠١-٢٠٠/٤ .
وكتاب العدة موضوعه شرحا على كتاب الإبانة للفورانى وهو كتاب نادر الوجود . انظر الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٩ .
- (٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ٤٥٧-٤٥٨ .
- (٣) شمس الدين محمد بن على الداودى : طبقات المفسرين ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ٢٥٤/١ .
- (٤) القاسى : المصدر السابق ، ٤٦١-٤٦٢ .

ومن العلماء الذين اشتهروا بعلم الحديث بمكة في تلك الفترة أيضا العالم عمر بن عبد المجيد القرشي المعروف بالمبانشي (ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) وكان هذا العالم قد رحل الى عدد من البلدان الاسلامية والتقى بكثير من علمائها حتى أصبح من العلماء المحدثين الثقة وانتشر ميثه بين علماء الاقطار الاسلامية وذلك مما جعل عددا كثيرا من طلاب العلم والمعرفة يعدون اليه بمكة المكرمة لدراسة الحديث على يديه ، وكان لهذا العالم مؤلفات عديدة قد استفاد منها الطلاب المهتمون بدراسة ذلك العلم ومن هذه المؤلفات :

"المجالس المكية في الاحاديث النبوية" ، وكتاب "ايضاح مالايسع المحدث جهله" ، وكتاب "الروضة في الرقائق" .^(٢)

كما اشتهر بمكة في تلك الفترة المحدث محمد بن اسماعيل اليمنى المعروف بابن أبي الصيف (ت ٦٠٧هـ / ١٢١٠م) وكان هذا العالم قد قدم الى مكة والتقى بكثير من علمائها وجمع العلم منهم حتى أصبح فيما بعد من كبار علماء الحديث المشهورين بمكة المكرمة ، وأصبح من أشهر العلماء الذين كان يفد اليهم طلاب العلم والمعرفة من شتى الاقطار الاسلامية ليتلقوا العلم على أيديهم .^(٣)

كما اشتهر بمكة المكرمة في تلك الفترة كثير من العلماء الذين نبغوا في علم الفقه وذلك مما جعل الكثير من

(١) القاسي : العقد الشمين ، ٣٣٥-٣٣٤/٦ .
 (٢) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، ٨٣/٣ ؛ السبتي : مستفاد الرحلة والاعترا ، ص ٣٩٢ .
 (٣) القاسي : المصدر السابق ، ٤١٥/١ .
 (٤) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ٥٨٥/٢ .

الفقهاء والمهتمين بدراسة العلوم الفقهية يفدون الى مكة للدراسة على أديبهم ، ومن أشهر علماء الفقه بمكة في تلك الفترة الفقيه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني السيسابوري (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) الذي قدم الى مكة وجاور بها أربع سنين قضى جزءا منها بالمدينة المنورة . وكان طوال إقامته بمكة يدرس^١ فقه الامام الشافعي ويؤم الناس بالصلاة لذلك وصف بإمام الحرمين ، ولقد استفاد منه الفقهاء الموجودون بمكة المكرمة استفادة عظيمة ، ودرس على يده كثير من الطلاب المقيمين بمكة والوافدين اليها ، وكانت له عدة مؤلفات من أهمها كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب"^(٢) كما اشتهر بمكة فقهاء آخرون منهم أبو نصر محمد بن هبة الله البندنجي (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م) وهو أحد العلماء الذين قدموا الى مكة وجاور بها أربعين عاما وكان هذا العالم متخما في علم الفقه لذلك أطلق عليه بمكة لقب فقيه الحرم وقد ألف كتابا في الفقه أسماه "المعتمد في الفقه"^(٣) .

ومن بين العلوم التي نبغ بها العلماء بمكة المكرمة أيضا علم القراءات فقد كان القراء في البلدان الإسلامية يرحلون الى مكة للقراءة على شيوخها والحصول على الإجازات العلمية منهم ، وكان ممن اشتهر بمكة في ذلك العلم المقرئ عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد المعروف بأبي معشر

(١) الفاسي : المصدر السابق ، ٥٠٧/٥ ، المالكي : بلاذ
الحجاز ، ص ٢٠٤ .
(٢) أبو الفدا : المختصر ، ١٩٦/٢ .
(٣) الاسنوي : طبقات الشافعية ، ٢٠٤/١ .
(٤) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ٢٨٠/٢ ، الفاسي : العقد
الشمين ، ٨٢-٨١/٤ .

الطبري (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) وهو مقرئ مكة المكرمة وشيخ القراء بها ، وكان قد رحل الى كثير من البلدان الاسلامية للقراءة على شيوخها حيث قرأ بحران على الشريف أبي القاسم الزيدى وبمصر على أبي العباس بن نعيم ، واسماعيل بن راشد الحداد ، وقرأ أيضا على الحسين بن محمد الأمهاني ، وأبي الفضل الرازي ، وطائفة أسند عنهم في تأليفه التي ألفها في هذا العلم وكان من بين مؤلفاته التي ألفها كتاب "التلخيص" (١) وكتاب "سوق العروس في القراءات المشهورة والغريبة" وكتاب "الرشاد في شرح القراءات الشاذة" وكتاب "طبقات القراء" (٢) وقد قرأ على هذا المقرئ كثير من العلماء الذين قدموا الى مكة ومن بينهم العالم أحمد بن شعبان الكلبي الذي لقب بالبيكي وذلك بسبب طول اقامته بمكة وكان طوال اقامته بها يقرأ القرآن على أبي معشر الطبري ومن ثم غادر ذلك المقرئ مكة متوجها الى اشبيلية فتصدر بها للقراء حيث قرأ عليه هناك كثير من العلماء ، كما قدم على المقرئ أبي معشر الطبري بمكة العالم عبد الله بن عمر بن علي القيرواني ، المعروف بابن العرجاء ، حيث قرأ عليه القرآن بروايات

-
- (١) حران : هي مدينة عظيمة بينها وبين الرها مسيرة يوم وهي تقع على طريق الموصل والشام فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما يطلق اسم حران أيضا على قرية من قرى حلب بالشام ، ويطلق أيضا على قرية بغوطة دمشق . انظر : الحموي : معجم البلدان ، ٢/٢٣٥-٢٣٦ .
- (٢) الحافظ الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ٢/٣٣٩ ؛ العاسي : الممذر السابق ، ٥/٤٧٥ .
- (٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ٥/١٥٢-١٥٣ ؛ الداودي : طبقات المفسرين ، ١/٣٣٨-٣٣٩ .
- (٤) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ١/٥١ .

(١)

عسديدة .

كما أن علم التفسير كان عليه اقبال كثير من علماء مكة والمجاورين به حيث نبغ في هذا العلم عدد كثير من العلماء كآبى معشر لطبرى الذى كانت له مؤلفات عديدة فى ذلك العلم ومن بينها كتاب "الدرر فى التفسير" وكتاب "عيون المسائل" وكتاب "العدد" ^(٢) ، وكان من علماء التفسير بمكة أيضا محمود بن عمر الخوارزمى المعروف بالزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) وكان هذا العالم قد جاور بمكة مدة طويلة من الزمن قضاهما فى التدريس حيث نصب نفسه لتدريس كتابه الذى ألفه فى التفسير وهو كتاب "الكشاف فى تفسير القرآن العظيم" ، ولم يكن ذلك الكتاب هو الكتاب الوحيد الذى ألفه بل كانت له مؤلفات عديدة فى شتى العلوم والمعارف ، وخاصة فى علم اللغة والادب ذلك العلم الذى وجد اقبالا عليه من طلاب العلم بمكة حيث برع فيه عدد كثير من علماء مكة والعلماء القادمين اليها ، وقد ألف الزمخشري عدة مؤلفات فى ذلك الجانب مثل كتاب "أساس البلاغة فى اللغة" وكتاب "المعمل فى اللغة" وكتاب "المفرد والمؤلف فى النحو" وكتاب "شرح أبيات سيبويه" وكتاب "المستقصى فى أمثال العرب" وكتاب "مقدمة الادب" وكتاب "ديوان الرسائل" وكتاب "ديوان الشعر" ، وكان الزمخشري قد استزاد فى ذلك العلم على يد أحد علماء مكة الذين برعوا فى ذلك الجانب من العلم وهو العالم عبد الله

(١) الفاسى : العقد الثمين ، ٢١٧/٥ - ٢١٨ .

(٢) الداوودى : المصدر السابق والمفحة .

(٣) الفاسى : المصدر السابق ، ١٣٧/٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) نفس المصدر والمفحة .

ابن طلحة اليابرى حيث قرأ عليه جميع المؤلفات التى ألفها ذلك العالم كمثل "كتاب سيبويه" وكتاب "شرح رسالة ابن زيدون" .^(١)

وكانت علوم اللغة العربية والآداب تدرس بالمسجد الحرام وفى الكتاتيب أيضا .^(٢)

كما كان لعلم التاريخ نصيب وافر فى الدراسة بمكة المكرمة فى تلك الفترة فقد قدم اليها بعض المؤرخين لاداء فريضة الحج فكان لهؤلاء المؤرخين دور كبير فى النهوض بدراسة ذلك الجانب حيث درس عليهم بعض علماء مكة المتخمين فى الدراسات التاريخية ، فقد ذكرت المصادر أن الامام رزين ابن معاوية بن عمار الاندلسى (ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م) قد جاور بمكة وأثناء مجاورته بها عكف عليه عدد من الطلاب المهتمين بدراسة التاريخ للاستماع منه ، وقد ألف هذا العالم كتابا فى أخبار المدينة المنورة ، وكتابا آخر فى تاريخ مكة المكرمة وقد ذكر مؤرخ مكة تقى الدين الفاسى أنه قد اطلع على ذلك الكتاب وأنه ملخص لكتاب تاريخ الأزرقى .^(٣)

كما قدم الى مكة المؤرخ ابن عساكر صاحب كتاب تاريخ دمشق حيث درس أثناء اقامته بها على أيدى علمائها ، وألف كتابا أسماه فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس .^(٤)

-
- (١) الداودى : طبقات المفسرين ، ٢٣٨-٢٣٩ .
 (٢) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .
 (٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ٦٢/٢ .
 (٤) الفاسى : العقد الثمين ، ٣٩٨-٣٩٩ .
 (٥) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، قسم ١ ، ٣٣٦/٨ .

المرأة بمكة ودورها فى الحركة العلمية .

لقد أسهمت المرأة بمكة فى تلك الحركة العلمية التى اشتهرت بها مكة المكرمة فى عهد إمارة الهواشم ، ولكن اسهامها كان محدودا ، وعلى الرغم من ذلك كان مؤثرا فى كثير من الاحيان ، ولاسيما فى الدين كالحديث والسنة وربما يكون ذلك راجعا الى أن طلب العلم فى تلك الفترة كان يتطلب الكثير من المشاق والمصاعب كالرحلات العلمية وغيرها مما لم يكن للنساء مقدرة كافية للقيام به ، الا ان المرأة فى مكة كانت قد اقبلت بكل طموح على دراسة العلوم الدينية وذلك لكى تتعرف على تعاليم دينها الاسلامى ولتنعم برواية الاحاديث النبوية لذلك اقبل النساء بمكة على رواية الحديث اقبالا عظيما .^(٢)

ولقد برزت بعض أسماء النساء اللاتى لهن دور كبير فى طلب العلم وكن معلمات من الدرجة الاولى وكان اكابر العلماء فى البلدان الاسلامية يلجأون اليهن فى كثير من الامور الدينية ، وكان من أبرز النساء بمكة العالمة كريمة بنت أحمد المروزية (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) وقد اشتهرت هذه العالمة بدراسة الاحاديث اذ انها قد اتمفت بالضبط والفهم والنباهة وكانت تروى بمكة صحيح البخارى واليها انتهى علم الاسناد

-
- (١) أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ، ص ٢٨٢ ؛ لطيفة محمد البسام : الحركة العلمية فى الحجاز ، ص ١٣٥ .
 (٢) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .
 (٣) لطيفة البسام : نفس المرجع السابق والمفحة .
 (٤) اليافعى : مرآة الجنان ، ٨٩/٣ .

(١) للمصحيح ، وهذا ما جعل كثيرا من علماء الحديث يعتمدون عليها ويتلقون العلم على يديها حيث قرأ عليها كثير من الائمة و لعلماء الذين قدموا اليها من شتى الاقطار الاسلامية كالخطيب ، وابن المطلب ، والسمعاني ، وابى طالب الزينبي .
كما اشتهرت بمكة فى تلك الفترة العالمية شمر الضحى بنى محمد بن عبد الجليل بن الساوى (٥٨٣هـ/١١٨٧م) التى قدمت الى مكة للمجاورة بها وقد اتمفت هذه العالمية بالزهد والتعبد وبرعت فى علم الحديث ونبغت به ، ودرس على يديها جماعة من المهتمين بدراسة الحديث .

وفى الختام يمكن القول انه كان لعلاقات مكة الخارجية فى عهد أمراء الهواشم أثر كبير على الحياة العلمية والثقافية بمكة المكرمة ، فالملاحظ أن أكثر العلماء والمجاورين الذين قدموا الى مكة كانوا من الممريين وخاصة فى عهد الخلافة الفاطمية والسبب فى ذلك يعود الى أن مكة فى عهد الهواشم كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بحكومة القاهرة وكان أمراؤها على علاقة طيبة بالخلفاء الفاطميين وكما ذكرنا سابقا أن علاقة أمراء الهواشم بالخلافتين العباسية والفاطمية كان يشوبها نوع من التذبذب ، فتارة كانوا يخطبون للخليفة الفاطمى وتارة للخليفة العباسى فحينما تقام الخطبة لاي من الخليفتين فان ذلك التصرف يغضب الخليفة

-
- (١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ١١١/٨ ، أبو الفداء المختصر فى أخبار البشر ، ١٨٨/٢ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٢٧٠/٨ .
(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ٢٥٦/٨ .
(٤) المالكى : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٧ .

الآخر فيجعله بأمر بإيقاف المعونات والصدقات التي كانت ترسل الى أمراء مكة وعلمائها وفقرائها .^(١)

ولاشك أن ذلك الحصار الذي كان يتخذه كل من الخليفتين ضد إمارة مكة أثر تأثيرا بالغاً على جميع النواحي العامة بمكة بما فيها الناحية العلمية والثقافية حيث تنقل المؤمن والغلال بمكة فترتفع أسعار السلع الموجودة في أسواقها فيعيش أهالي مكة والعلماء الموجودون بها في حالة يرثى لها وذلك بسبب قلة العيش ، ومن البدهى أن تلك الظروف السيئة ، الناتجة عن العلاقات السياسية ، تجعل الكثير من الحجاج والتجار والعلماء يصرفون أنظارهم عن القدوم الى مكة كما تؤدي أيضا الى هجرة الكثير من أهالي مكة بما فيهم العلماء وطلاب العلم الى البلدان الإسلامية المجاورة لها ، وذلك مما يؤدي بدوره الى ضعف الحركة العلمية الموجودة بمكة المكرمة كما أن حسن علاقة أمراء الهواشم بالدول الخارجية كان له دور كبير في ارتفاع الحياة العلمية بمكة فحينما تتحسن علاقة هؤلاء الأمراء بأي من الخلافتين تأتي قوافل الحج المجهزة بكامل التجهيزات الى مكة ، فقد كانت الخلافتان العباسية والفاطمية تمرقان الاموال الكثيرة على تجهيز ركب الحج المنوجه الى مكة وذلك مما شجع الكثير من علماء مصر والعراق وبلاد المشرق ، غير القادرين على تكاليف السفر ،

(١) المقرئى : اتعاظ الحبيباء ، ٨٠/٣ ، الفاسى : شفاء

الغرام ، ٣٦١/٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .

(٢) ابن هدد : اتحاف الوري ، ٤٨٧/٢ .

(٣) خسرو : سفرنامه . ص ١٢٣ .

(٤) المقرئى : المصدر السابق ، ٢٠٣/٢ - ٢٠٤ ؛ الزيلعى :

مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ٨٧ .

على أن يسيروا مع تلك القوافل المتجهة الى مكة لاداء شعيرة الحج والالتقاء بعلمائها والتدريب لطلابها .^(١)

وكانت تلك القوافل الممرية أو العراقية تتوقف عن القدوم الى مكة في بعض الفترات وخاصة في الوقت الذي تسوء فيه علاقة أمراء الهواشم بأي من الخلافتين العباسية أو الفاطمية ، وبذلك يتوقف قدوم العلماء الى مكة المكرمة في تلك الفترة وذلك مما يؤثر بالطبع على الحركة العلمية الموجودة بها .

والحقيقة التي يجب اظهارها هي أن الخلافة الفاطمية قد باتت اهتمامها وحرصها وانحائها على توفير سبل الراحة للعلماء المقيمين بمكة وتأمين جميع احتياجاتهم ومتطلباتهم العلمية فقد أصدر الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيق أوامره بأن ترسل الى مكة المكرمة ألواح المصباح التي يكتبون فيها ولأقلام والحبر وجميع المتطلبات العلمية .^(٢)

ولقد تكفل الفاطميون طوال فترة علاقاتهم بأمراء مكة بارسال جميع احتياجات هؤلاء الأمراء وسكان مكة وعلمائها ، من الأموال والغذاء والكساء ، فواظب الفاطميون على ارسال كل ذلك الا في بعض الفترات التي كانت تعاني فيها بلادهم من الأزمات الاقتصادية الحادة التي أجبرتهم على إيقاف جميع المعونات التي كانوا يرسلونها الى أمراء مكة وعلمائها .^(٣)

(١) ابن الأبار : تكملة الملف ، ١٦٧/١-١٦٨ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٢٠ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٠٣/٤ .
(٣) المقريزي : اشعاط الحنفاء ، ٨٠/٣ .
(٤) المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢١٣ .
(٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ٤٧٢/٢ .

فبالتالى يضطر أمراء مكة الى الاستنجاد بقوى أخرى كالدولة
 المليحية فى اليمن أو الخلافة العباسية ببغداد وذلك
 ليعوضوا نقص الاعطيات الواردة اليهم من ممر . والحقيقة أن
 الخلافة العباسية لم تقصر هى الاخرى فى امداد أمراء مكة
 وأهلها وعلمائها بجميع احتياجاتهم فقد وازلت على ارسال
 تلك المعونات الا فى بعض الفترات التى رأت فيها أن أمراء
 مكة قد صرفوا ولاءهم عنها الى الخلافة الفاطمية بممر
 فيضطرون بذلك الى إيقاف تلك لمعونات عن مكة . ولما سقطت
 الخلافة الفاطمية ، وانتهى التذبذب الذى كان يشوب علاقة مكة
 بالخلافتين ، واصلت كل من الدولتين العباسية والايوبية ارسال
 اعطياتها الى أمراء مكة وعلمائها كل عام . وكان لحسن علاقة^(١)
 أمراء الهواشم بالدولة الايوبية دور كبير فى النهوض
 بالحركة العلمية بمكة ، وقد ذكرت سابقا أن مكة ابان
 السيادة الايوبية عليها قد شهدت أمنا لم تشهده من قبل وذلك^(٢)
 مما شجع الكثير من الحجاج والعلماء على القدوم اليها فى
 تلك الفترة . وذلك مما يؤدى بالطبع الى ازدهار الحياة^(٣)
 العلمية بمكة لأن العلماء قد توافدوا الى مكة ونعموا
 بأمناها واستقرارها فلم تعد تشغلهم تلك الاضطرابات التى
 كانوا يعيشونها ابان فترة التنافس بين الخلافتين العباسية
 والفاطمية على الخطبة بمكة .

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان . قسم ٢ ، ٥١٣/٨ ؛
 السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢٠/٢ .
 (٢) راجع الفصل الثالث ص ٤٣٧ .
 (٣) ابن حبير : الرحلة ، ص ١٠٠ .

وكان السلطان صلاح الدين الايوبي يرسل الاموال والنفقات
 (١) والمؤن والغلال الى امراء مكة وفقرائها وعلمائها كل عام .
 كما ان الامير الايوبي الافضل نور الدين على بن صلاح الدين قد
 أسهم أيضا في النهوض بالحركة العلمية بمكة فقد قام ببناء
 رباط ربيع وذلك ليكون مأوى للعلماء والفقراء الذين لا مأوى
 لهم بمكة المكرمة ولم يكتف بذلك بل انه أمر بأن توضع في
 مكتبة ذلك الرباط مجموعة من الكتب القيمة والنفيسة ليطلع
 (٢) عليها العلماء الذين لا يجدون سعة لشراء الكتب التي توسع
 آفاق معرفتهم ، كما أنه أمر تلك المكتبة لتعم الفائدة
 لجميع طلاب العلم والعلماء الموجودين بمكة المكرمة ، فكانت
 لهذه الأربطة التي أسهم في بنائها الايوبيون والعباسيون وبعض
 تجار الدول الإسلامية دور كبير في جذب العلماء وطلاب العلم
 الى مكة لأن هذه الأربطة كانت توفر جميع سبل الراحة لطلاب
 العلم وللحجاج المقيمين فيها اثناء موسم الحج ، من مسكن
 ومأكل ومشرب ، فكان ذلك حافزا لهؤلاء العلماء على القدوم
 الى مكة طالما أنهم قد وجدوا بها الأربطة التي يعيشون فيها
 والمدارس التي يدرسون فيها علومهم ومعارفهم ، ولم يفت دور
 (٤) الخلفاء والأمراء والسلاطين عند بناء الأربطة فقط وإنما
 قاموا بتعيين المدرسين الأكفاء للتدريس بتلك الأربطة
 والمدارس التي أنشأوها بمكة ، كما أنهم قاموا أيضا بإرسال

-
- (١) المقدسي : الروافدين في أخبار الدولتين ، ٣/٢ .
 (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٥٣٤/١ ؛ ابن قعد : اتحاف
 الوري ، ٥٦٤/٢ ؛ راجع ص ٣٤٧ من هذا البحث .
 (٣) باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الايوبي ، ص ٩٠ .
 (٤) المالكي : بلاد الحجاز ، ص ٢٠٨ .

الاموال والمدفقات للعلماء وطلاب العلم والمدرسين والقضاة
(١)
والخطباء الموجودين بمكة المكرمة .

فكان لذلك الاهتمام وتلك العناية التي قام بها حكام
وأمرء الدول الاسلامية دور كبير في النهوض بالحركة العلمية
بمكة المكرمة في عهد أمرء الهواشم .

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ٢٢٤/٥ ، السليمان :
العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٢ .

الخاتمة

لقد تتبعنا فى هذا البحث علاقات مكة المكرمة الخارجية فى عهد أسرة الهواشم من سنة ٤٥٦هـ الى سنة ٥٩٧هـ وهذه الحقبة التاريخية الطويلة كفيلا باعطاء القارئ صورة شاملة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمكة طوال عهد اماره الهواشم تلك الامارة التى حكمت مكة فترة تقدر بمائة واحد وأربعين عاما ، وقد تولت حكم مكة بعد انقراض الدولة الموسوية التى كانت قد تميزت بولائها التام للخلافة الفاطمية فى أغلب فتراتها الامر الذى شجع الحكومة الفاطمية على التدخل فى شؤون مكة الداخلية وهذا ما لا يريد اشراف مكة ، وقد أدى ذلك التدخل الى ظهور تلك الثورة العلوية الكبيرة التى قام بها أمير مكة أبو الفتوح الموسوى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م وقد وصلت أصداء هذه الثورة الى بلاد الشام ، ولولا قلة خبرة أبى الفتوح بمثل تلك الحركات السياسية ، ومسارة وعزم الخلافة الفاطمية على القضاء على تلك الثورة لكتب لها النجاح ولغيرت مجرى الاحداث السياسية بمكة ، وحينما فشل أبو لفتوح فى تلك الحركة صمم على عدم مجابهة الفاطميين وعدم معارضتهم مرة أخرى لذلك أعادوه الى الإمارة من جديد ، ومما يلفت الانتباه أن إمارة مكة بعد فشل تلك الحركة أصبحت موالية ومخلصة للخلافة الفاطمية أكثر من ذي قبل واستمرت على ولائها التام حتى وفاة الأمير شكر بن أبى الفتوح الذى يعد آخر أمراء الموسويين فانقرضت تلك الأسرة ، وأصبحت إمارة مكة شاعرة

بسدون أمير فانتهمز أحد المقربين لدى الأمير شكر تلك الفرصة
 العظيمة واستطاع أن ينصب نفسه أميراً على مكة ، إلا أن هناك
 فئة من الاشراف أبت أن يتولى إمارة مكة أحد من غير أشرافها
 فوقفت موقف المعارض أمام ذلك الأمير واستطاعت أن تنتزع
 إمارة مكة من يده ، وهذه الفئة هي أسرة بنى أبى الطيب أو
 السليمانيون . والحقيقة أن تلك الأسرة لم تكن موفقة في
 إمارتها على مكة فقد عمست في عهدهم الفوضى والاضطرابات
 أنحاء البلاد وتعرض السكان والتجار للسلب والنهب ، وعانى
 أمراء بنى أبى الطيب من قلة الموارد المالية فاضطروا إلى
 نهب ما في الكعبة من ذهب وفضة ونحوها ، ومن خلال تتبعنا
 لتاريخ تلك الأسرة اتضح لنا أنها كانت ترفض وتأنف الموالة
 لأي من الخلافتين العباسية أو الفاطمية ، وعاشت مكة في
 عهدهم في عزلة سياسية تامة ، ولكن الخلافة الفاطمية التي
 كان جل اهتمامها مركزاً على فرض سيادتها ونفوذها على مكة
 قد رفعت سياسة بنى أبى الطيب فعمدت العزم على مواجهة تلك
 الأسرة واقصائها عن الإمارة فكلفت داعيها في بلاد اليمن
 الأمير على بن محمد المليحي ، الذي كان هو الآخر متحمساً
 لوضع مكة تحت إشرافه وسيطرته المباشرة ، بأن يتوجه إلى
 مكة ويقمى بنى أبى الطيب عن الإمارة ، ويقيم بدلاً منها أسرة
 تدين بساقلها للفاطميين ، وجرياً على عادة ذلك الداعية
 الفاطمي في سرعة تنفيذ الأوامر الفاطمية دخل مكة سنة
 ٤٥٥هـ / ١٠٦٢م ، واستطاع أن يستولى على الإمارة وأن يقيم
 الخطبة على منابر المسجد الحرام للخلافة الفاطمية .
 والحقيقة أن أهالي مكة قد عاشوا في تلك الفترة حياة هادئة

ومستقرة وذلك بفضل جهود الصليحي وحرصه على توفير الأمن والاستقرار لأهالى مكة والحجاج القادمين اليها ، ثم قام الصليحي قديلا مغادرته الأراضى المكية بتعيين الأمير محمد بن جعفر بن أبى هاشم على إمارة مكة واشترط عليه أن يقيم الخطبة على منابر مساجد مكة والمشاعر المقدسة للخلافة الفاطمية . ومنذ تلك الفترة كانت إمارة مكة بيد الهواشم الأشراف الذين كانت علاقتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية قد اتسمت بالتذبذب وعدم الاستقرار .

ولقد خرجت من دراستى لموضوع العلاقات بعدة نتائج

منها :

(١) أن قيام الدولة الموسوية التى سبقت قيام دولة الهواشم ماهى إلا امتداد للثورات والحركات العلوية التى قامت بمكة ، والتى كانت مناوئة للخلافة العباسية ولكن تلك الحركة العلوية الجديدة قد تميزت عن الحركات السابقة بحسن سياستها ، فقد أعلنت فور استيلائها على الإمارة ولاءها التام للحلقة الفاطمية بمصر وهى بذلك تريد من الحكومة الفاطمية أن تكون سندا قويا لها يمكن الارتكاز عليه فى حالة أى هجوم عباسى على مكة .

(٢) لقد جاء قيام الإمارة الموسويه بمكة متزامنا مع قيام الخلافة الفاطمية بمصر فكأن الموسويين أرادوا أن يستغلوا فرصة اضطراب الأوضاع السياسية وانشغال الخلافة العباسية بخروج مصر من سلطتها . فاستولوا على مكة وتولوا إمارتها .

(٣) لقد استخدم الفاطميون أسلوب القوة والشدة مع بعض الأمراء الموسويين الذين خرجوا عن طاعتهم إذ أرسلوا إلى مكة عدة جيوش عسكرية فاستطاعت تلك الجيوش أن ترغم هؤلاء الأمراء على قبول السيادة الفاطمية على مكة بالقوة .

(٤) كانت حركة أبي الفتوح قد شكلت خطراً كبيراً على الخلافة الفاطمية وقد أدرك الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله خطورة تلك الحركة فاستخدم كل ما أوتى من قوة في سبيل التخلص من تلك الحركة المكية .

(٥) إن أسيرة الهواشم قد وصلت إلى الإمارة بجهود فاطمية بحثة ، ذلك أن الأمير الملبى داعية الفاطميين قد ولى الأمير محمد بن جعفر إمارة مكة وأمدّه بكل ما يحتاجه من مال ورجال وسلاح وغير ذلك من متطلبات الإمارة وأصبح له عوناً وسنداً أمام القوى المعارضة له والمتمثلة في أشراف بني أبي الطيب .

(٦) إن الدعوة والخطبة لبني العباس بمكة قد انقطعت عنهم فترة طويلة من الزمن وذلك في أواخر عهد الإمارة الموسوية، ولكن تلك الخطبة التي طالما حلموا بإقامتها قد عادت لهم منذ عهد الأمير محمد بن جعفر . ومنذ تلك الفترة أصبحت الخطبة غير مستقرة فتارة تقام للعباسيين وتارة أخرى للفاطميين .

(٧) كانت منطقة حلى بن يعقوب الواقعة جنوب مكة المكرمة منطقة نزاع وصراع بين أشراف مكة وبين حكام اليمن

وكانت سببا فى تدهور العلاقات بين الطرفين فى بعض
الفترات .

- (٨) ان النزاع والتنافس القائم بين الخلافتين العباسية
والفاطمية كان يدور حول الخطبة المقامة على منبر
المسجد الحرام حيث كان كل خليفة يحرم على أن يذكر
سبه فى الخطبة وذلك ليفسر على خلافته الشرعية
المطلقة وليحصل على اجلال وتقدير الشعوب الاسلامية له .
- (٩) كان الفاطميون والعباسيون يتسابقون ويتنافسون على
الخطبة بمكة ، وكان أمراء الهواشم هم الطرف الثالث
فى ذلك النزاع وتلك المنافسة والحقيقة أن هؤلاء
الأمراء هم المستفيدون من ذلك التنافس الذى وجدوه
فرصة لتحقيق مآربهم المادية ، وقد أدركت كل من
الخلافتين رغبة ومطامع أمراء مكة فقاموا باغرائهم
بالاموال والملاط والهدايا ، وكان هؤلاء الأمراء يقيمون
الخطبة لمن يدفع لهم أموالا تزيد عما يدفعه الآخرون .
- (١٠) كان الخلفاء والوزراء الفاطميون يعتمدون على الأمراء
المليحيين فى تثبيت سيادتهم ونفوذهم على مكة المكرمة
وقد ظهر اخلاص هؤلاء المليحيين وحرصهم على أن تظل
الخطبة بمكة مقامة للفاطميين وحدهم .

- (١١) لقد عمد الخلفاء الفاطميون الى استخدام سلاح حاد
ومرير ضد أمراء الهواشم وذلك ليقوموا لهم الخطبة على
منابر مكة ، وقد تمثل هذا الاجراء الفاطمى فى ايقاف
جميع المعونات والعائدات السنوية المقررة لاهالى مكة
وامرائها كما تمثل فى منع السفر والتوجه الى مكة لاهى

غمره كان تجاريا أو دينيا . ولقد اتسم هذا الأسلوب
سالحدة نظرا لما يسببه من أضرار اقتصادية على البلد
المقدس ، لأنه كما هو معروف ان أهالى مكة المكرمة
كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا فى مواردهم المالية على
المعونات الخارجية وعلى عائدات الحجاج والتجار
القادمين الى بلادهم . والحقيقة ان ذلك الأسلوب قد أثبت
جدواه لأن أمراء مكة كانوا يضطرون فى كثير من الأحيان
الى قبول السيادة الفاطمية وذلك تفاديا لحدوث أى
أضرار اقتصادية تحل ببلادهم .

(١٢) كما أن الفاطميين كانوا ينخدون من أمراء بنى أبى
الطيب المنافسين التقليديين لأمراء الهواشم وسيلة
لتهدد هؤلاء الهواشم فى حالة اقامتهم الخطبة
للعباسيين اذ كانوا يرسلون لهم الخطابات الى تحمل فى
طياتها التهديد باعادة بنى أبى الطيب الى الامارة من
حديث .

(١٣) لقد أدرك الأمير على بن محمد المليحي مدى الخطورة
الشديدة التى تكمن فى منع حجاج اليمن وخاصة قبائل
السرو اليمنية وتتمثل تلك الخطورة فى زعزعة الناحية
الاقتصادية بمكة فاتخذ ذلك الاجراء وسيلة لتحقيق مآربه
فى تثبيت السيادة الفاطمية على مكة .

(١٤) على الرغم من أن أمراء الهواشم قد حملوا على اموال
ونفقات عظيمة من قبل الخلافتين العباسية والفاطمية الا
أنهم لم يوظفوا تلك الاموال فى تنظيم الامور الادارية
والاقتصادية بمكة المكرمة ولم يوظفوها أيضا فى توفير

- الامن والاستقرار لاهالى مكة ولضيوف بيت الله الحرام .
- (١٥) كان أمراء الهواشم يعتمدون فى مواردهم المالية على النفقات والهبات التى كانت تملهم من الدول الاسلامية ، كما أنهم كانوا يعتمدون أيضا على المكوس والضرائب المفروضة على الحجاج والتجار القادمين الى مكة .
- (١٦) لقد أدت الخلافات والحروب الدائرة بين أمراء الهواشم الى اضطراب الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة وكانت تلك الخلافات سببا فيما بعد أدى الى سقوط امارتهم .
- (١٧) كان للظروف السيئة التى عانت منها الخلافة الفاطمية فى أواخر عهدها المتمثلة فى كثرة الوزراء وتنافسهم على الوزارة ، ومغرض الخلفاء العاطميين فى تلك الفترة أكبر الاثر فى انشغال الخلافة الفاطمية عن توطيد سيادتها على مكة ، ومما لاشك فيه أن تلك الظروف قد جاءت لمصالح العباسيين الذين كانوا يتحينون مثل تلك الفرص لعرض سيادتهم ونفوذهم على مكة المكرمة .
- (١٨) ان سقوط الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية مكانها أدى الى انتهاء سلسلة من الصراع والنزاع الذى كان قائما بين الخلافتين العباسية والفاطمية لفترة طويلة من الزمن ، كما أن سقوط الخلافة الفاطمية غير مجرى الأحداث والعلاقات الخارجية لمكة وأصبحت امارة الهواشم مخيرة بئين أمرين اما أن تقيم الخطبة على منابر مكة للخليفة العباسى وللسلطان الايوبى ، واما أن تتعرض امارتهم للزوال وهذا ما اشترطه السلطان صلاح الدين الايوبى على الهواشم فور ضمه لمكة المكرمة .

(١٩) يلاحظ أنه بعد سقوط الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية خضعت مكة للتدخل المباشر من قبل العباسيين الذين بدأوا يتدخلون في الشؤون الداخلية حيث أصبحوا يعزلون من لا يريدونه ويولون من يرون أنه يخدم مصالحهم ويحقق أهدافهم حتى ولو لم يكن من أسرة الهواشم نفسها .

(٢٠) على الرغم من أن سقوط الخلافة الفاطمية كان خسارة لأمراء الهواشم إلا أنه كان مكسبا لأهالي مكة وللحجاج القادمين إليها لأنهم قد تخلصوا من تلك العواقب الوخيمة والسيئة التي كانت تنتج من جراء التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية، فنعم هؤلاء بالامن والاستقرار الذي شهدوه إبان السيادة الأيوبية على مكة فقد آمن السلطان صلاح الدين الأيوبي الحجاج والتجار من الاعتداءات التي عادة ماكان يشنها عليهم العبيد وقطاع الطرق . كما أن هؤلاء قد تخلصوا أيضا من ذلك الظلم الذي عانوا منه طوال عهد الهواشم ، الظلم المتمثل في فرض المكوس والضرائب ، كما أن السلاطين الأيوبيين كانوا يهبون لنجدة مكة من الفاشقات المالية والازمات الاقتصادية التي تلم بها فأغدق هؤلاء الأيوبيون على أهالي مكة المدقات وأرسلوا اليهم المؤن والحبوب وأوقفوا على مكة الأوقاف الكثيرة بمصر واليمن .

(٢١) لقد باتت أشر علاقات مكة الخارجية واضحا على النواحي العامة بها فعلى الرغم من أن موقعها التجاري ومكانتها الدينية كانا عامليين من عوامل ازدهار اقتصادها ، إلا أننا لايمكن أن نهمل الدور الذي لعبته

العلاقات فى تلك الاوضاع الاقتصادية ، فمكة المكرمة كانت تعتمد فى اقتصادها على الحجاج القادمين اليها من شتى البلدان ، وقد أدركت كس من الدولتين العباسية والفاطمية تلك الظروف وأصبحت تلك الدول تساوم أمراء الهواشم فى ارسال حجاجها وتجارها الى مكة وذلك ليقيموا الخطبة لهم على منابر مكة ، وكان لبعض الدول التى كانت على علاقة بأمراء الهواشم أثر فى تخفيف الازمات الاقتصادية التى عانت منها مكة فى بعض الفترات وكان لمكة المكرمة اتمالات تجارية مع العراق ومصر واليمن والهند والصين وغيرها من الدول ، وكان لتلك الاتمالات منظمة وقوية وخاصة فى مواسم الحج والعمرة . وكان لتحار العراق واليمن ومصر دور كبير فى انعاش الحركة الاقتصادية بمكة المكرمة .

وكان للعلاقات الخارجية أثر أبفا على الحياة الاجتماعية بمكة حيث وجد بها كثير من الاعياد والعادات والتقاليد التى دخلت اليها تائرا بعلاقات مكة بالدول الخارجية كالعباسية والفاطمية والمليلية .

أما أثر العلاقات الخارجية على الحياة العلمية فانه مما لا شك فيه أنه كان للمكانة الدينية لمكة أثر فى ازدهار الحركة الثقافية بها ان كان يقد اليها آلاف المسلمين لاداء فريضة الحج والعمرة فكان من بين هؤلاء الحجاج كثير من العلماء الذين اتملوا بعلماء مكة وتبادلوا معهم العلوم والمعارف ، كما وفد الى مكة كثير من طلاب العلم بغية لدراسة على أيدي علمائها والمقربين بها ، وقد كان قدوم

هؤلاء العلماء يتأثر بتنازم العلاقات السياسية بين مكة وبعض الدول التي يعد منها هؤلاء العلماء . ذلك أن بعض الدول حينما تسوء علاقتها بأمرأء مكة يصدرون قرارات تقضى بمنع التوجه الى مكة لاي غرض كان فيتوقف قدوم ركب الحج القادم من تلك الدول فيتوقف بذلك قدوم العلماء الذين عادة مايفدون مع ذلك الركب في الحج أو العمرة .

والحقيقة ان مكة قد استفادت من اتصالها بالدول الخارجية لأن أمرأء وسلاطين تلك الدول قد أسهموا في النهوض بالحركة الثقافية بها ان أقاموا بها المدارس والأربطة والمكتبات التي زودوها بالكتب، وصرفوا الاموال على الدارسين والمدرسين بها وذلك ليلتعمموا ويواصلوا نشاطهم في شتى العنون والمعارف .

وختاماً أرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت في ابراز أهم النتائج التي توصل اليها البحث والتي آمل أن تكون محفزة للأهداف التي وضعت الخطة من أجلها .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

الملاحق

جدول رقم (١)

جدول بأسماء أمراء مكة زمن الموسويين

(٣٥٨ - ٤٥٣هـ / ٩٦٨ - ١٠٦١م)

اسم الأمير	السنة التي تولى فيها الإمارة	ملاحظات
أبو محمد جعفر بن محمد الموسوي	٣٥٨هـ / ٩٦٨م	مؤسس إمارة الموسويين
عيسى بن جعفر الموسوي	٣٦٥هـ / ٩٧٥م	
أبو الفتوح الحسن بن جعفر	٣٨٤هـ / ٩٩٤م	
أبو الطيب عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك	٤٠١هـ / ١٠١٠م	تولى إمارة مكة وقت إعلان أبي الفتوح الخلافة لنفسه وخروجه إلى الشام
أبو الفتوح (للمرة الثانية)	٤٠٣هـ / ١٠١٢م	عاد إلى الإمارة بعد عودته من بلاد الشام .
تاج المعالي محمد شكر بن أبي الفتوح	٤٣٠هـ / ١٠٣٨م	آخر أمراء الموسويين
واستمر في الإمارة حتى وفاته سنة	٤٥٣هـ / ١٠٦١م	

جدول رقم (٧)

جدول بأسماء أمراء مكة ابان حكم الهواشم

(٤٥٦ - ٥٥٩٧هـ / ١٠٦٣ - ١٢٠٠م)

ملاحظات	السنة التي تولى فيها الامارة	اسم الامير
مؤسس امارة الهواشم	١٠٦٣هـ / ٤٥٦م	ابو هاشم محمد بن جعفر
قائد عباسى استطاع أن يدخل مكة	١٠٩٤هـ / ٤٨٧م	قاسم بن محمد بن جعفر
وينهى الامير قاسم عن الامارة	١٠٩٤هـ / ٤٨٧م	اصبهيد بن سارنگين
عدة شهور	شوال ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م	قاسم بن محمد (للمرة الثانية)
	١١٢٣هـ / ٥١٧م	فليحة بن القاسم
	١١٣٢هـ / ٥٢٧م	هاشم بن فليحة
	١١٥٤هـ / ٥٤٩م	قاسم بن هاشم

مساحف	السنة التي تولف ففها الامارة	اسم الامفر
قدم أمفر الحاج المراقف أرغش الفركى الى مكة فى هذا العام وعلم أن الأمفر قاسم صادر ونهف أموال التجار، فقام بمعزله وعفن مكانه عمه عفس بن فلفنة . عاد الى مكة واستطاع أن فسترع الامارة من عمه عفس . تولف الامارة مرة أخرى بعد معفل ابن أخفه قاسم فى هذا العام . تولف الامارة فى الخامس عشر من رجد من هذا العام عقب الشسورة التي قامت فف أخفه داود .	١١٦٠ هـ / ٥٥٦ هـ . رمضان ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م ١١٦١ هـ / ٥٥٧ هـ م ١١٧٤ هـ / ٥٧٠ هـ م ١١٧٥ هـ / ٥٧١ هـ م	عفس بن فلفنة قاسم بن هاشم عفس بن فلفنة (للمرة الثانية) داود بن عفس مكفر بن عفس

ملاحظات	السنّة التي تولّى فيها الامارة	اسم الأمير
عينه أمير الحاج العراقي طاشككين في حج هذا العام وذلك حينما قام الأمير مكتر بمعارضة الخلافة العباسية و ستمرفى الامارة ثلاثة أيام فقط من العام نفسه .	دى الحجة ١١٧٥هـ / ١١٧٥م	قاسم بن مهنا الحسينى (امير المدينة)
وهو العام الذى قام فيه بالاعتداء على أموال الكعبنة فأصدرت الخلافة العباسية قرارا يقضى بإبعاده عن الامارة .	١١٧٥هـ / ١١٧٥م	داود بن عيسى (للمرة الثانية) أخذ يتناوب الامارة هو وأخيه مكتر حتى عزلته الخلافة العباسية سنة
استطاع قتادة في هذا العام أن يدخل مكة ويستولى على ملك الهواشم .	١١٩١هـ / ١١٩١م ١٢٠٠هـ / ١٢٠٠م	مكتر بن عيسى (آخر أمراء الهواشم)

جدول رقم (٣)

الخلفاء العبّاسيون والفاطميون المعاصرين للأمراء الموسويين

الأمراء الموسويون	الخلفاء العبّاسيون	المعاصرون لهم	الخلفاء الفاطميون	المعاصرون لهم
أبو محمد جعفر بن محمد (٣٥٨-٣٦٥هـ/٩٦٨-٩٧٥م)	المطيع لله أبو القاسم الفضل ابن المقتدر بالله (٣٣٨-٣٦٣هـ/٩٤٩-٩٧٣م)	المعز أبو تميم معد (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)	المعز بالله أبو تميم معد (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)	المعز بالله أبو تميم معد (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)
عيسى بن جعفر (٣٦٥-٣٨٤هـ/٩٧٥-٩٩٤م)	الطائع لله ابن المطيع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٣-٩٩١م)	نزار بن المعز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)	المعز بالله أبو تميم معد (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)	المعز بالله أبو تميم معد (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)

جدول رقم (٤)

الخلفاء العباسيون والفاطميون المعاصرون لأمراء الهواشم

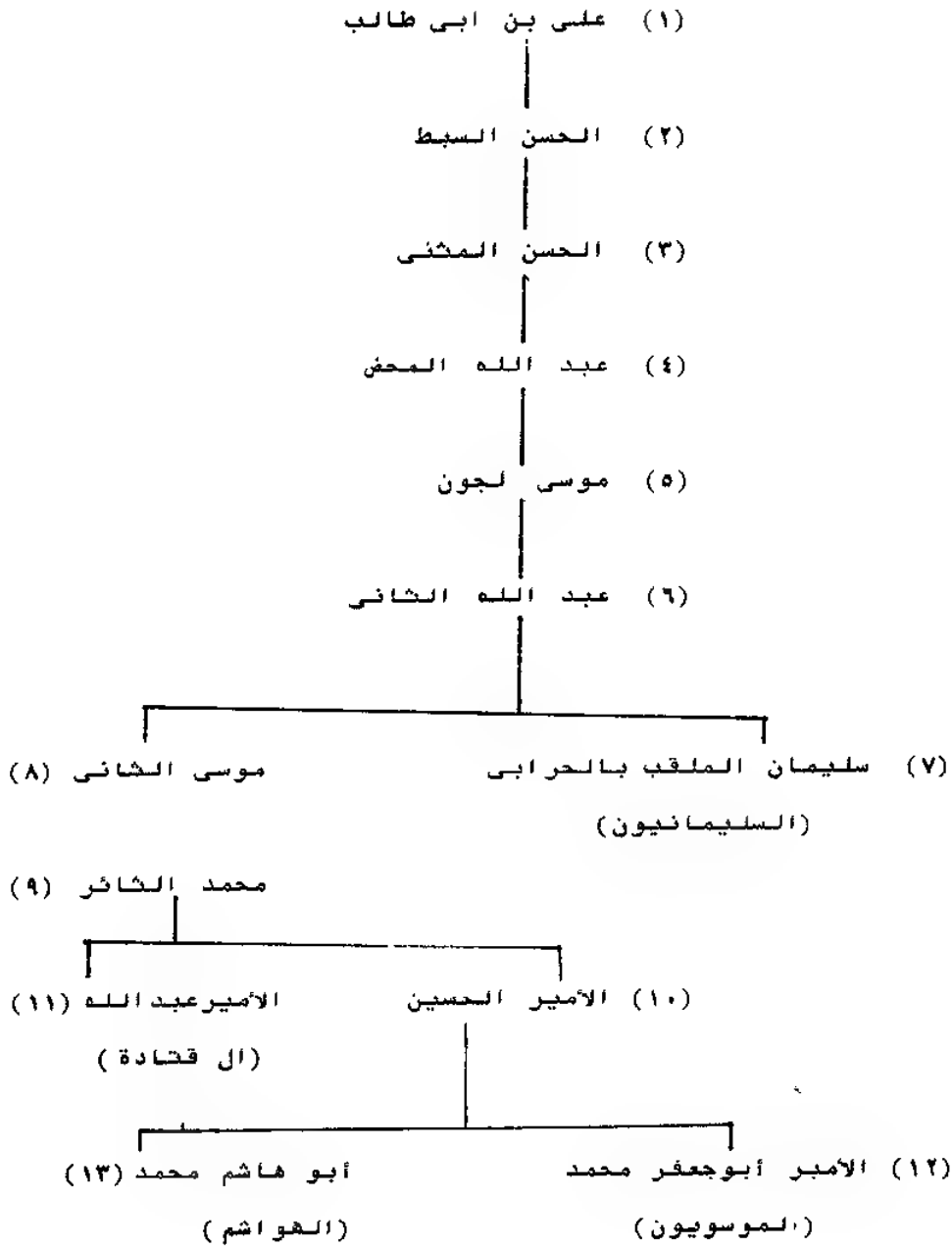
الخلفاء الفاطميون المعاصرون لهم	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	أمراء الهواشم
المستنصر بالله معد بن الظاهر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)	القائم أبو جعفر عبد الله ابن القادر بالله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)	أبو هاشم محمد بن جعفر (٤٥٦-٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م)
المستعلي بالله أحمد بن المستنصر (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م)	المستظهر أبو العباس أحمد ابن دحية الدين (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٤-١٠٩٤م)	قاسم بن محمد بن جعفر (٤٨٧-٥١٧هـ/١٠٩٤-١١٢٣م)
الأمر بإحكام الله أبو علي محمود بن المستعلي (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٢٩م)	(٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م)	

الخلفاء الفاطميون المعامسون لهم	الخلفاء العباسيون المعامسون لهم	أمراء الهواشم
الأمير بأحكام الله . الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد . (٥٢٤-١١٢٩هـ / ١١٤٩م) الحافظ لدين الله . الظافر بالله اسماعيل بن الحافظ . (٥٤٤-١١٤٩هـ / ١١٥٤م) الفاخر بنصر الله عيسى بن الظافر . (٥٤٩-١١٥٤هـ / ١١٦٠م) العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله . (٥٥٥-١١٦٠هـ / ١١٧١م)	المسترشد بالله أبو منصور (٥١٧هـ / ١١١٨م - ١١٣٤م) المسترشد بالله أبو منصور ، الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد ، (٥٢٩هـ / ١١٣٤م - ١١٣٥م) المفتي أبو عبد الله محمد ابن المستظهر ، (٥٣٠هـ / ١١٣٥م - ١١٦٠م) المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المفتي . (٥٥٥هـ / ١١٦٠م - ١١٧٠م)	فليقة بن الفاسم (٥١٧-٥٢٧هـ / ١١٢٣م - ١١٣٢م) هاشم بن فليقة (٥٢٧-٥٤٩هـ / ١١٣٢م - ١١٥٤م) فاسم بن هاشم (٥٤٩-٥٥٧هـ / ١١٥٤م - ١١٦١م)

الحلفاء الفقاهة المعاصرون لهم	الخلفاء العباسيون المعاصرون لهم	أسماء الهواشم
العاصم لدين الله (آخر الخلفاء العباسيين)	المستنجد بالله المستفيء أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله (٥٦٦-١١٧٠هـ/١١٧٩م)	عيسى بن فليحة (٥٥٧هـ/١١٦١-١١٧٤م)
	المستفيء الخامس لدين الله أبو العباس أحمد بن الحسن المستفيء (٥٧٥-١١٧٩هـ/١٢٢٢م)	داود بن عيسى (٥٧٠-١١٧٤هـ/١١٩١م)
	الخامس لدين الله	مكث بن عيسى (٥٨٧هـ/١١٩١-١٢٠٠م)

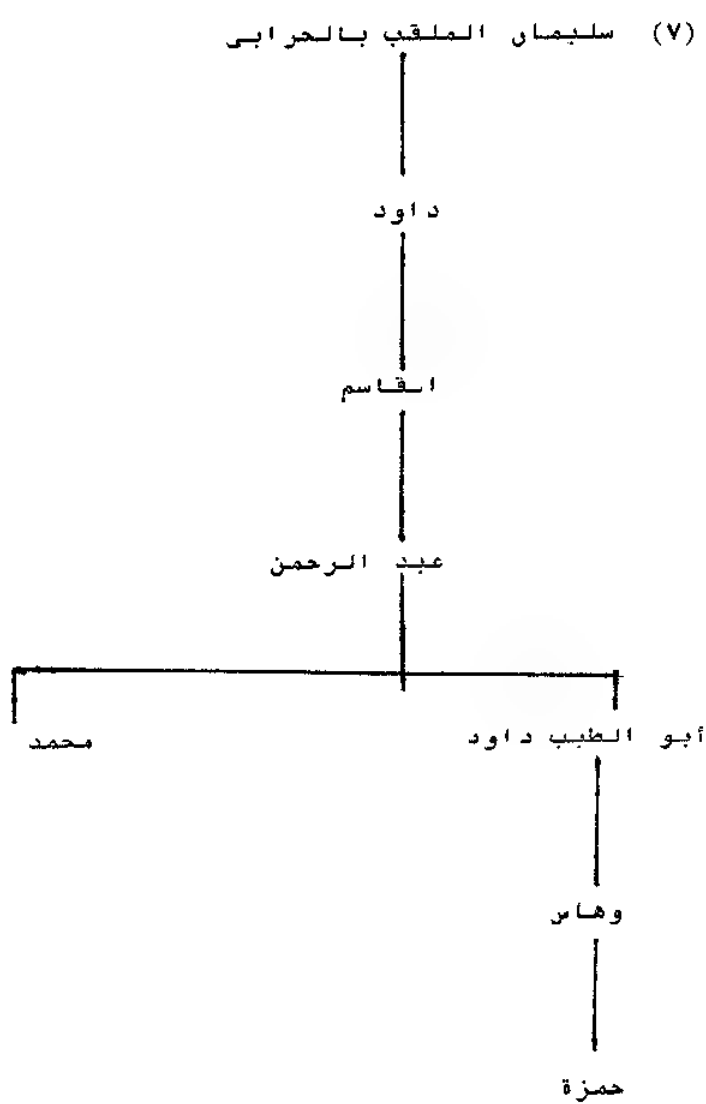
ملحق رقم (٤)

شجرة نسب أشرف مكة

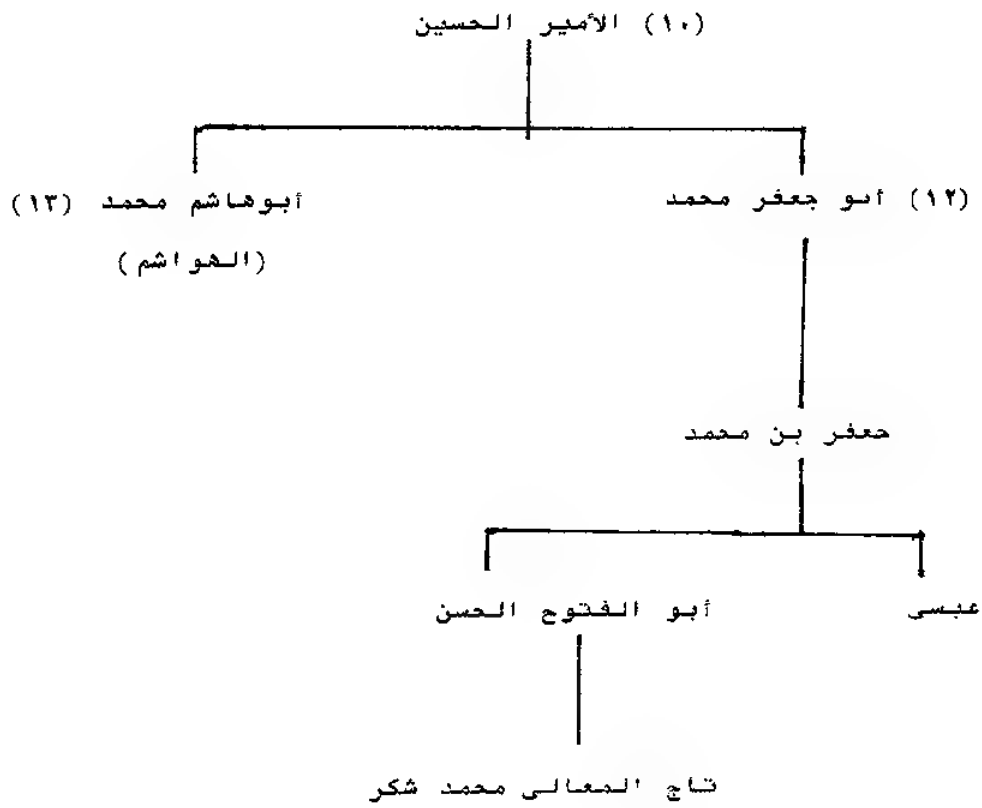


(٣٦٣)

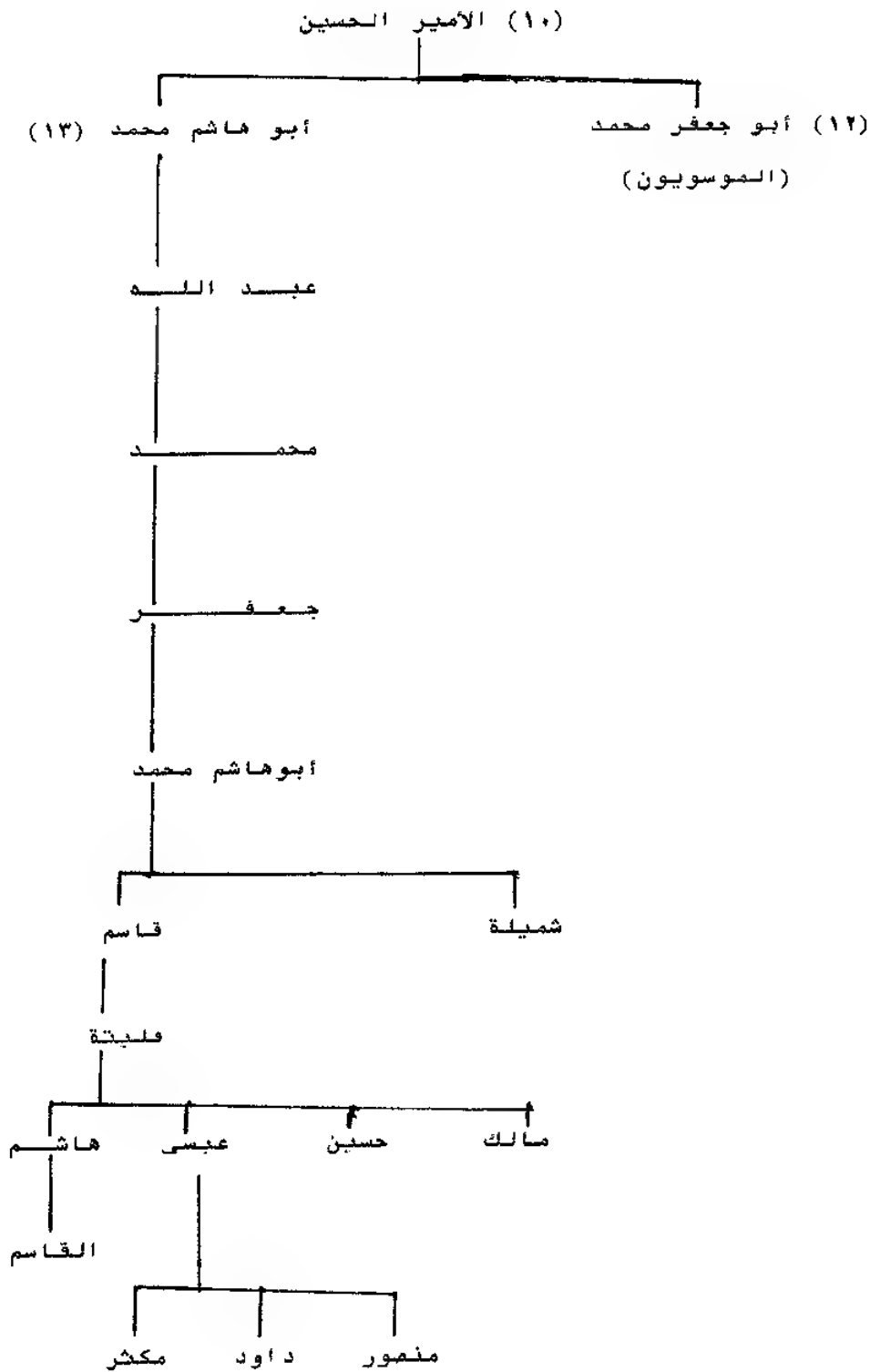
شجرة نسب أمراء بني أبي الطيب



شجرة نسب الأمراء الموسويين

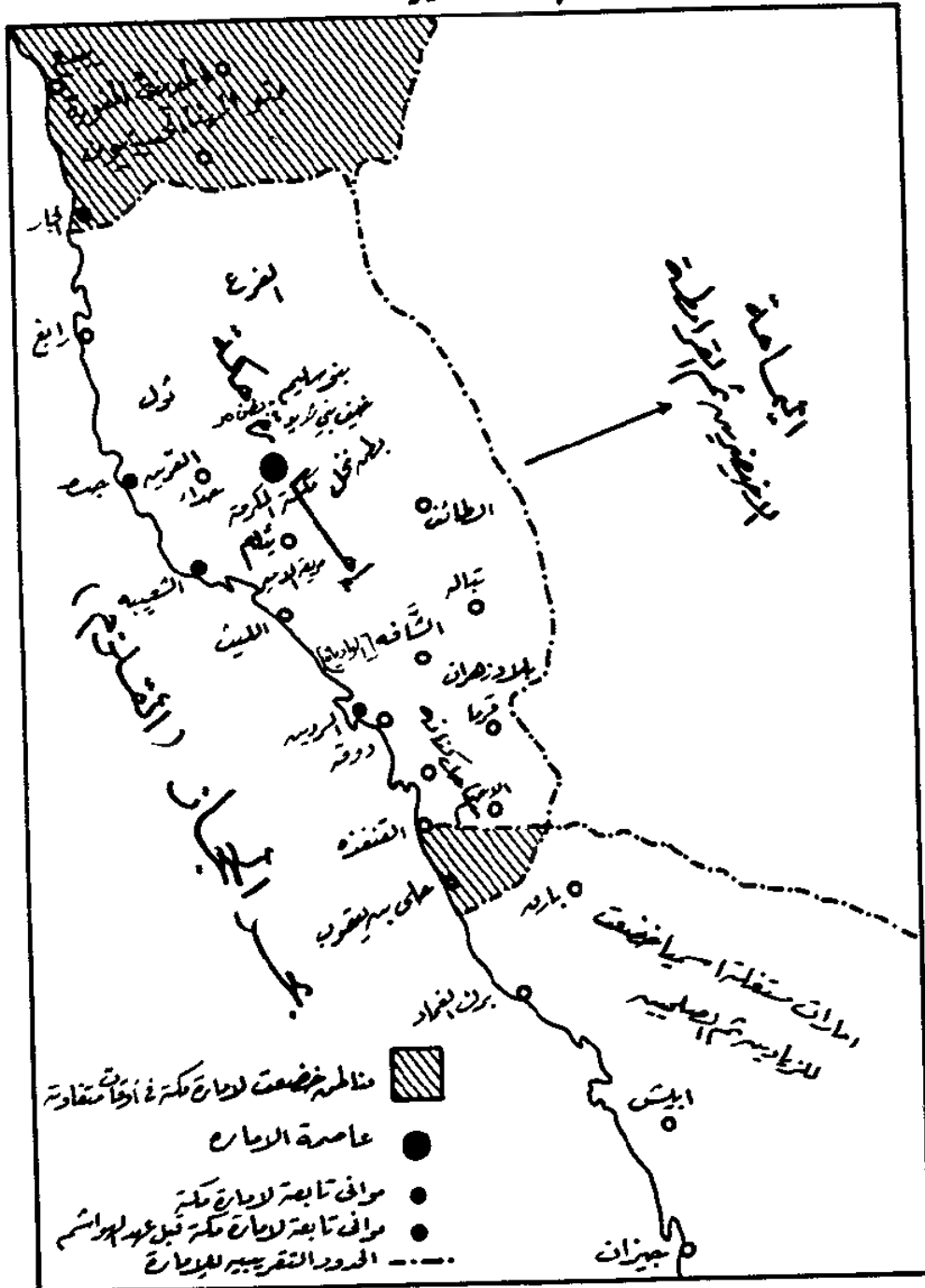


شجرة نسب أمراء الحواشم



ملحمة رقم (٥)

خريطة موضع عليا أهم القرى والمناطق التابعة لإمارة مكة في عهد الهواشم،
وموضع عليا موقع مدينة علي بن عبد الله بن عبد الله التي كانت منطقة نزاع بين
الهواشم والصلبيين (١)



(١) أحمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٢٩٧
(بتمري) .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة

ثانياً : المصادر المطبوعة

ثالثاً : المراجع لعربية الحديث

رابعاً : المراجع المعربة

خامساً : البحوث والدوريات والمؤتمرات العربية

سادساً : الرسائل الجامعية

أولا : المصادر المخطوطة .

الخزرجي

شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أمي بكر بن
الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)

* المسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي وأحياء
التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، رقم ٣٤٥ (تاريخ) .

السنجاري

علي بن ساج الدين بن تقى الدين المكي (ت ١١٢٥هـ/
١٧١٣م)

* مناخ الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم
مخطوط مصور على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة
أم القرى ، رقم ٤٥٠ (تاريخ) .

المباغ

محمد بن أحمد المكي (ت ١٣٢١هـ/١٩٠٣م)
* تحميل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر
العظام

مخطوط مصور بجامعة أم القرى ، رقم ٢١٧ .

ابن الضياء

أبو البقاء محمد بن أحمد بن لضياء القرشي الحنفي
المكي (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)

* تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة
الشريفة ولقبر الشريف

مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ،
رقم ١٧٠ .

الطبرى

عبد القادر بن محمد (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م)

* الارج المسكى فى التاريخ المكى

مخطوط ممرور بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ،
رقم ٣٤ .

الطبرى

محمد بن على بن فضل بن عبد الله الحسينى (١١٧٣هـ/
١٧٥٩م)

* اتحاف فضاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن وولاية

قناة

مخطوط ممرور بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ،
رقم ١٠ .

العمري

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله
(ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

* مسالك الايمان

مخطوط المكتبة السليمانية باسطنبول ، رقم ٣٤٣٦ .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

ابن الأبار

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى
(ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)

* تكملة الملة

جزءان ، تمحيص ، السيد عزت العطار الحسينى ، مكتب نشر
الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ابن الاثير

عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد

ابن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

* الكامل في التاريخ

٩ أجزاء ، ط٣ ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٠هـ/

١٩٨٠م .

* التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية (بالموصل)

تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، طبعة دار الكتب

الحديثة بالقاهرة ، ومكتبة المشنى بغداد

١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

* اللباب في تهذيب الانساب

بيروت (بدون تاريخ طبع) .

الازدي

جمال الدين علي بن ظافر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)

* أخبار الدول المنقطعة

مقدمة وتعقيب أندريه فريه ، ط١ ، المعهد العلمي

الفرنسي للأشعار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢م .

الارقي

أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م)

* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار

تحقيق رشدي الصالح ملحق ، ط٤ . مطابع دار الثقافة .

مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الاسنوى

حمال عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)

* طبقات الشافعية

جزءان ، تحقيق عبد الله الجبوري ، منشورات دار
العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن اياس

أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)

* بدائع الزهور في وقائع الدهور

٥ أجزاء ، تحقيق محمد مصطفى ، ط ٣ ، الهيئة الممرية
العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ابن أيبك الدوادارى

أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)

* كنز الدرر وجامع الغرر

ج ٧ ، السدر المطلب في أخبار بنى أيوب ، تحقيق سعيد
عبد الفتاح عاشور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

ابن بشكوال

أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)

* كتاب الملة

جزءان ، الدار الممرية للتأليف والترجمة ، القاهرة
١٩٦٦م .

ابن بطوطة

أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

* رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب
الأمصار وعجائب الأسفار)

دار التراث ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

البكرى

أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى
(ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)

* جزيرة العرب من كتاب الممالك والممالك

تحقيق ودراسة عبد الله يوسف الغنيم ، منشورات ذات
السلاسل للطباعة ، الكويت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م .

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع

٤ أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م .

البندارى

قوام الدين الفتح بن على (ب ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)

* سنة البرق الشامى (مختصر البرق الشامى . للعماد
الامعنانى

تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م .

التجيبى السبتي

القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م)

* مستفاد الرحلة والاغتراب

تحقيق عبد الحفيظ منمور ، دار العربية للكتاب ،
تونس ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

ابن تغرى بردى

جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

١٤ جزء ١ ، دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/
١٩٦٣ م .

ابن جبير

أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

* رحلة ابن جبير

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م .

الجزيري

عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن ابراهيم

الانماري (ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م)

* الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة
المعظمة

٣ أجزاء ، اعتناء حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة
للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .

الجعدى

عمر بن علي بن سمرة (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م)

* طبقات فقهاء اليمن

تحقيق فؤاد سيد ، ط ١ ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١ م .

ابن الجوزي

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت

٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

* المنتظم في تاريخ الملوك والامم

ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،
الذكن ١٣٥٩هـ/١٩٤٠ م .

ابن حزم

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)

* جمهرة أنساب العرب

تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، طه . دار
المعارف ، القاهرة ١٩٨٢م .

الحسيني

صدر الدين أبي الحسر علي بن ناصر بن علي (ت
٥٧٥هـ/١١٨٠م)

* أخبار الدولة السلجوقية

اعتناء وتصحيح محمد اقبال ، ط١ ، منشورات دار الآفاق
الجديدة ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الحموي

شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت
٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

* المشترك ومفا والمعترق مقعا

غوتنجن ، جامعة شريفنس ١٨٤٦م .

* معجم البلدان

٥ أجزاء ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٩٩هـ/
١٩٧٩م .

ابن حوقل

أبو الفاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي الموصلي
(ت ٣٦٧هـ/٩٧٨م)

* كتاب صورة الأرض

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .

خسرو

ناصر (٤٩٨هـ/١١٠٤م)

* سفر نامه

ترجمة يحيى الخشاب ، ط٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت
١٩٧٠م .

ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر
٧ أجزاء ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

ابن خلكان

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ب)
(٦٨١هـ/١٢٨١م)

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

٨ أجزاء ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت
١٩٧٠ - ١٩٧١م .

الداوودي

شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

* طبقات المفسرين

جزءان ، اعتناء لجنة من العلماء ، ط١ ، دار الكتب العلمية
بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

دحلان

أحمد زيني (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)

* أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول صلى

الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي

الدار المنحدة للنشر ، بيروت (بدون تاريخ طبع) .

ابن دقماق

ابراهيم بن محمد بن أهدمر العلأى (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

* الجوهر الشمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين

تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة أحمد السيد

دراج ، منشورات مركز البحث العلمى واحياء التراث

الاسلامى بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

ابن الديبع

ابو الضياء عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٩٤٤هـ/

١٥٣٧م)

* العفل المزيذ على بغية المستفيد فى أخبار مدينة

زبيذ

تحقيق يوسف شلحد ، منعاء ١٩٨٣م .

الذهبى

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

(ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

* العبر فى خبر من غير

٥ أجزاء ، تحقيق أبو هاجر محمد زعلول ، ط١ ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الرازى

أحمد بن عبد الله (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)

* تاريخ مدينة صنعاء

تحقيق حسين عبد الله العمرى ، وعبد الجبار زكار ، ط ١
اليمن ، ١٩٧٤ م .

الرشيدى

الشيخ أحمد (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م)

* حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي اماره الحاج
تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ، منشورات مكتبة الخانجر
القاهرة ١٩٨٠ م .

الزبيدى

محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى
(ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

* تاج العروس من جوهر القاموس
١٠ أجزاء ، بيروت .

سبط ابن الجوزى

أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
* مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان (القسم الاول والثانى
من الجزء الثامن)

ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،
الدكن ١٩٥١ - ١٩٥٢ م .

السبكى

تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى
(ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

* طبقات الشافعية الكبرى

تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحى ، ط ١ ،
القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦ م .

السخاوى

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

* التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة

٣ أجزاء ، اعتناء أسعد طرابزونى الحسى ، دار نشر

الثقافة ، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

بيروت ١٣٩٩هـ .

السلمى

عرام بن الاصمغ (نحو ٢٧٥هـ/٨٨٨م)

* كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها

تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

السمعانى

عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى (٥٦٢هـ/١١٦٧م)

* الانساب

محمه عبد الرحمن المعلمى ، ط١ ، حيدر آباد الدكن

١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

السيوطى

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

* بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة

ط١ ، القاهرة ١٣٢٦هـ .

* حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

جزءان ، تحقيق محمد أبو الغل ابراهيم ، ط١ ، دار

احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

ابو شامة

شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن

ابراهيم المقدسى الشافعى (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)

* الذيل على الروشتين

اعتناء محمد الكوشى ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٤م .

* الروشتين في أخبار الدولتين

جزءان ، دار الجيل ، بيروت (بدون تاريخ طبع)

ابن شداد

بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم

(ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

* النوادر لسلطانية والمحاسن اليوسفية

تحقيق جمال الدين الشيال ، ط١ ، السدار المصرية

للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٤م .

الظاهري

غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)

* زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

تحقيق بولس راويسى ، باريس ١٨٨٩م .

ابن ظهيرة

جمال الدين محمد بن جابر الله بن محمد نور الدين ابي

بكر بن على (٩٨٦هـ/١٥٧٨م)

* الجوامع اللطيفة في فضل مكة وأهلها وبناء البيت

الشريف

ط٢ ، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

ابن عبد الحق

صلى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ/

١٣٣٨م)

* مرامد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع

تحقيق على محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة
والنشر . حسب ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

العبدري

أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)
* رحلة العبدري (المسماة الرحلة المغربية)
تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ١٩٦٨م .

ابن العديم

كمسال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة
العقبلي (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م)
* زبدة الحلب من تاريخ حلب
تحقيق سامي الدهان ، بيروت ١٩٥٤م .

العرشي

القاضي حسين بن أحمد (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م)
* بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك
اليمن من ملك وإمام

عنى نشره الألب انستاسي ماري الكرملس ، القاهرة ١٩٣٩م

العمامي

عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م)
* سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي
ج٤ ، المطبعة السلفية ، القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

ابن العماد الحنبلي

أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب

٨ أجزاء ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ،
بيروت .

عمارة اليمنى

نجم الدين بن أبى الحسن الحكى (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)
* تاريخ اليمن (المسمى المفيد فى أخبار صنعاء
وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأديانها)
تحقيق محمد بن على الاكوع ، ط٢ ، مطبعة السعادة ،
القاهرة ١٩٧٦م .

* كتاب الخكت العمرية فى أخبار الوزراء المصرية
صححه هرتويغ درنبرغ ، طبع بمطبعة مرسوفى مدينة شالون
بفرنسا ١٨٩٧م .

ابن عذبة

جمال الدين أحمد بن على الحسنى (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م)
* عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب
مجموعة الرسائل الكمالية (٨) فى الانساب ، طبع بمطابع
دار الشعب القاهرة ١٩٨٠م نشر مكتبة المعارف بالطائف
الفاى

أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على (ت ٨٣٢هـ/
١٤٢٨م)

* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام
جزءان ، تحقيق عمر عيسد السلام تدمرى ، ط١ ، دار
الكتاب العربى ، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٨٥م .
* العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين

٨ أجزاء ، ج ١ ، تحقيق محمد الطيب حامد الفقى ،
(ج ٧-٢) فؤاد سيد ، (ج ٨) محمود الطناحى ، مطبعة السنة
المحمدية ، القاهرة ١٣٧٨ - ١٣٨٨ هـ .

أبو الفداء

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

* المختصر فى أخبار البشر

ج ٢-٣ ، دار المعرفة ، بيروت .

ابن فهد

النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد
(ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)

* اتحاف الورى بأخبار أم القرى

تحقيق فهد محمد شلتوت ، ط ١ ، ٣ أجزاء ، ج ٢-٣
منشورات مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ، مكة
المكرمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

ابن فهد

عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى
(ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م)

* غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام

تحقيق فهد محمد شلتوت ، ط ١ ، منشورات مركز البحث
العلمى بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

الفيروز آبادى

مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)

* القاموس المحيط

٤ أجزاء ، ط ٣ ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

ابن القاسم

بحبى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٩م)

* غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى

تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، جزءان ، ج ١ دار
الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

القرطى

عريب بن سعد (ت ٣٦٦هـ/١٩٧٦م)

* ملة تاريخ الطبرى

طبع فى كتاب ذيول تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو
الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، دار سويدان ، بيروت ١٩٦٧ م .

القفشندى

أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

* صح الاعشى فى صناعة الانشاء

١٤ جزء . ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤ م .

* مآثر الانافة فى معالم الخلافة

٣ أجزاء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط ١ ، عالم
الكتب ، بيروت ١٩٦٤ م .

* نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب

تحقيق ابراهيم الابيارى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٩ م .

ابن كثير

عماد الدين أبسو الفداء اسماعيل بن عمر (ت

٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

* البداية والنهاية

١٢ جزء ، ط ١ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٥١هـ/

١٩٣٢ م .

ابن المجاور

جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقى

(ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م)

* صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسمى تاريخ

المستبصر)

تصحيح أوسكر لوفغرين ، ط بريل ، ليدن ١٩٥١ م .

أبو مخرمة

أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد

(ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)

* تاريخ ثغر عدن

جزءان ، تحقيق أوسكر لوفغرين ، ط بريل ، ليدن ١٩٣٦م

المقدسى

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)

* أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

ط ٢ ، ط بريل ، ليدن ١٩٠٦ م .

المقربى

تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

* انعاش الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء

ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ١٩٦٧م ،

ج ٢-٣ تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط القاهرة ١٩٧١-١٩٧٣م .

* الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجى بمصر

ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٥٥ م .

* السوك لمعرفة دول الملوك

١٤ جزء، تصحيح محمد مطفى زيادة ، ط٢ ، لجنة
التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ م .

ابن منظور

جمال الدين محمد بن مكرم الانمارى (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

* لسان العرب

١٥ جزء ، ط١ ، القاهرة ١٣٠٢هـ .

النعيمى

عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن

عبد الله (٩٢٧هـ/١٥٢١م)

* الدارس فى تاريخ المدارس

تحقيق جعفر الحسنى ، دمشق ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ م .

الهمدانى

الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)

* صفة جزيرة العرب

تحقيق محمد بن على الاكوع ، دار اليمامة ، الرياض

١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م .

الورشيلالى

الحسين بن محمد السعيد (ت ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)

* نزهة الانظار فى فضل علم التاريخ والخبار المشهور

بالرحلة الورشيلانية

ط٢ ، نشر دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٧٤ م .

اليافعى

أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان

(ت ٧٦٨هـ/١٢٦٦م)

* مرآة الجنان وعبرة اليقظان فسى معرفة حوادث

الزمان

ط ٢ ، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة .

أحمد

يوسف

* المحمل والحج

مطبعة حجازى ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .

الانصارى

عبد القدوس

* بنو سليم

ط ١ ، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

باشا

ايوب صبرى

* مرآة جزيرة العرب

ترجمة أحمد فؤاد متولى ، والصفافى أحمد المرسى ، ط ١

دار الرياض للنشر ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

ماقازى

عائشة بنت عبد الله

* بلاد الحجاز فى العصر الايوبى

ط ١ ، دار مكة للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ /

١٩٨٠م .

باوزير

سعيد مؤخر

* معالم تاريخ الجزيرة العربية

ط ١ ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

البتنوني

محمد لبيب

* الرحلة الحجازية

ط ٣ ، منشورات مكتبة المعارف ، الطائف .

المركاتي

شرف بن عبد المحسن

* الرحلة اليمانية

ط ٢ ، بيروت ١٣٨٤هـ .

البستاني

بطرس

* محيط المحيط

بيروت ١٩٧٧م .

بكر

سيد عبد المجيد

* الملاح الجغرافية لدروب الحجيج

ط ١ ، منشورات مؤسسة تهامة ، جدة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

البلادي

عائق بن غيث

* بين مكة وحضرموت

ط ١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

* بين مكة واليمن

ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

* معالم مكة التاريخية و لأثرية

ط٢ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

* معجم معالم الحجاز

ط١ ، دار مكة للنشر ، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ابن بلهد

* صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

ط٢ ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

بيطار

أمنية

* موقف أمراء العرب بالشام والعراق من العاطميين

حتى أواخر القرن الخامس الهجري

ط١ ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

التكريتي

محمود ياسين أحمد

* الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة

بغداد ١٩٨١م .

الجاسر

حمد

* بلاد ينبع لمحات تاريخية وجغرافية

منشورات دار البمامة ، الرياض (بدون تاريخ طبع) .

حسن

حسن ابراهيم

* تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

ج٤ ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م .

* تاريخ الدولة الفاطمية

ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م .

حسين

جميل حرب محمود

* الحجاز واليمن في العصر الأيوبي

ط١ ، تهامة للنشر ، جدة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

ابن خميس

عبد الله

* المجاز بين الإمامة والحجاز

ط٣ ، جدة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

دراج

أحمد السيد

* إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر

منذ مطلع القرن التاسع الهجري

مستخرج من المحاضرات العامة للموسم الثقافي ١٩٦٧/

١٩٦٨م ، مطبعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٨م .

ابن دهيش

عبد اللطيف بن عبد الله

* الكتائب في الحرمين الشريفين

ط١ ، مكة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٦م .

الزركلي

خير الدين

* الاعلام

٨ أجزاء ، ط٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦ م .

الزيلعي

أحمد عمر

* مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧هـ)

ط١ ، جامعة الرياض ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .

السباعي

أحمد

* تاريخ مكة

جزءان ، ط٦ ، منشورات نادي مكة الشقافي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م

سرور

محمد جمال الدين

* النعوذ الفاطمي في جزيرة العرب

ط٣ ، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩ م .

ابن سرور

محمد بن منصور بن هاشم ال عبد الله

* قبائل الطائف وأشراف لحجاز

ط١ ، الطائف ١٤٠١هـ .

ابن سرور

مسعود بن منصور ال عبد الله

* جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحت الى الوقت

الحاضر

ط١ ، مكة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .

السليمان

على بن حسين

* العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك

القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

الشامخ

محمد عبد الرحمن

* التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني

٣ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٥هـ /

١٩٨٥م .

شرف الدين

أحمد حسين

* اليمن عبر التاريخ

٣ ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

شلبى

أحمد

* تاريخ التربية الإسلامية

٢ ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ١٩٦٠م .

* موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية

٣ ، القاهرة ١٩٧٧م .

العبادي

أحمد مختار

* في التاريخ العباسي والفاطمي

مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢م .

عبد الرؤوف

عمام الدين

* بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي

ط ١ ، القاهرة ١٩٧٥ م .

عبد العال

حسن

* التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري

دار الفكر العربي ، القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

عبد العال

محمد

* الأيوبيون في اليمن

القاهرة ١٩٨٠ م .

عبد العزيز

محمد الحسيني

* لحياة العلمية في الدولة الإسلامية

وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ م .

عبد الله

عبد الرحمن صالح

* تاريخ التعليم في مكة المكرمة

ط ١ ، دار الشروق للنشر ، جدة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢ م .

العقيلي

محمد بن أحمد

* تاريخ المخلاف السليماني

ط ٢ ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

عوض الله

الأمين

* الحياة الاجتماعية في العصر العاطمي

جدة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

العوفي

محمد سالم بن شديد

* العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة

العباسية في العصر السلجوقي

ط١ . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

الفامدي

عبد العزيز بن مقر وآخرون

* مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي (دراسة

وتحقيق لبعض المعالم الجغرافية)

مطبوعات نادي مكة الشقافي ١٤٠٥هـ .

الفر

محمد فهد عبد الله

* تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام

حتى منتصف القرن السابع الهجري

ط١ . منشورات مكتبة تهامة ، جدة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

القوصي

عطية

* تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى

سقوط الخلافة العباسية

دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦م .

كامل

محمود

* اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية

بيروت ١٩٦٨م .

كحالة

عمر رضا

* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة

بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

الكردي

محمد طاهر

* التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

ط١ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٣٨٥هـ .

ماجد

عبد المنعم

* السجلات المستنصرية (تحقيق)

دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٤م .

* نظم الفاطميين ورسومهم في مصر

ط٢ ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ١٩٧٣م .

المالكي

سليمان عبد الغنى

* بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط

الخلافة العباسية في بغداد

ط١ ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المصري

حسين على

* تجارة العراق في العصر العباسي

الكويت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

المصري

ذو النون

* عمارة اليمنى

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦م .

معروف

ناجى

* تاريخ علماء المستنصرية

ط ٣ (بدون تاريخ طبع) .

المناوى

محمد حمدي

* الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي

دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٠م .

مؤنس

حسين

* ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل)

القاهرة ١٩٨٠م .

مورتييل

ريتشارد

* الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر

المملوكي

١٥ ، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود ،
الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

النبراوى

فتحية

* العلاقات السياسية الإسلامية ومراع القوى الدولية في

العصور الوسطى

١٥ ، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

الهمداني

حسين بن فيض الله

* المصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن

مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٥٥م .

وانلى

خير الدين

* المسجد في الاسلام

٢ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

اليوزبكى

توفيق سلطان

* تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكى

مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، الموصل ١٩٧٥م .

رابعاً : المراجع المعربة .

زامباور

ادوارد فون

* معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى

ترجمة زكى محمد حسن ، وحسن أحمد محمود ، جامعة فؤاد
الاول ، القاهرة ١٩٥١م .

لوبون

غوستاف

* حضارة العرب

ترجمة عادل زعيتر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

متـز

آدم

* الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري

جزءان ، ترجمة محمد عبد الهادى أبوريـدة ، ط٤ ،
بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

خامسا : البحوث والدوريات والمؤتمرات العربية .

ابراهيم

عبد اللطيف

* وثائق الوقف فى الأماكن المقدسة

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الاول
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

أحمد

محمد حلمى محمد

* الحياة العلمية فى مصر والشام

المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٧ ، ١٩٥٨م .